

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية أماس

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية قسم: العلوم الإسلامية

تخصص: فقه وأصول

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير بعنوان

مقصد حفظ الدين مسالكة، وآثار الإخلال به

الإساءة إلى المقدسات الإسلامية أنموذجاً

(دراسة تأصيلية تطبيقية)

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	المرتبة العلمية	إسم العضو
رئيساً	أستاذ التعليم العالي	أ. د. دباغ محمد
مشرفاً	أستاذ محاضراً	د. بن زيطة احيدة
مناقشاً	أستاذ محاضراً	د. موفق طيب شريف
مناقشاً	أستاذ التعليم العالي	أ. د. يحيى عز الدين

إشراف الدكتور:

بن زيطة احيدة

إعداد الطالبة:

بن حسي جميلة

1436 / 1435 هجري
2015 / 2014 ميلادي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَةَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾

﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

□

سورة: الحج، الآيات: 28، 30.

شكر خاص

□ إذا حق الشكر للاعتراف بالفضل

فالشكر والحمد كله لله الذي منّ عليّ بكلّ
شيء، وفصّرتُ معه في كل شيء. اللهم إني
أسألك برحمّتك التي وسعت كل شيء، و
بأسمائك التي ملأت أركان كل شيء، وبنور
وجهك الذي أضاء له كل شيء أن يُخلق هذا
العمل خالصاً لوجهك يا
نور يا فديوس يا الله.

شكر و عرفان

أتوجه بالشكر والعرفان لمن رعايني طالبة منذ كان الموضوع عنواناً و فكرة إلى أن أصبح رسالة كاملة.. ولما أسداه من نصائح وتوجيهات كان لها الفضل - بعد توفيق الله تعالى - في إزالة غيمة جملي وتصحيح عثراتي... جعل الله هذا الجهد في ميزان حسناته أستاذي الدكتور: بن زينة الحميدة.

إلى جميع أساتذتي بقسم الشريعة، وإلى من مد لي يد العون من أساتذة قسم الحقوق.
إلى عمال وعاملات مكتبة جامعة أدرار.

إلى عاملات مكتبة المركز الثقافي الإسلامي بأدرار.

إلى عمال وعاملات مكتبة دار الثقافة بأدرار.

إلى عاملات مكتبة المسجد النبوي، وعاملات مكتبة الملك عبد العزيز بالسعودية.

إلى جميع هؤلاء أبعث تحية شكر واحترام.

إهداء

إلى أئمة إنسان في الوجود... تكاليف عليه الغريب مسيء، لمقامه
الشريف.. سيدنا محمد رسول الرحمة والمحبّة والسلام.

إلى من أذاب شمعتي عمريهما حتى لا تنطفئ شمعتي... والديّ الكريمين
حفظهما الله.

إلى إخوتي سندي في الدنيا ولا أحيى لهم فضل.

إلى كل من يحمل هموم أمتنا الجريئة ويسعى للنهوض بها.

إلى كل خيرٍ نور على المقادير
الإسلامية.

أهدي ثمرة هذا الجهد

المقدمة:

أحمد الله ربي من جعل حفظ الدين أعلى المقاصد وأسمى الغايات، وجعل تعظيم حرماته ومقدساته من أكبر القربات، وجعل النتائج تتصل بالمقدمات.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير مبعوثٍ لقيادة البشرية نحو الصالحات، وعلى آله وصحابه من لازموه في المسرات والنكبات، ومن على نهجهم سار إلى الخيرات. وبعد:

تمثل المقاصد الضرورية المصالح العليا في الشريعة الإسلامية، ويأتي على رأسها مقصد حفظ الدين باعتبار تأثيره القوي في باقي الكليات، بل باعتبار العلاقة الطردية بين هذا المقصد العظيم وباقي الضروريات وجوداً وعدمًا. ومن هنا فإن مصلحة حفظ الدين أصلٌ لجميع المصالح، وعليه تتوقف استقامة الأفراد والشعوب والأمم. إذ الدين مصلحة عامة وشاملة لمصالح الدين والدنيا، ومصالح الجسم والروح، ومصالح الفرد والجماعة، والمصالح العاجلة والآجلة.

وقد تنبّه المستعمر الغربي إلى أهمية هذا الدين، وكيف أنه يحول دون إخضاع العالم الإسلامي. كما أدرك في الوقت نفسه أن جبهات الصراع التي كان يعتمد عليها، والمتمثل ميدانها في الأرض ووسيلتها في الغزو المسلح لم تعد مجدية، خصوصاً في ظل المناداة بحقوق الإنسان. ليغير المستعمر مسيرة المعركة، وليصبح ميدانها عقول المسلمين، ووسائلها الإساءة إلى مقدساتهم تحت غطاء حرية الرأي والتعبير الموظفة في غير محلها.

ولأن الأمم لا قيمة لها إلا بعقائدها ومقدساتها راح المستعمر يرسم الخطط ويحيك المؤامرات لهدم العقيدة التي يقوم عليها الدين الإسلامي، إذ تمثل المنبع الذي يضخ القوة إلى شرايين جميع الأفكار الإسلامية. وصار مبدأه في هذا الهدم (إذا أربك عدوك فأفسد فكره ينتحر به، ومن ثم تستعبده). وانطلقت الصيحة إلى أن الدين الإسلامي يشكل الخطر الداهم الأكبر، ثم إلى ضرورة محاربه وإقصائه. وكانت الهجمة مركزة على مقدساته قصد زعزعة عقيدته، واستباحة حماه ومحارمه، ونثر بذور

الضلال والفساد في عقول أتباعه.

وبذا يستمد هذا الموضوع أهميته من الآتي:

01: إرتباطه بمصالح الأفراد، ذلك أن حريتي العقيدة والتعبير هما حق لكل إنسان.

02: إرتباطه بمصالح الدول الإسلامية، حيث المقصد الأساسي من إقامة الدولة الإسلامية الحفاظ على الدين والذب عنه، وذاك أول واجباتها وأعلى مهامها. ناهيك عن أن إهماله يؤول إلى زعزعة الأمن الوطني لهذه الدول.

03: إرتباطه بالواقع الدولي العالمي، إذ تحقيق السلام العالمي مرهونٌ بإقامة الدين الإسلامي، وفقدانه يثمر فتح باب الصراعات الدولية، وجرّ البشرية برمتها إلى دائرة النزاع.

04: إرتباطه القوي بالضروريات الأخرى، وأنها مرهونة به وجوداً وعدمياً. وبذا فإن البحث يتناول بالدراسة أهم كلي من كليات الشريعة الإسلامية وأعلاها.

وعن الأسباب الداعية لإنجاز هذا البحث، فتمثلت فيما يلي:

01: استشعاري كمسلمة لواجب النهي عن منكر الإساءة للمقدسات الإسلامية، المستمد فرضيته من نصوص هدي ديني الإسلامي.

02: كون مسألة الإساءة هذه تمثل إشكالية كبرى في واقعنا المعاصر، سواء في أجهزة الإعلام، أو في الأوساط الإجتماعية، حيث يتكرر طرح هذه الإشكالية مع تجدد الإساءة.

03: ما نتج عن هذه الإساءات من تمييع الكثير من المفاهيم والثوابت الإسلامية التي يحرم المساس بها تحت مسميات زائفة تروج للإلحاد بدعوى الإبداع الفكري والفني والأدبي.

04: تغاضي الحكومات الإسلامية عن الاعتداء على المقدسات الإسلامية.

وبذا فإن أهداف البحث يمكن إبرازها في الآتي:

- 01: الكشف عن الآثار السيئة الناجمة عن التفريط في التمسك بالدين.
 - 02: الإسهام في توعية الشعوب المسلمة وتبصيرها بحقيقة دينها، وفي المقابل إبراز مكر العدو والدوائر التي يتربصها بإساءته لمقدسات المسلمين.
 - 03: إبراز مدى عناية نصوص الدين الإسلامي ومقاصده بالمحافظة على حرمة وهيبة المقدسات الإسلامية، ومنع الاعتداء عليها بأي شكل من أشكال الإساءة والعدوان.
 - 04: إبراز مدى خطورة الإفراط في حرية التعبير بعيداً عن ضوابطها.
 - 05: الإسهام في البحث عن أجدى الحلول التي من شأنها حفظ حرمة المقدسات الإسلامية.
 - 06: محاولة لم شتات موضوع الإساءة إلى المقدسات الإسلامية، خاصة وأن الموضوع ذو تعلق بالمجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.
- وعن المنهج العلمي لدراسة الموضوع، فهو المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي الاستنباطي، إضافة إلى المنهج التحليلي. وبيان ذلك: أن المنهج الوصفي اعتمده في وصف النماذج التطبيقية (الفصل الخامس) المسيئة للمقدسات الإسلامية، وبذا يدخل البحث ضمن البحوث الوصفية من جهة.
- كما يدخل ضمن البحوث الاستقرائية الاستنباطية، حيث لجأت إلى استقراء النصوص واستنباط الأحكام والمقاصد منها. مثلما هو الحال في استقراء النصوص التي أفادت قصد الشارع إلى حفظ الدين، وإن كان استقراءً ناقصاً. وكما في النصوص المستقرئة التي أفادت ضوابط حرية التعبير في الإسلام.
- علاوة على أن البحث يدخل ضمن البحوث التحليلية، حيث حاولت تحليل أسباب الإساءة، ومنهج المسيء...

أما فيما يخص المنهج العملي المعتمد لكتابة هذا البحث، فتمثل في الآتي:

01: اعتماد رواية ورش عن نافع في كتابة الآيات القرآنية.

02: تخريج الأحاديث من الصحيحين، فإن لم أجد فمن باقي الكتب الستة، فإن لم أجد فمن غيرها من باقي كتب التخريج.

03: أنهج في التهميش النحو الآتي: عنوان المؤلف، المؤلف، المحقق إن وُجد، اسم دار النشر، رقم الطبعة وتاريخها، رقم الجزء أو المجلد إن وُجد، رقم الصفحة.

- أما تهميش النصوص الحديثية، فأبتدأ بالمؤلف، المؤلف، ثم باقي معلومات الكتاب (عند التخريج منه لأول مرة)، الكتاب، الباب، الجزء، الصفحة، رقم الحديث بين قوسين. وقد أخرج الحديث الواحد من عدة كتب للارتقاء به. وفي الأخير أذكر مرتبة الحديث أو الحكم عليه.

- وفيما يخص تهميش المقال العلمي: فأبتدأ بعنوان المقال، كاتبه، اسم المجلة، عددها، السنة، تاريخها، الجزء أو المجلد، الصفحة.

- وعن تهميش المقال الإلكتروني: عنوان المقال، كاتبه، الموقع، التاريخ، التوقيت.

- أما عن تهميش الرسائل العلمية: عنوان الرسالة، الباحث، المشرف، الجامعة التي نوقشت فيها الرسالة، السنة، الصفحة.

04: أستعمل كلمة "ينظر" في التهميش للدلالة على الاقتباس غير الحرفي، أو عند الاقتباس بالمعنى.

05: أما في حالة الاقتباس الحرفي فأضع النص المقتبس بين شرطين عموديتين، ولا أستعمل في الهامش أي مصطلح زائد عن معلومات التوثيق التي سبق ذكرها.

06: وعن الترجمة، فإنني لا أترجم لأحد.

وفيما يخص الإختصارات، فقد استعملتها للدلالة على الآتي:

أولاً: الإختصارات أو الرموز داخل النص.

" " : أستعمل هذا الرمز للدلالة على الاقتباس الحرفي.

(()) : أستعمله للدلالة على أن ما بين هذين القوسين هو حديث أو أثر.

[] : أستعمل المعكوفين للدلالة على القاعدة، سواء كانت فقهية أم مقاصدية.

... : أستعمل النقاط الثلاث الأفقية للدلالة على الحذف إن وضعت داخل اقتباس حرفي، وللدلالة

على عبارة إلى آخره متى وضعت في غيره.

ثانياً: اختصارات ورموز الهامش.

د / : للدلالة على أن المؤلف أو المحقق حائز على مرتبة الدكتوراه.

تح: للدلالة على لفظ تحقيق.

تر: للدلالة على لفظ ترجمة.

(د.ر): للدلالة على عبارة بدون دار النشر.

(د.س): للدلالة على عبارة بدون سنة.

(د.ط): للدلالة على عبارة بدون رقم الطبعة.

(د.ت): للدلالة على عبارة بدون تاريخ الطبع.

هـ: للدلالة على التاريخ الهجري، م: للدلالة على التاريخ الميلادي.

مج: للدلالة على لفظ مجلد.

ج: للدلالة على لفظ جزء.

- عند إعادة ذكر المقال الإلكتروني أستعمل الاختصارات الآتية:

(ع.ن): للدلالة على عبارة الموقع نفسه.

(ت.ن): للدلالة على عبارة التاريخ نفسه.

(و.ن): للدلالة على عبارة التوقيت نفسه.

وعن الدراسات السابقة للموضوع، فتمثلت في الآتي:

لم أقف سوى على دراسة سابقة واحدة، وهي عبارة عن رسالة ماجستير منشورة بعنوان: السب وعقوبته في الفقه الإسلامي (دراسة مقارنة)، من إعداد الطالب: أحمد فضل الدين، الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم الفقه وأصول الفقه، دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن، ط01: 1430هـ-2010م.

خص الفصل الأول بالحديث عن إشكالية البحث وما يتفرع عنها من أسئلة جزئية، وعن أهداف البحث، والدراسات السابقة لموضوعه، ومنهجية البحث وهيكله. أما الفصل الثاني فوضّح فيه مفهوم السب وأحكامه. ثم بيّن في الفصل الثالث ما يُعدُّ سباً في الشريعة الإسلامية والقانون الماليزي، وضوابط تحديده. وفي الفصل الرابع تحدث عن عقوبات السب في الشريعة الإسلامية، والقانون الماليزي.

أما عن **صعوبات البحث**: فيمكن إجمالها في النقص الملحوظ في الدراسات التي اعتنت بهذا الموضوع، اللهم ما كان من الدراسة السابقة، التي كانت وجهتها التعمق في الحكم الفقهي للسب، ومقارنته بالقانون الماليزي. الأمر الذي دفعني إلى اعتماد المقالات الإلكترونية أحياناً.

وعن إشكالية البحث كان مفادها: تسلسل الإساءة للمقدسات الإسلامية في الغرب عمل عشوائي اعتباري هو، أم خطة مدروسة تنفذ؟.

ويتفرع عن هذه الإشكالية إشكاليات جزئية تمثلت في الآتي:

- ما دوافع الإساءة للمقدسات الإسلامية، وما مقاصدها، وكيف يمكن مجابتهها؟.
- هل الإساءة للآخر بدعوى حرية التعبير هي حق وإن آلت إلى مفساد وأضرار؟.
- ما الضوابط الشرعية لحرية الرأي والتعبير؟.
- ما موقف الشرع من المسيء للمقدسات الإسلامية؟.

وللإجابة عنها صممت الخطة الآتية:

المقدمة.

مبحث تمهيدي:

المطلب الأول: تعريف المقصد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الدين لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: تعريف الإساءة لغة واصطلاحاً.

المطلب الرابع: تعريف المقدس لغة واصطلاحاً .

المطلب الخامس: أنواع المقدسات الإسلامية.

الفصل الأول: مسالك مقصد حفظ الدين، وآثار الإخلال به.

المبحث الأول: مسالك مقصد حفظ الدين المؤسسة (من جانب الوجود).

المطلب الأول: حفظ الدين بالتبليغ.

المطلب الثاني: حفظ الدين بالتيشير.

المطلب الثالث: حفظ الدين بإقامة الشعائر.

المطلب الرابع: حفظ الدين بالإجتهااد.

المبحث الثاني: مسالك مقصد حفظ الدين الدافعة (من جانب العدم).

المطلب الأول: حفظ الدين بمدافعة الجدل في الله.

المطلب الثاني: حفظ الدين بإقامة حد الردة.

المطلب الثالث: حفظ الدين بمدافعة الإعراض عن حكم الله تعالى.

المطلب الرابع: حفظ الدين بالجهاد.

المبحث الثالث: آثار الإخلال بالدين.

المطلب الأول: الردة والتخلف.

المطلب الثاني: شيوع الفوضى وزعزعة الأمن الوطني.

المطلب الثالث: خرق القوانين وفتح باب الصراعات الدولية.

الفصل الثاني: أسباب الإساءة إلى المقدسات الإسلامية.

المبحث الأول: أسباب الإساءة إلى المقدسات الإسلامية الخاصة بالمسلمين.

المطلب الأول: ضعف المسلمين.

المطلب الثاني: إنبهار المسلمين بالغرب.

المبحث الثاني: أسباب الإساءة إلى المقدسات الإسلامية الخاصة بالغرب.

المطلب الأول: الحقد التاريخي (سبب تاريخي).

المطلب الثاني: العداة الديني والعقدي (سبب فكري).

المطلب الثالث: المكابرة والبغي (سبب نفسي).

المطلب الرابع: الهيمنة الإقتصادية (سبب اقتصادي).

المطلب الخامس: التنافس الحضاري (سبب سياسي).

المطلب السادس: إختلاف الثقافة الغربية عن الثقافة الإسلامية (سبب ثقافي).

المبحث الثالث: أسباب الإساءة للمقدسات الإسلامية التي اشترك فيها المسلمون والغرب.

المطلب الأول: خلط المفاهيم والمعايير.

المطلب الثاني: الجهل بالإسلام.

الفصل الثالث: منهجية المسيء إلى المقدسات الإسلامية، ومقاصده، وعلاقة حرية التعبير بالكرامة

الإنسانية من خلال الإساءة للمقدسات الإسلامية.

المبحث الأول: منهجية المسيء للمقدسات الإسلامية.

المطلب الأول: شمولية الإساءة لجميع المقدسات الإسلامية.

المطلب الثاني: الهجوم من قِبَل جميع التيارات والشخصيات.

المطلب الثالث: الاستعانة بالعملاء.

المطلب الرابع: الاستمرارية في الإساءة.

المبحث الثاني: مقاصد المسيء إلى المقدسات الإسلامية.

المطلب الأول: جس نبض الشارع.

المطلب الثاني: جعل الإساءة إلى المقدسات الإسلامية أمراً طبيعياً.

المطلب الثالث: وضع الإسلام في صورة منحطة عن المعتقدات الدينية.

المطلب الرابع: تكوين رأي عام غربي مناهض للإسلام.

المطلب الخامس: القضاء على مرتكزات النهضة الإسلامية.

المطلب السادس: إذابة شخصية الأمة الإسلامية.

المبحث الثالث: علاقة حرية التعبير بمقصد حفظ الكرامة الإنسانية من خلال الإساءة للمقدسات الإسلامية.

المطلب الأول: حرية التعبير في الإسلام (خصائصها، صورها، أدلتها، حكمها).

المطلب الثاني: ضوابط حرية التعبير في الإسلام.

المطلب الثالث: تناقض حرية التعبير في الإعلان العالمي بين النظرية والتطبيق.

المطلب الرابع: الكرامة الإنسانية في الإسلام.

المطلب الخامس: حفظ الكرامة الإنسانية هو المعنى الجامع للضروريات.

المطلب السادس: علاقة حرية التعبير بمقصد حفظ الكرامة الإنسانية.

المطلب السابع: دور الشعارات في تشويه حقائق الإسلام.

الفصل الرابع: مسالك حفظ حرمة المقدسات الإسلامية.

المبحث الأول: المسالك الوقائية.

المطلب الأول: غرس العقيدة الصحيحة.

المطلب الثاني: الحث على الأخلاق وإحياء الضمير.

المطلب الثالث: إعادة النظر في البرامج التربوية للبلدان الإسلامية.

المطلب الرابع: الوحدة الإسلامية.

المطلب الخامس: ثورة إقتصادية إسلامية.

المبحث الثاني: المسالك العلاجية.

المطلب الأول: المقاطعة الإقتصادية.

المطلب الثاني: جمع شبهات الغزو الفكري، ودراستها، والردّ عليها.

المطلب الثالث: دور هيئة الأمم المتحدة من خلال الموقف المشترك للدول الإسلامية.

الفصل الخامس: نماذج تطبيقية من الإساءة للمقدسات الإسلامية.

المبحث الأول: الإساءة إلى الذات الإلهية العلية.

المطلب الأول: الإساءة إلى ذات الله وصفاته (فيديو الإله الإسلامي كما ورد في الحديث والقرآن. أنموذجاً).

الفرع الأول: وصف فيديو الإله الإسلامي كما ورد في الحديث والقرآن.

الفرع الثاني: الرد على فيديو الإله الإسلامي كما ورد في الحديث والقرآن.

المطلب الثاني: الإساءة إلى أسماء الله الحسنى (مسلسل أبطال 99 أنموذجاً).

الفرع الأول: وصف مسلسل أبطال 99.

الفرع الثاني: الرد على مسلسل أبطال 99.

المبحث الثاني: الإساءة إلى القرآن الكريم (فيديو حرق القرآن أنموذجاً) .

المطلب الأول: إساءات فيديو حرق القرآن (التدنيس، السب، التمزيق، الحرق).

الفرع الأول: وصف فيديو حرق القرآن.

الفرع الثاني: الرد على فيديو حرق القرآن.

المطلب الثاني: إساءات فيديو حرق القرآن (إثارة الشبهات في القرآن، والردود عليها) .

الفرع الأول: شبهة القرآن يدعو للشذوذ الجنسي مع الغلمان، والرد عليها.

الفرع الثاني: شبهة القرآن يدعو لضرب المرأة، والرد عليها.

المبحث الثالث: شبهات أُخر في الإساءة للمقدسات الإسلامية، والردود عليها.

المطلب الأول: شبهة الحجاب منافٍ لمقصد تكريم المرأة، والرد عليها .

المطلب الثاني: شبهة التحريم منافٍ لمقصد التيسير، والرد عليها.

المطلب الثالث: شبهة قتل المرتد منافٍ لمقصد إرسال محمد عليه السلام رحمة للعالمين، والرد عليها.

مبحث تمهیدی

مبحث تمهيدي:

وقبل الخوض في غمار هذا البحث لا بأس بإزالة لبس بعض المصطلحات التي تمت للموضوع بصلة قوية، والتي يكثر ذكرها بداخله حتى ينجلي المقصود من البحث.

المطلب الأول: تعريف المقصد لغة واصطلاحاً.

الفرع الأول: تعريف المقصد لغة.

كلمة "مقصد" بكسر الصاد، أو "مقصد" بفتحها، كلاهما مصدر للفعل "قصد" "يقصد". وجمع مقصد مقاصد. وهذا الفعل في اللغة له معان متعددة أذكر منها:

01: معنى التوسط والاعتدال.¹ كما في قول الحق تعالى: ﴿وَأَفْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾.² وفي الحديث: ((كانت صلواته قصاداً، وخطبته قصاداً)).³ أي: متوسطة معتدلة.

02: معنى استقامة الطريق. قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾.⁴ أي: وعلى الله بيان الطريق المستقيم من طريق الضلالة. ويقال طريق قاصد أي: طريق مستقيم، وسهم قاصد أي: مستوي نحو الرميّة.⁵

1 ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي، دار الهداية، (د.ط)، (د.ت)، ج9، ص36.

2 سورة: لقمان، الآية: 18.

3 الحديث: رواه مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري في المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ط)، (د.ت)، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ج2، ص591(41).

4 سورة: النحل، الآية: 09.

5 ينظر: أساس البلاغة، أبو القاسم محمود جار الله، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - لبنان، ط1: 1419هـ - 1998م، ج02، ص81.

03: معنى التوجه. تقول قصدت بيت الله الحرام أي: توجهت لزيارته.¹ وفي الحديث النبوي:

((فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجلٍ من المسلمين قَصَدَ له فقتله)).²

04: معنى الهدف والغاية. تقول: إنسان حسن القصد أي: حسن الغاية والهدف.³

05: معنى المرمى. وفي الحديث: ((ليس وراء الله مرمى)).⁴ أي ليس هناك مقصد تُرمى إليه الآمال

أكبر من مقصد رضوان الله سبحانه.⁵

الفرع الثاني: تعريف المقصد اصطلاحاً.

بند أول: تعريف المقصد عند العلماء القدامى.

إن الناظر في تاريخ علم المقاصد لا يكاد يقف على تعريف دقيق للمقاصد من طرف علماء المسلمين القدامى يحظى بالقبول والاتفاق، فقد عبّروا عن المقصد في سياق كلامهم بتعبيراتٍ مختلفة. لكن المهم أن المقصد كان حاضراً في أذهانهم أثناء عملية الاجتهاد معنيّاً وتأصيلاً وتمثيلاً. ومن تلك التعبيرات التي استعملها علماء الإسلام القدامى للدلالة على المقصد ما يلي:

01: لفظ العلة. كما في قول الترمذي (ت نحو 320هـ) وهو يبين قصد الشارع من النهي عن زيارة

1 ينظر: لسان العرب، محمد ابن منظور، دار صادر - بيروت، ط03: 1414هـ، ج02، ص226.

2 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، ج1، ص97(160).

3 ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط01: 1429هـ - 2008م، ج3، ص1820.

4 الحديث: رواه مالك بن أنس الأصبحي في موطأ الإمام مالك، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - لبنان، (د.ط)، 1406هـ - 1985م، كتاب القدر، باب جامع ما جاء في أهل القدر، ج02، ص901(9)؛ ولعل رواية أبو بكر أحمد بن عمرو البزار في مسند البزار، تح: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط01: 2009م، مسند عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، ومما روى الشيوخ عن عبد الرحمن بن عوف، ج03، ص262 (1053) ((ما وراء الله مرمى لمن رمى)) هي رواية تشهد للحديث وتقويه.

5 ينظر: تاج العروس، محمد الزبيدي، ج38، ص187 (مرجع سابق).

القبور في إحدى الفترات في قوله عليه السلام: ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ولا تقولوا هجرًا)).¹ قال الترمذي: "فبيّن عليه السلام علة النهي أنهم كانوا إذا زاروا القبور قالوا هجرًا، فصاروا إلى النياحة، فلما تمسكوا وعقلوا الإسلام أطلق لهم الزيارة".²

02: لفظ الغرض. كالذي عبّر به الجويني (ت 478هـ) في كتابه البرهان للدلالة على المقصد أزيد من ثلاثٍ وثمانون مرة فيما وقفْتُ عليه. ومن أمثلة ذلك بيانه للمقصد من مكاتبة العبد بقوله: "ان الغرض من الكتابة تحصيل العتق".³ كما عبّر أيضاً بلفظ المقصد والمقصود مرات عدة، في المؤلف ذاته، بل وأحياناً مقروناً بلفظ الغرض. مما يدل دلالة قوية على أنه أراد بالغرض المقصد. ومن أمثلة ذلك قوله: "ومما يحقق الغرض والمقصد منه أن منصب السائل في وضع الجدل يمنعه من الدليل ويحصر كلامه في التعرض للاعتراضات".⁴

03: لفظ المصلحة. كالذي عبّر به أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) بقوله: "نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع".⁵ وفي مؤلف آخر له وهو يبين المقصد من تشريع الصلاة قال: "وقد نبّه على

1 الحديث: رواه محمد بن عيسى بن سؤرة الترمذي في الجامع الكبير (سنن الترمذي)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، (د.ط)، 1998م، أبواب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور، ج 02، ص 361 (1054)؛ و أحمد بن محمد بن حنبل في مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط 01: 1421هـ-2001م، تنمة مسند الأنصار، حديث بريدة الأسلمي، ج 38، ص 156 (23052)؛ وأحمد بن الحسين البيهقي في السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - لبنان، ط 3: 1424هـ-2003م، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ج 04، ص 129 (7198).

2 المنهيات، محمد بن علي الترمذي، تح: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع - مصر، (د.ط)، 1406هـ-1986م، ص 84.

3 البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله الجويني، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية - لبنان، ط 01: 1418هـ-1997م، ج 2، ص 80.

4 البرهان في أصول الفقه، عبد الملك الجويني، ج 2، ص 128 (مرجع سابق).

5 المستصفي، أبو حامد الغزالي، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط 1: 1413هـ-1993م، ص 174.

مصالح الدين في قوله في الصلاة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.¹ وما يُكفُّ عن الفحشاء فهو جامع لمصالح الدين، وقد تقتزن به مصلحة الدنيا أيضاً.²

04: لفظ الحكمة. كالذي عبّر به ابن رشد الحفيد (ت 595هـ) لَمَّا قال: "فلنفوِّض أمثال هذه المصالح إلى العلماء بحكمة الشرائع".³

بند ثان: تعريف المقصد عند العلماء المعاصرين. عُرف بالجمع كما في الآتي:

01: تعريف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: "مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة، وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضاً معانٍ من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها".⁴

02: تعريف علال الفاسي: "المراد بمقاصد الشريعة؛ الغاية منها؛ والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها".⁵

03: تعريف الدكتور أحمد الريسوني: "إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل

1 سورة: العنكبوت، الآية: 45.

2 شفاء الغليل في بيان الشبّه والمخيل ومسالك التعليل، أبي حامد الغزالي، تح: د/حمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد - بغداد، ط01: 1390هـ - 1971م، ص161.

3 بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن رشد القرطبي، دار الحديث - القاهرة، (د.ط)، 1425هـ - 2004م، ج3، ص69.

4 مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تح: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن، ط02: 1421هـ - 2001م، ص251.

5 مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط5: 1993م، ص7.

تحقيقها، لمصلحة العباد".¹

04: تعريف الدكتور محمد سعد اليوبي: "المقاصد هي المعاني والحِكَم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً، من أجل تحقيق مصالح العباد".²

ومما سبق يمكنني القول: أن تعريف الشيخ ابن عاشور للمقاصد لم يكن جامعاً لأقسام المقاصد، حيث اقتصر تركيزه على قسم المقاصد العامة، وذلك أمرٌ ظاهر في مطلع التعريف، ناهيك عن أن هذا التعريف افتقد الإيجاز الذي يشترط في التعريف فهو مفهوم لا تعريف كما قال البعض. أما تعريف الأستاذ الفاسي فأراه استبعد ذكر المقاصد الخاصة. كما اقتصر الدكتور الريسوني على ذكر المقاصد العامة. أما الدكتور اليوبي فأراه استبعد ذكر المقاصد الجزئية، والله أعلم.

المطلب الثاني: تعريف الدين لغةً واصطلاحاً.

الفرع الأول: تعريف الدين لغة. للدين معان لغوية متعددة أذكر منها:

01: معنى العبودية والطاعة.³ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾⁴ أي: إن الطاعة عند الله الإسلام. وكما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾⁵ أي: في طاعة الملك.

1 نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط2: 1412هـ-1992م، ص07.

2 مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة، د/محمد سعد اليوبي، دار الهجرة للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية، ط1: 1418هـ - 1998م، ص37.

3 ينظر: مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس الرازي، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2: 1406هـ-1986م، ج1، ص342.

4 سورة: آل عمران، الآية: 19.

5 سورة: يوسف، الآية: 76.

02: معنى الجزاء والحساب¹، ومنه قول الحق تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾² أي: ملك يوم الجزاء والحساب.³

وهذا المعنى هو المقصود بالدين في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ﴾⁴، وأيضاً هو المراد في قوله: ﴿هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾⁵، وقوله: ﴿أَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾⁶. وفي الحديث: ((كما تدين تدان)).⁷ أي: كما تُجازي تُجازى.

03: معنى العقيدة والملة.⁸ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَسَ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾⁹ أي: تتبع دينهم واعتقادهم.

04: معنى الطريق والشريعة والمنهاج. كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ

1 ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد الأندلسي، صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، (د.ط)، 1420هـ، ج9، ص550.

2 سورة: الفاتحة، الآية: 03.

3 ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، تح: د/حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر - لبنان، دار الفكر - سورية، ط1: 1420هـ - 1999م، ج4، ص2208.

4 سورة: الذاريات، الآية: 12.

5 سورة: الواقعة، الآية: 59.

6 سورة: الصافات، الآية: 53.

7 الحديث: رواه محمد بن إسماعيل البخاري في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه، تح: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1: 1422هـ، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، ج6، ص17 (د. ق).

8 ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم الأنباري، تح: د/حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1: 1412هـ - 1992م، ج1، ص279.

9 سورة: البقرة، الآية: 119.

بَاتَّبِعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ¹، وقوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ﴾²
أي: ديناً.³

05: بمعنى الفِطْرَة. كما في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خمس من الفطرة: الختان، و الاستِحْدَادُ، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقصُّ الشارب)).⁴ وجميع ذلك من الدين.⁵

06: بمعنى الإسلام⁶، كما هو ظاهرٌ في قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁷، وفي قوله: ﴿أَبْغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.⁸ بل وهو المراد في قول الحبيب المصطفى عليه السلام: ((من بدل دينه فاقتلوه)).⁹ أي: من بدل دين الإسلام وتحول عنه فالقتل جزاؤه، وإلا فلا يعقل أمر النبي عليه السلام بقتل من تحول عن دين باطل إلى ضده.

الفرع الثاني: تعريف الدين اصطلاحاً.

عرف علماء الإسلام الدين بتعريفات كثيرة، اخترت أشهرها وهو: "وضعٌ إلهي سائق لذوي العقول

1 سورة: الجاثية، الآية: 17.

2 سورة: المائدة، الآية: 50.

3 ينظر: تهذيب اللغة، محمد المهروي، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1: 01: 2001م، ص270.

4 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب قص الشارب، ج4، ص160 (5889).

5 ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الأزدي، تح: د/ زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة - مصر، ط1: 01: 1415هـ-1995م، ص285.

6 ينظر: كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية - لبنان، ط1: 1403هـ - 1983م، ص105.

7 سورة: المائدة، الآية: 04.

8 سورة: آل عمران، الآية: 82.

9 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب لا يُعَذَّبُ بعذاب الله، ج4، ص61 (3017).

باختيارهم إيّاه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل".¹

فخرج بالوضع الإلهي: الأوضاع البشرية كالتدابير المعاشية والصناعية والقوانين والرسوم السياسية.

وخرج بقولهم سائق: الوضع الإلهي الغير السائق، كإمطار السماء وإنبات الأرض.

وخرج بقولهم لذوي العقول: ما جعله الله يسوق به من لا عقل له، كالأوضاع الطبيعية التي يهدي بها

الله الحيوانات لما ينفعها وما يضرها.

وخرج بالاختيار: الوضع الإلهي القسري السائق في الاضطرار كالوجدانيات.²

وخرج بقولهم إيّاه: اختيار غير هذا الوضع الإلهي المرشد لأهل العقول والأفهام.

وخرج بالصلاح في الحال والفلاح في المآل: صلاح وفلاح ما سوى الدنيا والآخرة، ولا يوجد.

فكأنهم أرادوا قول: سعادة الدارين يرشد إليها هذا الدين.

المطلب الثالث: تعريف الإساءة لغة واصطلاحاً.

الفرع الأول: تعريف الإساءة لغةً.

الإساءة مصدر أساء، وقد ورد في اللغة بمعاني عدة، منها:

01: معنى الإهانة والاحتقار.³

1 موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي الفاروقي، تح: د/ علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط1: 1996م، ج1، ص814.

2 ينظر: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غانم النفراوي، دار الفكر، (د.ط)، 1415هـ-1995م، ج1، ص26.

3 ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط01: 1429هـ-2008م، ج1، ص358.

وفي التنزيل: ﴿لَيْسَ سَوْغُوا وَجُوهَكُمْ﴾¹ أي: ليهينوكم.

02: معنى الإيذاء والشر.² وفي الحديث الشريف: ((إن القلوب جُبلت على حبٍّ من أحسن إليها، وبُغض من أساء إليها)).³

03: معنى الإفساد. يقال أساء فلان الخياطة. أي: أفسدها.⁴ وفي التنزيل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَبِعَلَّيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾⁵.

04: معنى الإعتداء والإضرار والظلم. يقال هذا الرجل أساء إلى فلان، بمعنى ألحق به ما يضره ويشينه.⁶ وفي الحديث النبوي: ((لا تكونوا إمعاً، تقولون: إن أحسن الناس أحسناً، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطّئوا أنفُسَكُم، إن أحسن النَّاس أن تُحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا)).⁷

الفرع الثاني: تعريف الإساءة اصطلاحاً.

1 سورة: الإسراء، الآية: 07.

2 ينظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلنجي، حامد صادق قبيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2: 1408 هـ - 1988 م، ص56.

3 الحديث: رواه محمد بن حبان في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص243؛ وأحمد بن الحسين البيهقي في شعب الإيمان، تح: د/عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض، ط1: 1423 هـ - 2003 م، ج11، ص307(8574)؛ وجمال الدين الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تح: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية - باكستان، ط2: 1401 هـ - 1981 م، كتاب فعل المعروف والبر والصلة، ج2، ص29(861)؛ وإن كان في سند الحديث مقال إلا أنني أتيت به للإستأناس.

4 ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج01، ص97 (مرجع سابق).

5 سورة: الجاثية، الآية: 14.

6 ينظر: تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيترآن دُوزي، تر: محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية، ط1: 1979 م - 2000 م، ج6، ص177.

7 الحديث: رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو، ج3، ص432 (2007)، وقال: هذا حديث حسنٌ غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

لم أقف على تعريف علماء الإسلام للإساءة، وأعرّفها بالآتي: كل قول أو فعل ظهر فيه معنى الإهانة والانتقاص والاستهزاء، سواء كان ناتجاً عن اعتقاد أو عناد أو مزاح.

المطلب الرابع: تعريف المقدّس لغةً واصطلاحاً.

الفرع الأول: تعريف المقدّس لغة.

المقدّس - مفرد - وجمعه مقدّسات، و"قدّس ل يقدّس، تقديساً، فهو مقدّس، والمفعول مقدّس (للمتعدي)"¹، وقد ورد في اللغة بمعاني عدة أذكر منها:

01: معنى التطهير، ومنه قول الله تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾² أي: نظهّر أنفسنا كي تكون أهلاً للإقبال عليك. ومن معنى الطُّهر قيل للجنة حظيرة القدس. وقيل لجبريل عليه السلام روح القدس.³ وقيل: "إنما سُمِّي السُّطَل قَدَساً لأنه يُتَطَهَّر به ويتوضأ منه".⁴

02: معنى البركة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾⁵ أي: الواد المبارك. وبه سُمِّيت أرض الشام أرض مقدسة.⁶

1 معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد، ج3، ص1782 (مرجع سابق).

2 سورة: البقرة، الآية: 29.

3 ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل الفارابي، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4: 1407هـ-1987م، ج3، ص960.

4 تصحيح التصحيف وتحريف التحريف، صلاح الدين خليل الصفدي، تح: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط1: 1407هـ-1987م، ص413.

5 سورة: طه، الآية: 11.

6 ينظر: جهرة اللغة، أبو بكر محمد الأزدي، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط1: 1978م، ج2، ص646.

03: معنى الإحترام، يقال فلان يقدس الحياة الزوجية، أي: يحترمها.¹

04: معنى التمجيد والتعظيم والتنزيه. أقول أنا أقدس الله أي: أجدده وأعظمه وأنزهه عن كل ما لا يليق به.² والقدوس من أسماء الله الحسنى. قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾³ ومعنى القدوس المدوح بالفضائل والكمال، والمنزه عن كل وصف يتصوره الخيال أو يدركه الحس.

الفرع الثاني: تعريف المقدس اصطلاحاً.

لم أقف على تعريف علماء الإسلام للمقدس، وقد عرفته بالآتي: كل ما ثبت بالشرع طهره وبركته وحرّمته وتعظيمه، وهو أمر يبعث في النفس احتراماً وهيبة.

المطلب الخامس: أنواع المقدسات الإسلامية.

إذا كان للإسلام مقدساته التي ترتبط بشرائعه وشعائره، ففيما تتمثل هذه المقدسات وما هي أنواعها؟.

النوع الأول: الذات الإلهية العلية المقدسة.

وذاوات الله تعالى لا يخالج أدنى شك في قداستها، بل هي أقدس المقدسات وأصلها. فإذا كانت سائر المقدسات الأخرى قد اكتسبت صفة القداسة من تقديس الله لها، وغدت تُنعت بالطهر والبركة والتعظيم فإن العقل يقضي بأن الفاعل قدوسٌ حتماً ومن باب أولى، وأنه أشرف منها. وقد فسّر اسم

1 ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د/أحمد مختار عبد الحميد عمر، ج3، ص1782 (مرجع سابق).

2 ينظر: تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتران دوزي، ج8، ص197 (مرجع سابق).

3 سورة: الحشر، الآية: 23.

الله القدوس في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾¹ بالظاهر المبارك. قال وهب بن منبّه: "أَيُّ الطَّاهِرِ". وقال مجاهد، وقتادة أي المبارك²

وعلاوة على هذا فإن الذات العلية تستأثر وتختص بمعنى من معاني التقديس التي مرت معنا في التعريف اللغوي للمقدس، ألا وهو معنى التمجيد والتنزيه، وبذا فسر اسم القدوس في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾³، فهو سبحانه وحده المنزه عن النقص في ذاته وأسمائه وصفاته، والمتصف بكل كمال⁴.

النوع الثاني: شخصيات مقدسة.

وأقصد بها جميع المخلوقات المكلفة، التي ثبت بالنص طهرها وبركتها وحرمتها، ويشمل هذا الملائكة الأطهار. قال تعالى في وصفهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾⁵. فالملائكة مطهرون من المعاصي، وهم في درجات عالية ومقامات سامية، ممثلون لأوامر القدوس قولاً وعملاً.

كما يُستشف قدسية الملائكة من قوله تعالى: ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٦٧﴾ تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾⁶. فلو لم تكن الملائكة مطهرة مباركة من عند الله لَمَا استحقت مقام الصعود إلى الله ذو العلو والكمال. كما ظهرت قداستها أيضاً في بقاء قُربها من الله

1 سورة: الحشر، الآية: 23.

2 تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2: 1420هـ-1999م، ج08، ص79.

3 سورة: الجمعة، الآية: 01.

4 ينظر: التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد- بيروت، ط10: 1413هـ، ج03، ص672.

5 سورة: الأنبياء، الآيتان: 26، 27.

6 سورة: المعارج، الآيتان: 03، 04.

وحضوعها له. قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾¹.
 ولأنهم مطهرون جعلهم الله ينزلون على الذين استقاموا من البشر وطهروا أنفسهم له بطاعته،
 ليثبتوهم ويؤنسوهم ويشدوا على أيديهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَنْزِيلَ
 عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٦﴾ نَحْنُ
 أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾² فبشارة الطهر لا ينزل بها إلا طاهر. كما بين سبحانه
 قداسة ملائكته في قوله: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ
 الْمُفْرَبُونَ﴾³. ولما كانت ليلة القدر مباركة فقد زادها الله شرفاً بنزول موصوف بوصفها. قال عز من
 قائل سبحانه: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿١٩٧﴾ تَنْزِيلَ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ
 كُلِّ أَمْرٍ﴾⁴.

كما تشمل الشخصيات المقدسة شخصيات الأنبياء والمرسلين، ويكفي للدلالة على قداستهم أن الله
 اصطفاهم ببعثته إياهم إلى عباده، وأيدهم بكتبه، وقرن الإيمان به بالإيمان بهم، كما في قول
 الحق: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يُقَرِّفُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ؕ وَوَلَّيكَ سَوْفَ نُوتِيهِمْ ؕ
 ءِجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾⁵ وقال أيضاً: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ فَبَلَّ الْمَشْرُقِ
 وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾⁶.

1 سورة: الزمر، الآية: 72.

2 سورة: فصلت، الآيتان: 29، 30.

3 سورة: النساء، الآية: 171.

4 سورة: القدر، الآيتان: 03، 04.

5 سورة: النساء، الآية: 151.

6 سورة: البقرة، الآية: 176.

وقال: ﴿بِقَامِنُوهَا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوهَا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.¹ ولأن الأنبياء والمرسلين هم مصطفىون مقدسون جعل سبحانه نصرتهم سبباً للفوز بالجنان. قال جلّ جلاله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِن أَفْتُمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾²، بل وتوعد سبحانه بالعقاب لكل من أساء إلى هؤلاء المقدسين، كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأْتُمْ بِرُسُلِ مِثْلِكُمْ فَجَاءَ بِالسَّحَابِ فَغَطَّتْهُمْ أَجْنَابٌ مِّنَ السَّمَاءِ فَنَزَلْتُمُوهُمْ مِنَ السَّمَاءِ فِي مَوَاقِعَ مَعْدِنٍ وَاللَّذَّالِجِينَ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ خَالِدٌ فِيهَا وَلَهُمْ فِيهَا أَعْيُنٌ مُّدْرِجَةٌ وَأُذُنٌ مُّدْرِجَةٌ وَأَسْمَاءُ مِمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾.³

هذا وإني أرى أن جميع الشخصيات البشرية مقدسة انطلاقاً من قول القدوس: ﴿بِإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَبَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.⁴ فكل نفس آدمية الطُّهْرُ موجودٌ في أصلها، بغض النظر عن مدى برِّ صاحبها أو فجوره، هذا من جهة العموم.

أما من جهة الخصوص، فإن النفوس البشرية المؤمنة أعظم حرمة وقداسة، لِمَا حَدَّثَ به عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، ويقول: ((ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده، حرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله، ودمه، وأن نَظُنُّ به إلا خيراً)).⁵ بل إن حرمة المؤمن أعظم من زوال الدنيا بأسرها،

1 سورة: آل عمران، الآية: 179.

2 سورة: المائدة، الآية: 13.

3 سورة: الأنبياء، الآية: 41.

4 سورة: ص، الآية: 71.

5 الحديث: رواه محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه) في سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله، ج2، ص1297 (3932)؛ وقال الألباني في الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو

فنع عبد الله بن عمرو، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ)).¹

النوع الثالث: أماكن مقدسة.

وكما يختار الله سبحانه من بين البشر من يصطفيهم بالنبوة والرسالة يختار من أرضه بقاع يجعلها مباركة مطهرة، من ذلك المساجد، فقد ثبت بالنصوص الصحيحة الصريحة حرمتها وقداستها، ويكفي في بيان قداستها أن الله تعالى أضافها لنفسه، فقال: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾²، وقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ بَعِبَىٰ ذُرِّيَّتِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.³ ولأنها مقدسة توعده سبحانه من يسعون في تخريبها ليمنعوا الناس منها بالعقاب في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ذُرِّيَّتِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِبِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.⁴ ولما كانت المساجد مقدسة في الإسلام نبه سبحانه إلى أنه لا ينبغي أن يكون عمارها من غير المؤمنين. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ذُرِّيَّتِكَ

عبيدة مشهور آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، ط1: 1424هـ. قال: صحيح لغيره. مج2، ص928 (2441).

1 الحديث: رواه الترمذي في سننه، أبواب الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن، ج3، ص68 (1395)؛ وصححه الألباني في الترغيب والترهيب، مج2، ص928 (2439).

2 سورة: الجن، الآية: 18.

3 سورة: التوبة، الآية: 18.

4 سورة: البقرة، الآية: 113.

حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ»¹.

ثم إن الله عز شأنه اصطفى من هذه المساجد مساجد زَادَهَا تَشْرِيفاً وتعظيماً كالمسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى. وفي الحديث: ((لا تشد الرَّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى)).² بل إن أرض مكة وأرض المدينة وأرض فلسطين جميعها أراضي مقدسة، ففي كون أرض مكة مقدسة ظاهرة أفهمه من ازدياد حرمة تعاطي المحظورات فيها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: ((...فإن دمائكم، وأموالكم، وأعراضكم، بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليلبغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه))³، والشاهد من الحديث قوله: ((في بلدكم هذا)) وكان رسول الله حينها في مكة. كما قرنه بمقدسين (شهر ذي الحجة، يوم عرفة) فلزم منه أن يكون مقدساً، بل صرح عليه السلام بجرمة مكة في حديث آخر له، قال: ((إن مكة حَرَمَهَا اللهُ، ولم يجرمها الناس، فلا يحلُّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفكَ بها دمًا، ولا يعصِدَ بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، فقولوا: إن الله قد أذنَ لرسوله ولم يأذنَ لكم، وإنما أذنَ لي فيها ساعةً من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبغ الشاهد الغائب)).⁴

هذا وإن الكعبة الشريفة يشملها هذا النوع من المقدسات. وفي ثبوت كونها مقدساً إسلامياً مباركاً يكفي أن أورد قول الملكِ جَلَّ جلاله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبْرَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَإِيَّاهُ عَآيَةٌ بَيِّنَةٌ مِّمَّا قَامَ إِبرَاهِيمَ وَمَسَّ دَحَلُهُ، كَانَ ءَامِنًا﴾⁵. وذكرُ هذا المقدس

1 سورة: التوبة، الآية: 17.

2 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، ج3، ص19 (1864).

3 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((رب مبلغ أوعى من سامع))، ج1، ص14 (67).

4 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: ليلبغ العلم الشاهد الغائب، ج1، ص32 (104).

5 سورة: آل عمران، الآيتان: 96، 97.

هنا للتنبيه على قداسته، إلا أن في الحقيقة البلد الحرام يشملها، والمسجد الحرام من باب أولى، وقد بيّنتُ قداستهما.

وفي كون أرض المدينة مقدسة يكفي إيراد قوله عليه السلام: ((...المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده، لا يخرج منهم أحد رغبةً عنها إلا أحلف الله فيها خيراً منه، ألا إن المدينة كالكبير، تُخرَجُ الخبيث، لا تقوم الساعةُ حتى تنفي المدينة شرارها، كما ينفي الكبيرُ خبث الحديد))¹، فطهر المدينة وبركتها ظاهرٌ في الحديث.

وللتنبيه أيضاً فإن الروضة الشريفة مقدس إسلامي، موقعها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين قبره عليه السلام ومنبره (ومعلوم أن قبره في حجرة أمنا عائشة رضي الله عنها). وقد قُدِّرت مسافة الروضة بـ "ثلاثة وخمسون ذراعاً"². وعن قداسة المكان ألمسئله من ظاهر الحديث: ((ما بيّن بيّتي ومنبري روضةً من رياض الجنة))³، وكفى بالجنة أرض طهرٍ و بركة.

وعن كون أرض فلسطين مقدسة أفهمه من قول الحق تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾⁴، فجميع الأرض المحيطة بالمسجد الأقصى مباركة مقدسة. ثم إن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد ذلك: ((عليكم بالشام، فإنها صفوة بلاد الله يسكنها خيرته من خلقه، فمن أبي فليلحق بيمنه، وليستق من غدوره، فإن الله تكفل لي بالشام وأهله))⁵. ومعلوم أن أرض فلسطين من بقاع أرض الشام، كما أرض الأردن ولبنان

1 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها، ج2، ص1005 (487).

2 حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر الحميري، تح: محمد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج- جدة، ط1: 1419هـ، ص493.

3 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، ج02، ص1010(500).

4 سورة: الإسراء، الآية: 01.

5 الحديث: رواه سليمان بن أحمد الطبراني في المعجم الكبير، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط2، (د.ت)، باب الواو، ما أسند واثلة مكحول الشامي، ج22، ص58 (137)؛ نور الدين علي الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع

وسورية والعراق.

النوع الرابع: أزمانة مقدسة.

قدس الشارع الحكيم بعض الأوقات على بعض، رحمة بعباده وجلباً للصالح لهم. ومن تلك الأوقات ما يلي:

اصطفى الله سبحانه من بين الشهور شهر رمضان فَبَارَكَهُ وضاَعَفَ فيه أجور الأعمال الصالحات، وجعله مطهراً للناس من الأرجاس والسيئات. قال عليه الصلاة والسلام: ((إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم وسُلسلت الشياطين)).¹ وقال أيضاً: ((من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدم من ذنبه)).²

واصطفى سبحانه يوم الجمعة على سائر أيام الأسبوع، قال الصادق المصدوق عليه السلام: ((سَيِّدُ الأَيَّامِ يَوْمُ الجمعة)).³

واصطفى من سائر الأيام مطلقاً يوم عرفة، فجعله أكثر الأيام تطهيراً للعباد. قال عليه الصلاة والسلام: ((ما من يومٍ أكثر من أن يُعْتَقَ اللهُ فيه عبداً من النار، من يوم عرفة)).⁴ وقال أيضاً: ((صيام

الفوائد، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي - القاهرة، (د.ط)، 1414هـ - 1994م، كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل الشام، ج10، ص59 (16650)؛ وقد صحح الحديث محمد ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، (د.ط)، (د.ت)، ج02، ص751 (4070).

1 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ج04، ص123 (3277).

2 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، ج1، ص16 (37).

3 الحديث: رواه الطبراني في معجمه الكبير، باب العين، ج09، ص205 (9000)؛ ويشهد له ما رواه مسلم في صحيحه ((الصلاة الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن، ما لم تُغش الكبائر))، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة...، ج1، ص209 (14).

4 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة، ج2، ص982 (436).

يوم عرفة، أحسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده)).¹

وجعل الشارع سبحانه ليلة القدر أفضل الليالي. قال عزَّ شأنه: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

تَنْزِيلُ الْمَلَكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿١﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعَ الْبَجْرُ ﴿٢﴾

كما جعل الثلث الأخير من الليل مباركاً، فقد ثبت في الصحيح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ينزل رُثْنَا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفري فأغفر له)).³

النوع الخامس: أشياء مقدسة .

والمتبع لنصوص الشرع يقف على أن الإسلام قدس أشياء عدة، أذكر منها:

المصحف الشريف، ولا أدل من أن أستدل على قداسته من قول الحق تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٢﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾⁴، فقد بينت الآية أن القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم في كتابٍ معظمٍ موقرٍ لا ينبغي لغير المطهر أن يمسه. كما أثبتت آيات أخر قداسته، كقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾⁵. فأثبتت الآية أن هذا الكتاب (القرآن) مقدسٌ كثيرٌ خيره ونفعه. ويكفي في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ

1 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة، ج02، ص818 (196).

2 سورة: القدر، الآيات: 03 – 05.

3 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، ج2، ص53 (1145).

4 سورة: الواقعة، الآيات: 80 – 83.

5 سورة: ص، الآية: 28.

حَكِيمٍ حَمِيدٍ¹. أنه أضاف الكتاب إليه عز شأنه وأنه منزلٌ من عنده، وكفى بهذا شرفاً ومكرمة. كما ثبتت قداسة القرآن في قوله: ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ غَاوِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ الْمَصِيرُ²، وفي قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾³. وبذا فإن المصحف الشريف كتاب مقدس وجميع آياته مقدسة.

وإلى جانب هذه المقدسات أذكر الحجر الأسود، وهو حجر في الركن الشرقي الجنوبي من الكعبة، يبلغ قطره نحو ثلاثون سم. وقد كان الناس قبل الإسلام يلمسون هذا الحجر تبركاً به، ولما جاء الإسلام شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبيل الحجر، فعن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقَبَلَهُ، فقال: ((إني أعلم أنك حجرٌ، لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلكَ ما قبَلْتُكَ)).⁴ ومعلوم أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم هو تشريع.

كما ألمس كون الحجر الأسود مقدساً من نزوله من حظيرة الطُّهر (الجنة)، قال الصادق المصدوق عليه السلام: ((الحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ)).⁵ والمسح عليه مطهراً من الذنوب، فعن ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ مَسْحَ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ وَالرُّكْنِ الْأَسْوَدِ يُحَطُّ الْخَطَايَا حَطًّا)).⁶

1 سورة: فصلت، الآيتان: 40، 41.

2 سورة: غافر، الآيتان: 01، 02.

3 سورة: الحجر، الآية: 09.

4 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، ج2، ص149(1597).

5 الحديث: رواه أحمد بن شعيب الخراساني (النسائي) في السنن الكبرى، تح: حسن عبد المنعم شليبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1: 1421هـ-2001م، كتاب المناسك، ذكر الحجر الأسود، ج4، ص123(3902)؛ وأحمد بن محمد بن حنبل في مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1: 1421هـ-2001م، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، ج21، ص380 (13944)؛ ويشهد له حديث ابن عباس رضي الله عنه: ((نزل الحجر الأسود من الجنة))، والذي قال فيه الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح. ج2، ص218(877).

6 الحديث: رواه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ج9، ص442

هذا وأن مقام إبراهيم عليه السلام مقدسٌ إسلامي داخِلٌ في هذا الضرب، وهو حجرٌ كان يقوم عليه نبي الله إبراهيم عليه السلام وهو بيني الكعبة، وابنه إسماعيل عليه السلام يناوله الحجارة. وقد حفظ الله أثر قدم الخليل إبراهيم على هذه الحجارة.

ومقام إبراهيم مقابلٌ لباب الكعبة الشريفة، وكان ملصقاً بالبيت الحرام في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان أبي بكر رضي الله عنه، ثم أخره عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمانه كي لا يضيق على الطائفين بالبيت. وقد نبّه الله تعالى إلى أن مقام إبراهيم آية من الآيات البيّنات بقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِنَكَّةٍ مُّبَرَكَاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَمَّا كَانَتْ أَشْرُكُهُمْ وَمَسَّ وَجْهَهُمْ وَمَسَّ وَجْهَهُمْ وَكَانَ ءَامِنًا ۗ﴾¹، وكون مقام إبراهيم آية هذا يعني أنه دليلٌ على الله، وفي ذلك الخير العظيم والبركة.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخَذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۗ﴾² الأمر بالصلاة التي يتطهر بها المصلون لله عند هذا المقام، وفيه معنى رابط ومشارك بين الصلاة ومقام إبراهيم يكمن في الطهر، والله أعلم.

هذا وقد روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما، ولولا ذلك لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب))³. وبذا تبينت

(5621)؛ والطبراني في معجمه الكبير، باب العين، عبيد بن عمير عن ابن عمر، ج12، ص389 (13438)؛ وصححه

الألباني في صحيح الجامع الصغير، ج1، ص437 (2194).

1 سورة: آل عمران، الآيتان: 96، 97.

2 سورة: البقرة، الآية: 124.

3 الحديث: رواه محمد بن إسحاق بن خزيمة في صحيح ابن خزيمة، تح: د/ محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت

، (د.ط)، (د.ت)، كتاب المناسك، باب صفة الركن والمقام والبيان أنهما ياقوتتان...، ج4، ص219 (2731)؛ وأحمد بن

الحسين الخراساني (البيهقي) في السنن الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - لبنان، ط3: 1424هـ -

قداسة المقام وتأكّدت. وينضاف إلى هذا الضرب من المقدسات ماء زمزم، ومنطلقني في ذلك قول الحبيب المصطفى عليه السلام: ((إِنهَا مُبَارَكَةٌ، إِنهَا طَعَامٌ طُعِمَ)).¹ وقوله أيضاً: ((خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ، فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطُّعْمِ، وَشِفَاءٌ مِنَ السَّقَمِ))²، فقد أثبت النصين بركة هذا الماء وخيريته.

2003م، كتاب الحج، باب ما ورد في الحجر الأسود والمقام، ج5، ص122 (9228)؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته. ج1، ص336 (1633).

1 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه، ج04، ص1919 (132).

2 الحديث: رواه سليمان بن أحمد الطبراني في المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، باب العين، من اسمه علي، ج04، ص179 (3912)؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ج01، ص627 (3322).

الفصل الأول

مسائل مفرد حفظ الراء، وآثار الإدخال به.

• البحث الأول:

مسائل مفرد حفظ الراء المترتبة.

• البحث الثاني:

مسائل مفرد حفظ الراء الراءية.

• البحث الثالث:

آثار الإدخال بالراء.

الفصل الأول: مسالك مقصد حفظ الدين، وآثار الإخلال به .

إذا كانت الشريعة الإسلامية تهدف إلى جلب المصالح الدنيوية والأخرية معاً عن طريق أحكامها من أوامر ونواه، فإن أوامرها جاءت تؤسس لتحقيق هذه المصالح وتوجدتها، أما نواهيها فجاءت لدفع الأخطار التي قد تهدد هذه المصالح وتعدمها.

والمتتبع لنهج شريعة الإسلام في عرض أحكامها التي جاءت لتحقيق مصلحة حفظ الدين يقف على اعتمادها هذين الطريقتين، وبيان ذلك في الآتي:

المبحث الأول: مسالك مقصد حفظ الدين المؤسسة (من جانب الوجود).

إن جميع الأحكام الشرعية التي جاءت لتقييم أركان الدين وتبنت قواعده أراها مسالك يقصد الشارع من خلالها إلى حفظ الدين الإسلامي، وفيما يلي ذكرٌ لبعضها على سبيل التمثيل لا لقصد الحصر.

المطلب الأول: حفظ الدين بالتبليغ.

التبليغ هو: "إسماع الناس كلمة الله وما أوحى به".¹ وبتعبير آخر التبليغ هو عرض الدين على الناس، وبيان مافيه من معتقدات وأحكام شرعية عملية وأخلاق. ويأخذ التبليغ حكم الوجوب، كما هو مستفاد من صيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾²، وقوله: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا مِن تَكُونَنَّ الْمُشْرِكِينَ﴾.³ إلى غيرها من النصوص القرآنية التي جاءت بصيغ الأمر. ومعلوم أنّ [الأمر يفيد الوجوب]⁴ كما هو مقرر عند علماء

1 معجم اللغة العربية المعاصرة، د/أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط01: 1429هـ - 2008م، ج1، ص243.

2 سورة: النحل، الآية: 125.

3 سورة: القصص، الآية: 87.

4 إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تح: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي - دمشق، ط01: 1419هـ - 1999م، ج1، ص23.

الأصول.

كما أن المتتبع للنصوص النبوية الشريفة التي جاءت بصيغة الأمر في التبليغ يقف على حكم الإيجاب منها، كما في قول خاتم الأنبياء عليه السلام: ((بعلوا عني ولو آية))¹. وكما في قوله في حجة الوداع: ((فليبلغ الشاهد الغائب، فزُبَّ مبلغ أوعى من سامع))².

كما جاءت الدعوة بالتبليغ في صيغٍ أخرى يستفاد منها طلب الشارع إلى إيقاع التبليغ، كما في صيغة المدح في قوله عليه السلام: ((نَضِرُ الله امرأ سَمِعَ مِنَّا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه))³. إلى غيرها من الأدلة القولية، التي جاءت بصيغ متعددة تبين الحكم الشرعي للتبليغ.

وكما دعا عليه السلام لتبليغ هذا الدين بأقواله فقد دعا إليه أيضاً بأفعاله، والمتتبع لسيرته الندية يجد أن جميع أفعاله التي تؤخذ منها الأحكام كانت تبليغاً لهذا الدين. فصلاته وصيامه وصدقته ووجهه وذكره لربه وتعامله مع المسلمين وغيرهم كانت دعوة لنشر الدين وتبليغاً للناس، وكل ذلك ثابت في سيرته العطرة، التي أجمع العقلاء على روعتها فأحبها واقتدى بها من كان له قلب أو القى السمع. وأُمَّتُه من بعده مكلفة بما كُلف به من تبليغ نور هذا الدين للعالم أجمع، بل إن جوهر الوظيفة الحضارية للأمة الإسلامية وفعاليتها ووجودها مرهون بتبليغ دين الإسلام للعالم⁴. لذا لم يكن تبليغ الإسلام تطوعاً يقوم به المسلمون، أو لذة ذاتية محضة مجردة عن الأمر الإلهي تعمل على حمل الدين للناس. إنما هو أمر العزيز الجبار الذي لا مفرَّ من أدائه. وتبليغ دين الإسلام للعالم يقتضي العمل في

1 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج4، ص170 (3461).

2 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ج2، ص176 (1741).

3 الحديث: رواه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ج4، ص330 (2656)، وقال:

حديث حسن.

4 ينظر: المصلحة العامة من منظور إسلامي، د/فوزي خليل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة

الأمريكية، دار ابن حزم - لبنان، ط1: 1427هـ-2006م، ص383.

ميدانين في آنٍ واحد.

الميدان الأول: في العالم الإسلامي، وذلك بدفع الأفكار الهدامة والمذاهب الضالة وكشف باطلها وزيفها، وتبصير المسلمين بحقيقة دينهم ومقاصده.

الميدان الثاني: في باقي أنحاء المعمورة¹، وبالأخص البلاد الغربية المسيئة للمقدسات الإسلامية. حيث كان سبب الإساءة في كثير من الأحيان هو الجهل بحقيقة الإسلام، فيأتي التبليغ لإزاحة هذا الجهل الذي غشى أبصار كثير من المسيئين.

والبشرية اليوم في أمس الحاجة إلى من ينهض بإبلاغ رسالة الإسلام في عقل واعٍ يعرف كيف يخاطب الميدانين. وهذا متوقف بدوره على امتلاك مختلف الوسائل التي يستعملها المسيء للمقدسات الإسلامية واستغلالها، وعدم ادخار شيء منها أو من غيرها من المؤثرات القوية، التي تعتبر ضرورية لإبراز صورة الإسلام الحقيقية وبيان أنه ما أتى إلا لصالح البشرية، وضرورة لفضح مخططات المسيء للمقدسات الإسلامية وبيان خطورة ما يترتب عليها، لأن الفكرة لا يمكن محاربتها إلا بالفكرة.

وهذا أمرٌ يتطلب تضافر الجهود في مختلف المجالات وعلى جميع الأصعدة، فتبليغ الإسلام مقصد جليل يحتاج إلى جهد بقدر عظمه وجلالته. إذ جميع المسلمين مطالبون بالتبليغ، كلٌّ في مجاله وحسب قدرته، أفراداً ومؤسسات وحكومات، والحكومات بالأخص مُلقى عليها العبء الكبير في تبليغ الدين، وذلك لقدرتها على التبليغ بوسائل ليست في استطاعة الأفراد. كقدرتها مثلاً على تشكيل الوفود وإرسالها إلى المراكز الإسلامية في أنحاء العالم قصد تبليغ هذا الدين.

ومن هنا فإن "ولاية الأمور ومن لهم القدرة الواسعة، فعليهم من الواجب أكثر، وعليهم أن يُبلِّغوا الدعوة إلى ما استطاعوا من الأقطار، حسب الإمكان بالطرق الممكنة، وباللغات الحية التي ينطق بها الناس.

1 ينظر: الدعوة إلى الإسلام مضامينها وميادينها، عبد الكريم الخطيب، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1: 1402هـ-1982م، ص73.

يجب أن يبلغوا أمر الله بتلك اللغات حتى يصل دين الله إلى كل أحد".¹ كل ذلك في وضوح للفكرة، باعتبار أن نجاح دعوة ما رهين بمدى فهم من توجه لهم هذه الدعوة وإيمانهم بمقاصدها ووسائلها، وضوحاً لا عوج في تأويله.

وعموماً إنه لا يمكن تصور قيام دين وانتشاره بدون دعوة إليه، وتوضيح لأحكامه وآدابه وبيان لمحاسنه، وكشف للشبهات الواردة عليه والرد عليها. لأجل هذا تجد الدعوة للدين وظيفته المرسلين عليهم السلام، فبشروا وندورا، وتحملوا المشاق وواجهوا الصعاب في الدعوة للدين وتبليغه حتى أتم الله مرادهم وهم ظاهرين.

وإذا كان من البديهي أن كل صاحب فكرة أو مذهب أو نحلة يريد إقناع غيره بفكرته أو بمذهبه، فإن الدعوة إليها وبيان جوهرها وتوضيحها وإظهار مزاياها ومحاسنها يشكل الركن الركين في ضمان قبولها وانتشارها، حتى ولو كانت تلك الفكرة أو ذلك المذهب يقومان على أساس خاطئ أو باطل. أفلا يكون أولى بمن علموا الحق ووقروا في قلوبهم وعلموا صدقه وما جاء به من مصالح أن يقوموا بالدعوة إليه، خصوصاً في واقع تكالب أعداء الحق عليه، داعين إلى أفكارهم ومذاهبهم الضالة، مجتهدين في نشر الدعاية لها على الرغم من زيفها وبطلانها، وفي المقابل تجدهم مشككين مشوهين الحق المعارض لها باستمرار، سالكين شتى الوسائل والسبل من أجل إبهات لون الحق وطمس معالمه.

هذا وأن تبليغ الدين للناس يستدعي ضرورة اهتمام المبلِّغ بالجمع بين الجزئيات والكلديات، وأن لا يبدد جهوده في الجزئيات وحدها. كالذي نراه على أرض الواقع في كثير من الأحيان، وهذا الذي يشكل عائقاً عن الوصول للمقصد المنشود من تبليغ الدين والدعوة إليه، حيث أدى إلى زيادة جهل الناس بالإسلام.

1 مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص412.

والإسلام يدعو إلى ضرورة هذه النظرة الشمولية الجامعة، وعلى سبيل التمثيل فإن المستعرض لكتاب الله، المتأمل لآياته وما تحويه من مقاصد يخرج بتصوير شامل للإسلام، فيعرف خالقه ويعرف نفسه، والكون من حوله، وفي الوقت نفسه يخرج بتصوير متناسق منسجم بين الجزئيات والكلديات.

كما أن مبلغ الناس الخير عليه السلام هو للمبلغين خير قدوة، إذ كان يجمع بين الكلديات والجزئيات، ويوزان بينها عند تزامهما. حيث كان يرى الأصنام قائمة تحيط ببيت الله الحرام تُطلُّ بعيونها الجامدة القبيحة، ومع ذلك لم يحطمها، ولم يأمر أصحابه عليهم الرضوان بذلك. ولو أراد لأمر، ولو أمر لنفذوا ما أمرهم به. كل ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واضعاً نصب عينيه أمراً اسمه فقه الأولويات، فالأولى تكسير أقفال القلوب، ليصلها نور الحق، ثم يأتي اليوم الذي تحطم فيه هذه الأصنام والأوثان تحت ضربات المسلمين. وهو بذلك يراعي معطيات الواقع وظروفه وملابساته¹، كالذي يظهر من قوله لأمنا عائشة رضي الله عنها: ((لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت، فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين)).² فمراعاة فقه الأولويات وتقديم الكلبي على الجزئي متى اقتضى الأمر ذلك، كان كل ذلك حاضراً في ذهنه عليه السلام.

وهذه النظرة الشاملة ظاهرة في سير الصحابة عليهم الرضوان أيضاً، كيف لا وقد تربوا على يديه عليه السلام وتشبعوا برؤيته الشاملة للإسلام. ومن أروع تلك المواقف الدالة على هذا، ما قاله رعي بن عامر لما دخل على قائد الفرس يوم التقى الجيشان في عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: ((جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة)).³ فلخص التعريف بالإسلام من خلال نظره الشاملة، وهكذا

1 ينظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة - لبنان، ط9: 1421هـ - 2001م، ص425.

2 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها، ج02، ص147 (1586).

3 الأثر: أورده جمال الدين الجوزي في كتابه المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط01: 1412هـ-1992م، ج4، ص168؛ ومحمد بن جرير الطبري في تاريخ الرسل

ينبغي لمبليغي الدين أن يُبلَّغوه في صورته الكاملة كبناءٍ ونظامٍ شامل، والبعد عن الإغراق في الجزئيات والفروع في غفلة عن المقاصد والمعاني الكلية، لأن هذا من شأنه حجب الصورة الواضحة للإسلام عن أذهان الناس.

فدارس الجزئيات وحدها مهما بلغت درجة فقهه لهذه الجزئيات والفروع هو لا يعرف الإسلام، لأنه لم يعرف المعاني المقصودة منها. وصدق الشاطبي لمّا قال: "من أخذ بالجزئي معرضاً عن كُليّه، فهو مخطئٌ، كذلك من أخذ بالكلي معرضاً عن جزئيه"¹، حيث أن الكلي ما صار كلياً إلا عن طريق استقراء الجزئيات، والإعراض عن الجزئي هو إعراض عن الكلي المركب منه، ناهيك أن الاعراض عن الجزئيات جملة مؤداه حصول مفسد، وفوات مصالح. الأمر الذي يتناقض مع قصد الشارع من وضع الشريعة.² وكذلك الاخذ بالجزئي في إعراض عن الكلي خطأ، لأنه يورث البعد عن مقصود الشارع، فكان لا بُدَّ من اعتبار الجزئي والكلي معاً.

وبهذه النظرة الشاملة يرجى تأثير روح الإسلام في النفوس، ليعطي اتجاهها جديداً يتمثل في قبول الإسلام عن طوعية واختيار، ومن ثمَّ تكون إرادة الإنسان موافقة لإرادة الخالق سبحانه. ذلك أن المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف من داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً، كما هو عبداً له اضطراراً.³

فبتبليغ الدين على هذا النحو يمكن للمسلمين أن يجددوا العهد مع الله على إظهار الحق للخلق، ويمكن لهم أن يرتقوا إلى مستوى إسلامهم علماً وعملاً. ومن ضيَّع الدين ولم يبلغه على أية حالة ولا

والمملوك، دار التراث - بيروت، ط02: 1387هـ، ج3، ص520؛ وأبو الفداء اسماعيل بن كثير في البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط02: 1424هـ-2003م، ج9، ص622.

1 الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، تح: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط01: 1417هـ-1997م، ج03، ص174.

2 ينظر: الموافقات... الشاطبي، ج03، ص174-183 (مرجع سابق).

3 الموافقات... الشاطبي، ج02، ص289 (مرجع سابق).

بأية وسيلة ضاع في دنيا الناس فالجزاء من جنس العمل ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَمِيدِ﴾.¹

والسنن لا تعرف المجاملات ولا المحاباة، ويُخشى على المسلمين أن يتيهوا ولا يُعثر لهم على أثر في التاريخ، فكم من أممٍ تاهت لما نسيت دين ربها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٥﴾ بِفُطُوحٍ دَائِبَةٍ لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.² وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.³ فلا سعادة إلا في طاعة الله وتبليغ دينه، ولا عزٍّ إلا في المحافظة على حرمة مقدساته.

نعم، يجب أن يستشعر كل مسلم التبعة الإنسانية الملقاة على عاتقه، تبعة الوصاية على البشرية بأسرها، تبعة القيادة في هذا الكون للأمم الضالة، وهدايتها إلى الدين القيم والصراط المستقيم، والسعي بكل ما أُوتي من قوة لإخراجها من ظلمات الضلالة إلى نور الحق والهداية. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.⁴ وقال أيضاً: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.⁵

ولا يخفى أن في التقاعس عن التبليغ تهديداً للدين، بتشويه حقائقه وطمس معالمه، وفي المقابل إظهار للكفر ودعائه. لذا نهى المولى تبارك وتعالى عن كتمان ما جاء في هذا الدين. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أَُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالرُّسُلُ﴾.

1 سورة: فصلت، الآية: 45.

2 سورة: الأنعام، الآيتان: 45، 46.

3 سورة: الحشر، الآية: 19.

4 سورة: آل عمران، الآية: 110.

5 سورة: البقرة، الآية: 142.

اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ¹. حيث كتمان ذلك مؤداه تضييع أحكام الله تعالى، وتضييع للمقاصد التي جاءت هذه الأحكام لخدمتها، ومن ثمَّ الإعراض عن طاعته تعالى. فبالكتمان لما أنزل الله يكون الضلال الكبير، وتبليغه يكون الفوز العظيم.

المطلب الثاني: حفظ الدين باليسير.

شرح الشارع الحكيم في مختلف أبواب هذا الدين من عبادات ومعاملات وأخلاق مجموعة من الأحكام المقصد منها هو اليسر بالناس، ورفع الحرج والمشقة عنهم. والمتتبع لأحكام الشريعة الإسلامية لا يعثر على ما فيه مشقة أو يدخل عنقاً على الناس. وبعبارة أدق خلو التشريع الإسلامي من الحرج و المشقة الزائدة على المعتاد، التي تضيق بها الصدور، وتستنفد الطاقة والجهد.

أما المشقة المعتادة فهي موجودة لأن التكليف لا يتحقق إلا مع شيء منها، إذ فيها حدٌّ من جموح النفس، وتهذيب وتربية لها، لذا عرّف الفقهاء التكليف بأنه إلزام ما فيه كلفة².

والواقع أن مبدأ التيسير ورفع الحرج يشكل قاعدة أساسية في الإسلام، باعتباره يعكس مرونة الإسلام، وقدرته على التكيف مع تغير الظروف والأحوال³. والمتتبع للنصوص الشرعية يجد أن اليسر ورفع الحرج صفة بارزة في تلك النصوص، وهذا نتيجة منطقية لشريعة توصف بالكمال.

لقد كان الوحي عند نزوله يأخذ النبي عليه السلام ومن اتبعه من المؤمنين بمنهج اليسر، بل ويعلمهم أن يطلبوا اليسر من خالقهم. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ

1 سورة: البقرة، الآية: 158.

2 ينظر: المدخل للفقهاء الإسلامي (تاريخه ومصادره ونظرياته العامة)، محمد سلام مذكور، دار الكتاب الحديث - الكويت، (د.ط)، (د.ت)، ص13.

3 ينظر: حول الفكر الإسلامي والنظام الديمقراطي، د/محمد جمال يحيوي، دار الغرب للنشر والتوزيع - وهران، (د.ط)، (د.ت)، ص39.

عَنَّا وَاعْظِرْنَا لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا بَانَضْرْنَا عَلَى الْفَوْزِ الْجَمِيرِينَ¹. وترك المؤاخذة على

الخطأ والنسيان، وعدم تحميل المؤمنين الآصار التي حملها السابقون، وعدم تحميلهم ما لا طاقة لهم به كل ذلك من اليسر، والله تبارك وتعالى يقصد تحقيقه بالمؤمنين.

وفقه رسول الله صلى الله عليه وسلم قصد الشارع بهذه الأمة من اليسر، فقام على تحقيقه في نفسه وفي الآخرين، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: ((ما خيّر النبي صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يَأْثَمَ، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه)).²

والمتأمل في جميع سيرته العطرة يدرك أنه عليه السلام كان يأخذ باليسر في عباداته ومعاملاته، بل ويرقب أصحابه الكرام في ذلك، ومتى رأى منهم ميلاً للتعسير ردّهم عنه، وأرشدهم إلى الأخذ باليسر، ومن الأمثلة على ذلك ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ((ما هذا الحبل؟)) قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا حُلُوهُ لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فإذا فتر فليقعُد)).³ هكذا يرشد زوجه وأُمَّته جمعاء من بعده إلى اليسر والتخفيف.

ودخل صلى الله عليه وسلم يوماً على زوجه عائشة رضي الله عنها، وعندها الحولاء بنت تويت، وكانت تذكر من عباداتها وأنها لا تنام الليل، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليسر بقوله: ((يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تُطيقون، فإن الله لا يملُّ حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دوومَ عليه، وإن قلَّ)).⁴

1 سورة: البقرة، الآية: 285.

2 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود، والانتقام لحرمت الله، ج8، ص160 (6786).

3 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، ج02، ص53 (1150).

4 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم، ج01، ص540 (215).

إن التشديد وإدخال المشقة على النفوس بالعبادة نهجٌ أخذ به المتعبدون في الأمم الخالية، ولم يكن منهجاً موفقاً. أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذر من سلوك سبيلهم، فقال: ((لا تشددوا على أنفسكم فيؤشدد عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلک بقاياهم في الصوامع والديار {ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم})).¹

كما كان عليه الصلاة والسلام يكره أن يوجه إليه أصحابه أسئلة قد تكون سبباً في تحريم أمور لم يسبق تحريمها من قبل، فيقول لهم: ((ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم)).² فرسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقاً من فقه التيسير يكره أن تكثر القيود، ومن هنا كره عليه السلام النذر، وقال: ((إنه لا يأتي بخير)).³ حيث أن المرء بالنذر يلزم نفسه بما لم يلزمه به الله، وقد يعجز عن أدائه وتحقيقه، فيقع في الحرج.

وهكذا كان اليسر ممتداً في تعامله عليه السلام مع كل الناس، بدءاً من تعامله مع أزواجه، تُرسل إحدى زوجاته إليه طعاماً وهو عند زوجته عائشة رضي الله عنها، فتأخذ الغيرة أم المؤمنين عائشة، وتضرب بالإناء الأرض، فيكسر الإناء، ويتناثر الطعام.

وهذا الموقف حقيقة يستدعي من القارئ وقفة، ترى ما كان يفعل رجلٌ له من الواجهة بين أقرانه إن حصل موقف كهذا من زوجته أمام أعين أصحابه؟.

إن المعلم الأول الذي يعلم البشرية فقه التيسير يحل المشكلة بكل سهولة ويسر بقوله: ((غارت أمكم))، ثم يأخذ إناء عائشة السليم، ويرسله إلى تلك التي أرسلت الطعام، ويقول: ((طعام بطعام،

1 الحديث: رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الحسد، ج04، ص276 (4904)؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عبد الرحمان بن أبي العميآء، وهو ثقة.

2 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، ج02، ص975 (412).

3 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب النذر، باب النهي عن النذر، وأنه لا يرذُ شيئاً، ج03، ص1261 (4).

وإناء بإناء))¹، وهكذا حُلَّت القضية بيسر وسهولة.

وبرفقه عليه الصلاة والسلام بالناس وتيسيره عليهم استطاع أن يُدخِل الإسلام إلى قلوب من عادى دعوته وآذاه، ومكَّنهُ فيها، لينقلب أصحاب هذه القلوب من أعداء محارِبين لهذا الدين إلى أصحاب وأحباب مناصرين له، يبذلون الغالي والنفيس من أجله.² فالتيسير الموجود في الشريعة رَغَّب الناس في الميل إليها والاهتداء بنهجها، حيث التيسير يسائر الفطرة البشرية، ويُراعي قدرات الناس وأحوالهم. وفي هذا يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: "وقد ظهر للسماحة أثرٌ عظيم في انتشار الشريعة وطول دوامها فعلم أن اليسر من الفطرة، لأن في فطرة الناس حب الرفق".³

إنَّ فقه يُسر الإسلام، والتعامل مع أحكام الإسلام ومع الناس وفق هذا الفقه هو مقتضى كون دين الإسلام نعمة ورحمة واسعة، ومقتضى أنه أتى لسعادة الإنسان لا لشقائه.⁴ ومما يزيد إعجاباً بيسر دين الإسلام وسماحته ما تجده بين نصوصه الشرعية من أخذ كل مجتهد بالعمل بما أداه إليه اجتهاده، مراعاة لاختلاف العقول والأفهام وعدم إدخال المشقة عليهم بتكليفهم بالوصول إلى حكم واحد، وما ذلك إلا دليل على قصد الشارع اليسر بالناس.

كما أن من يسر الإسلام أيضاً معاملة الناس بظواهرهم، وترك أمر السرائر موكولة لعلام الغيوب سبحانه. وقد فهم الصحابة عليهم الرضوان هذا المعنى، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((إنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم)).⁵ ولو كُلف الناس بالبحث عما في الضمائر

1 الحديث: رواه الترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب ما جاء فيمن يكسر له الشيء...، ج3، ص33 (1359)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

2 ينظر: فقه الأولويات، محمد الوكيل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1: 1416هـ - 1997م، ص100، 99.

3 مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، نج: محمد الطاهر الميساوي، دار لبنان للطباعة والنشر، ط1: 2004م، ص208.

4 ينظر: المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي، د/عمر سليمان الأشقر، ص81 - 83 (مرجع سابق).

5 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب الشهداء العُدول، ج03، ص169 (2641).

والسرائر لدخلت عليهم المشقة والعنت، وما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، حيث استأثر من يعلم السر وأخفى بعلم ما في الصدور.

ومن هنا برز أن الشارع لم يقصد إدخال المشقة على الناس، بل [المشقة تجلب التيسير]¹. ولم يجعل سبحانه من علامات الانقياد لأوامره والخضوع والتذلل إليه أن يكلف عباده بما فوق طاقتهم. وصدق الشاطبي لما قال: "فمن يأتي متعبداً بزعمه بخلاف ما وضع الشارع له من الرفق والتيسير والأسباب الموصلة إلى محبته، فيأخذ بالأشق والأصعب، ويجعله هو السلم الموصل والطريق الأخص هل هذا كله إلا غاية في الجهالة وتلف في تيه الضلالة؟"² إنما قصد الشارع العكس تماماً، يتمثل في تحقيق مصالح الناس في هذه الدار وفي دار القرار ضمن حدود فطرته، فلا يُكَلَّف المرء إلا وسعه، وبما هو في مقدوره. وبذا فإن التيسير في الإسلام يعكس المعاني الآتية.

أولاً: أن التيسير يعكس المقصد الذي جاء الإسلام من أجله، وهو إرشاد الإنسان إلى ما فيه صلاحه دنيا وأخرى، وحثه على أن يتجنب ما يضره.

ثانياً: أن الحرج والمشقة ليست مقصودة في الإسلام، يظهر ذلك من خلال مراعاة الإسلام لاستطاعة الإنسان وقدراته الشخصية وظروفه أثناء تكليفه بالواجبات الدينية.

ثالثاً: أن قاعدة التيسير ورفع الحرج قاعدة قابلة للتعميم متى تطلب الأمر ذلك، مما يعكس سماحة وعدالة الإسلام في آن واحد، ويعكس مرونته أيضاً.³ وهذا من شأنه مساعدة المرء وبشكل دائم على مسايرة الوقائع على اختلافها.

1 القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المملكة العربية السعودية، ط 1: 1423 هـ - 2003 م، ج 01، ص 50.

2 الإعتصام، أبي إسحاق إبراهيم الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، (د.ط)، (د.ت)، ج 01، ص 344.

3 ينظر: حول الفكر الإسلامي...، د/محمد جمال يجاوي، ص 41 (مرجع سابق).

المطلب الثالث: حفظ الدين بإقامة الشعائر.

الشعائر جمع شعيرة والمراد بها: "كل ما جُعِلَ عِلْمًا لِعِبَادَةِ اللَّهِ عز وجل".¹ والعبادات في كل دين هي عِلْمٌ لطاعته سبحانه ومظهرٌ لتعظيمه وتقديسه في النفوس.² والعبادات التي جاء بها الإسلام هي أعلام وشعائر دالة على طاعة وتعظيم الله جل جلاله في دين الإسلام، وبذا فإن كل عبادة أمر الله بها في هذا الدين هي شعيرة من شعائر الإسلام يجب إقامتها وعلى رأسها الأركان التي بُنيَ عليها الدين الحنيف من صلاة وصيام ...

والناظر في النصوص الشرعية يجد أنها قد تضافرت في الحث على إقامة هذه الشعائر، وعلى سبيل التمثيل أذكر ما يلي:

حض الشارع سبحانه على إقامة شعيرة الصلاة، وجعل من علامات الإيمان عمارة المساجد، وأضافها إلى نفسه فجعلها بيته. من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.³

وأول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يؤسس للدولة الإسلامية في المدينة المنورة بناء المسجد، حيث شارك أصحابه في هذا العمل.⁴ وحث على بناء المساجد فقال: ((من بنى مسجداً - قال بُكَيْرٌ: حسبْتُ أنه قال: بيتي به وجه الله - بنى الله له مثله في الجنة)).⁵

ولأن إعمار بيوت الله لا تقتصر على بناء المساجد والصلاة والذكر فيها، بل أيضاً صيانتها والحفاظ

1 لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر- بيروت، ط03: 1414هـ، ج4، ص414.

2 ينظر: تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب، دار الندوة الجديدة - لبنان، ط05: 1403هـ-1983م، ص277.

3 سورة: التوبة، الآية: 18.

4 ينظر: الفصول في السيرة، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تح: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، ط03: 1403هـ، ص118.

5 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً، ج1، ص97 (450).

على نظافتها داخل في معنى الإعمار. فقد كان صلى الله عليه وسلم يُظهر عظيم التكريم لمن يقوم بذلك، وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أن رجلاً أسود أو امرأة سوداء كان يُقْمُ المسجد فمات، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه، فقالوا: مات، قال: ((أفلا كنتم آذنتموني به دلوني على قبره- أو قال قبرها- فأتى قبرها فصلى عليها)).¹ فتبين عظيم تكريمه للمرأة أو الرجل الذي كان يعتني بنظافة المسجد بأن أعاد الصلاة عليه، ومعلوم أن صلاته رحمة للميت. كما ظهر تكريمه له في قوله لأصحابه: ((أفلا كنتم آذنتموني به))، فبيّن أن هذا الميت له مكانة خاصة عنده، فلا يدفن كباقي الموتى وإن غاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن أجل إقامة شعيرة الزكاة قرن سبحانه الإيمان والتقوى بإيتاء الزكاة. قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَاقِبَتِنَا يَوْمِنُونَ﴾.²

وكان الصحابة عليهم الرضوان يبائعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة هذه الشعيرة وإظهارها، فعن جرير بن عبد الله قال: ((بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم)).³

وبالنسبة لشعيرة الصيام، فقد بين تعالى أن الصيام فيه المصلحة والنفع في قوله: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.⁴ وأمر به فقال: ﴿بِمَسْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.⁵ وعظم أجره كما في الحديث القدسي: ((كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، ولخلوف فم

1 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب كنس المسجد والتقاط الخرق، ج1، ص99 (458).

2 سورة: الأعراف، الآية: 156.

3 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب البيعة على إقام الصلاة، ج1، ص111 (524).

4 سورة: البقرة، الآية: 183.

5 سورة: البقرة، الآية: 184.

الصائم أطيب عند الله من ريح المسك))¹.

وعن وجوب إقامة شعيرة الحج قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.² وشرع السعي بين الصفا والمروة، فقال جل في علاه: ﴿إِنَّ الصَّبَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.³ فأصبح جبلي الصفا والمروة "من معالم الله التي جعلها تعالى ذكره لعباده معلماً ومشعراً يعبدونه عندها، إمّا بالدعاء، وإمّا بالذكر، وإمّا بأداء ما فرض عليهم من العمل عندها".⁴

والمبلغ عن ربه هذا الدين رغب في إقامة هذه الشعيرة في مواضع عدة، منها قوله عليه السلام: ((أفضل الجهاد حجٌّ مبرور)).⁵ إلى غير ذلك من المعالم والشعائر التي جعلها الله رمزاً تدل على طاعته، وحث على إقامتها. وإنما اقتصر على ما سبق من شعائر لأن الأمة الإسلامية إن ضيقت هذه فهي لما سواها أضيع.

ومن هنا فإن كل مسلم على وجه الأرض مطالبٌ بإقامة هذه الشعائر في نفسه، ومن تحت يده ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. ثم إنَّ ولاة الأمور عليهم العبء الكبير في ذلك، حيث في مقدورهم إظهار الشعائر بوسائل ليست في مقدور غيرهم. "والحاكم أجيرٌ عند الأمة وعمله أن يسعى لخيرها ويستमित

1 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب ما يُذكر في المسك، ج 07، ص 164 (5927).

2 سورة: آل عمران، الآية: 97.

3 سورة: البقرة، الآية: 157.

4 جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 01: 1420هـ-2000م، ج 03، ص 226.

5 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، ج 4، ص 15 (2784).

في دفع الأذى عنها".¹ كما أن "القصد الذاتي من نصب الإمام العالم إقامة الشعائر".²

ولأجل إقامة الشعائر جاهد خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة، واعتبر المشقة الحاصلة للمسلمين المجاهدين في الأنفس والأموال والأهل مفسدة مرجوحة إذا ما قورنت بمصلحة إظهار الشعائر وإقامتها.

فعلى ولاة أمور المسلمين أن يهتموا بشؤون المسلمين، التي نُصِّبوا أمناء على رعايتها، وأن لا يستهينوا بإظهار شعائر الإسلام، وأن يغضبوا لانتهاك حرمتها، وأن تحملهم الغيرة عن دين الله إلى الدفاع عنها، ليحق قول الحق عليهم ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتْلُهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.³ والسياسة بهذا النحو (إظهار الشعائر والدفاع عنها) يمكنها إقامة سلطان الدين، وذاك أسمى الغايات، وأنبى المقاصد.

ولقد كان ولا يزال لإقامة الشعائر الأثر العظيم في نهضة المسلمين ورفيهم حضارياً، لذا ينبغي على المسلمين أفراداً وجماعات وحكومات إعادة الاعتبار لهذه الشعائر بدءاً بتحقيق أركان الإسلام وإظهارها إلى إظهار جميع الشعائر، وإعطائها الأهمية وتيسير جميع السبل المادية والمعنوية لإقامتها، لأنها علامة على تحقيق مقصد حفظ الدين لدى المسلمين، ومعيار يقاس به مدى تمسكهم بدينهم.

المطلب الرابع: حفظ الدين بالاجتهاد.

إن الإسلام بطبيعته يرفض الجمود والتخلف بقوة، فحيث كان الجمود تكون معركة الإسلام، كيف لا ودين الإسلام هو البعث الجديد للفرد والمجتمع من الركود والجهل. قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَسَّ كَانَ

1 شرح رسالة التعاليم للإمام الشهير حسن البنا، عبد المنعم تعيلب، دار الشهاب - الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص 47.

2 الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد السعدي الأنصاري، تح: عبد الرحمان بن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة - لبنان، ط 01: 1417-1997م، ج 1، ص 61.

3 سورة: الحج، الآية: 39.

مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَا مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ¹. فالإسلام هو حياة وحركة لذا تجده يذم أولئك الذين حجروا على عقولهم. قال تعالى: ﴿وَإِذَا فِئَلٌ لَهُمْ بِاتَّبَعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْلُو كَانِ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْمَلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾² وقال عز من قائل سبحانه: ﴿بِأَعْتَابِهِمْ يَتَّوَلَى الْأَبْصِيرِ﴾³ وقال أيضاً: ﴿أَقْبَلًا يَتَدَبَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالِهَآ﴾⁴ إلى غيرها من النصوص القرآنية الدالة على نبذ الإسلام للجمود والتخلف. والإسلام بذلك يدعو إلى إعمال العقل، وإنكار القول بلا دليل، وإنكار التقليد الأعمى.

ومن هنا فإن الإسلام قد اعلن منذ اللحظة الأولى اتخاذه طريقاً مغايراً للشرائع السابقة، وبَيَّنَّ أن له مصدرين تمثلا في الوحي والاجتهاد.⁵ والاجتهاد في حقيقته عبارة عن "استفراغ الوسع وبذل المجهود في طلب الحكم الشرعي".⁶ وقد جاء الترغيب بالاجتهاد في نصوصٍ شرعية عدة، منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)).⁷ وذلك أروع ما يقدمه دينٌ يحث على إعمال العقل.

1 سورة: الأنعام، الآية: 123.

2 سورة: البقرة، الآية: 169.

3 سورة: الحشر، الآية: 02.

4 سورة: محمد، الآية: 25.

5 ينظر: مقاصد الشريعة، محمد مهدي شمس الدين وآخرون، دار الفكر المعاصر - لبنان، دار الفكر - سورية، ط01: 1422هـ-2002م، ص67.

6 اللع في أصول الفقه، أبي إسحاق إبراهيم الشيرازي، تح: محيي الدين ديب مستو، يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، ط1: 1416هـ-1995م، ص261.

7 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب، ج9، ص108 (7352).

كما ثبت اجتهاده عليه السلام، وقوله: ((إني إنما أقضي بينكم برأبي فيما لم ينزل عليّ فيه)).¹ وثبت مدحه لمعاذ بن جبل رضي الله عنه الذي رأى ضرورة أعمال العقل والاجتهاد فيما لا نص فيه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: ((كيف تقضي إذا عرّضَ لك قضاء؟))، قال: أقضي بكتاب الله، قال: ((فإن لم تجد في كتاب الله؟))، قال: فسُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ((فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في كتاب الله؟)) قال: أجتهد رأبي، ولا ألو فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره، وقال: ((الحمد لله الذي وفق رسول، رسول الله لما يُرضي رسول الله)).²

كما اجتهد الصحابة عليهم الرضوان فيمن هو أولى بالإمامة، واختاروا أبي بكر رضي الله عنه لتقدمه صلى الله عليه وسلم له في إمامة الصلاة.³ إلى غيرها من الأدلة التي تثبت أن الاجتهاد أصل من أصول الدين الإسلامي، الذي جاء لمراعاة مصالح العباد. وبذا تجد الإسلام دينٌ يجمع بين النقل والعقل في رونق متكامل متناسق.

وفي هذا ردُّ قوي على أولئك المسيئين للإسلام ومقدساته بزعمهم أن الإسلام لم يعد صالحاً للتطبيق مع تطور الحياة، وتكذيبهم لقول الحق تعالى: ﴿مَا بَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾.⁴ وافترائهم أن الواقع

1 الحديث: رواه أبو داود في سننه، كتاب القضاء، باب في قضاء القاضي إذا أخطأ، ج03، ص302 (3585)؛ وقال الألباني في الصحيحة: الإسناد صحيح على شرط مسلم.

2 الحديث: رواه أبو داود في سننه، كتاب القضاء، باب اجتهاد الرأي في القضاء، ج03، ص303 (3592). والحديث وإن كان في إسناده مقال، لكنني اعتمدته لما في باب الاجتهاد من أدلة قوية في معناه، فأصبح بذلك الحديث متواتراً معنى؛ وقال المباركفوري في تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية - بيروت، (د.ط.)، (د.ت.)، ج07، ص367. قال: "وهذا الحديث وإن تكلم فيه بعض أهل العلم بما هو معروف فالحق أنه من قسم الحسن لغيره وهو معمول به".

3 ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان، (د.ط.)، 1415هـ-1995م، ج4، ص195.

4 سورة: الأنعام، الآية: 39.

يثبت خلاف ذلك، فكم من التساؤلات والإشكالات التي يطرحها الواقع مع تطور الحياة لا يُعثر لها على جواب بين دفتي هذا الكتاب (القرآن).

وقد ردَّ علماء الإسلام هذا البطلان بما لا يدع مجالاً للشك، من ذلك ما ذهب إليه الإمام الشاطبي في هذا الباب من أن المراد بالآية وجود جميع القواعد والكلية المحتاج إليها في الحياة على اختلاف درجاتها ورتبها من ضروريات وحاجيات وتحسينيات، فقد بيَّننا الإسلام على أتم وجه وأكمل بيان. وقاعدة الاجتهاد من ضمن تلك القواعد الكلية، التي على ضوءها يُنزلُ المجتهد الجزئيات التي لم ينص عليها الإسلام في نصوصه. ومعلوم أن الجزئيات لا متناهية تستجد مع تطور الحياة، وعلى الرغم من هذا فيمكن الوقوف على الحكم الشرعي فيها عن طريق الاجتهاد الذي دعا إليه الإسلام. فالإسلام إذن لم يفرط في شيء إلا وبينه، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على واقعية هذا الدين ومرونته ومواكبته لتطورات ومستجدات الحياة، الأمر الذي أهله أن يكون الدين الخالد بجدارة.¹

وهكذا تجد دين الإسلام يستوعب جميع ما استجد من أحداث وجزئيات، كل ذلك في تناسق بين القواعد الكلية والجزئيات النازلة على اختلافها وتنوعها. وهذا التناسق هو الذي أَراده الله تعالى لحفظ هذا الدين بعيداً عن عبث العابثين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين.² وبذا فإن الاجتهاد هو قاعدة الإسلام الكلية، لتطبيق حكمه على الجديد في شؤون الحياة اليومية والمتغيرات العصرية. وقد بات متعيناً ضرورة على أمة ترغب أن تعيش في ظلال الإسلام الوارفة أن تجتهد عن طريق دعم المجتهدين الذين استجمعوا الشروط، التي لا مجال للاجتهاد إلا بتوفرها وتحصيلها.

وعموماً فإن الاجتهاد ضروري للنهوض من الركود والتخلف، وهو السبيل لإنقاذ المسلمين من الأزمة الفكرية التي يعيشونها، وبه يصلح أمر معاشهم ومعادهم. وفي ضوء هذا يُفهم أن المقصد الأساسي

1 ينظر: الإعتصام، الشاطبي، ص 472 (مرجع سابق).

2 ينظر: السيرة الجامعة للأحداث التاريخية ومواقف خاتم النبيين في التربية الحسنة، عبد العزيز سيد عمر، مطبعة دار هومة، (د.ط)، (د.ت)، ص 139.

للإجتهد هو الإبقاء على عظمة الأمة في قوتها ورهبة جانبها".¹

وإنّ تقاعس المسلمين عن مزاولة الاجتهاد ومداومته فيما استجد من أمور الناس من شأنه إبقاء المسلمين في حالة الركود والتخبط في مشاكل لا حلول لها، وتساؤلات لا جواب عنها. الأمر الذي لا يتناسب مع وضع أمة تدين بدين قد جاء لقيادة البشرية نحو الخير والصلاح، فالإجتهد إذن له علاقة قوية بوظيفة دين الإسلام الحضارية.

المبحث الثاني: مسالك مقصد حفظ الدين الدافعة (من جانب العدم).

والمراد بحفظ الدين من جانب العدم درء كل ما يُجْلُ بالدين، أو يضر بهذا المقصد العظيم، سواء كان هذا الخلل واقعاً أو متوقعاً. فإن الشريعة الإسلامية وضعت من الأحكام ما يكفل ذلك، ومنها الآتي:

المطلب الأول: حفظ الدين بمدافعة الجدل في الله.

الجدل هو: "قياس مركب من قضايا مشهورة أو مسلمة".² ويقصد به هنا الخوض والكلام في ذات الله العلية انطلاقاً من القياس. وقد حذر الخالق سبحانه من هذا الخوض في نصوص عدة، منها قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُحَآجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ، حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.³ والمعنى إنّ الذين "يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله، ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى {حجتهم داحضة عند ربهم} أي باطلة عند الله {وعليهم غضب} أي منه {ولهم عذاب شديد} أي يوم القيامة".⁴ فتبين أن الجدل في الله طريق المضلين الذين يترصدون

1 نظرية المقاصد عن الإمام محمد الطاهر بن عاشور، إسماعيل الحسني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - هيرندن - فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، ط02: 1426هـ-2005م، ص249.

2 موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي الفاروقي، تح: د/علي دحروج، تر: د/عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط01: 1996م، ج02، ص1552.

3 سورة: الشورى، الآية: 14.

4 مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم - لبنان، ط07: 1402هـ-1981م، ج2، ص273.

بالناس السوء ليصدوهم عن دين الله الحق.

كما بيّن الحق سبحانه أن هذا الجدل سببه الكبر، وليس الرغبة في الوصول إلى الحقيقة. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾.¹ قال الصابوني في تفسير هذه الآية: "أي ما قالوا هذا القول لك إلا على وجه الجدل والمكابرة لا لطلب الحق... بل هم قوم شديدي الخصومة واللجاج بالباطل".² وقد جاء التصريح بهذا المعنى في قوله عز شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَبْتِهُمُ؛ إِنْ فِي ضُدُورِهِمْ؛ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِيغِيَةٍ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.³

كما نبّه سبحانه إلى أن هذا الكبر كان سبباً في الجدل بدون أدلة ومستند. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِينٍ﴾.⁴ فكشف سبحانه لعباده حقيقة المجادلين فيه وضلالهم وجهلهم، وأنهم يجادلون "في توحيد الله وأفعاله وصفاته، بلا عقل صحيح، ولا نقل صريح، بل بمجرد الرأي والهوى".⁵ وأنكر عليهم صرف عقولهم عن آيات الله الواضحة التي لا ينكرها إلا مكابر جاحد، حيث أنها واضحة وضوحاً لا عوج فيه، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنبِيَّ يُصْرَفُونَ﴾.⁶ ثمّ توعدهم بأشدّ العذاب، قائلاً مباشرة بعد هذه الآية: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُغْنِيهِمْ وَالسَّلْسِلَ إِذِ الْأَغْلَالِ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلَ

1 سورة: الزخرف، الآية: 58.

2 صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط01: 1417هـ-1997م، ج3، ص150.

3 سورة: غافر، الآية: 55.

4 سورة: لقمان، الآية: 19.

5 التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط02: 1418هـ، ج17، ص168.

6 سورة: غافر، الآية: 69.

يُسْحَبُونَ ﴿٧٦﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي الْبَارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٧﴾ ثُمَّ فِي لَهْمٍ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٨﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٩﴾ أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا قَبِيَسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ¹

والمتتبع لنصوص الشرع يجد أن الإسلام قد سدَّ باب التفكير المؤدي للجدال في الله سبحانه، قال عليه السلام: ((تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله)).² والحكمة في النهي عن التفكير في الله تكمن في أنَّ الذات الإلهية أعظم من أن تصل إلى حقيقتها العقول، أو تتوهمها القلوب بالتصوير، فالمنع من التفكير في الذات الإلهية العلية كان إذن لأن القيام بالمنهي عنه لا ثمرة ولا فائدة تُرجى من ورائه.³

وذلك ليس عيباً في العقل، إنما يرجع ذلك إلى الطبيعة البشرية التي خلقه الله عليها، والحدود التي جعلها له.⁴ وفي هذا يقول ابن الجوزي رحمه الله: "نهى (الشرع) عن الخوض فيما يُثير غبار شبهة، ولا تقوى على قطع طريقه أقدامُ الفهم. وإذا كان قد نهى عن الخوض في القدر، فكيف يُجيزُ الخوض في صفات المُقدَّر؟! وما ذاك إلا لأحد الأمرين... إما لخوف إثارة شبهة تزلزل العقائد، أو لأن قوى البشر تعجز عن إدراك الحقائق".⁵ وليس معنى النهي عن التفكير في الله والجدال فيه أن المسلم جاهلٌ بإلهه وخالقه، أو أنه يعبدُ من لا يعرف، بل إنَّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إعتنياً عنايةً فائقةً بإثبات الأسماء والصفات الإلهية، لأن الإنسان مفضوئاً على معرفة خالقه والإقرار بوجوده. من ذلك

1 سورة: غافر، الآيات: 70 - 75.

2 الحديث: رواه الطبراني في معجمه الأوسط، باب الميم، من اسمه: محمد، ج6، ص 250، (6319)؛ وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج1، ص 572 (2975).

3 ينظر: مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمان بن قدامة المقدسي، علق عليه: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الإسراء - قسنطينة، ط02: 1411هـ-1991م، ص380.

4 ينظر: في العقيدة، د/عبد الفتاح القاوي، دار أسامة لاطوغلي، (د.ط)، 1405هـ-1985م، ص107.

5 صيد الخاطر، جمال الدين الجوزي، دار القلم - دمشق، ط01: 1425هـ-2004م، ص198.

قوله جل جلاله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾¹. لقد جاءت السورة الكريمة "في غاية الإيجاز والإعجاز، وأوضحت صفات الجلال والكمال، ونزهت الله جلَّ وعلا عن صفات العجز والنقص"². وهكذا يتعد الإسلام بالإنسان عن الجدال في كُنْهِ الذات الإلهية وماهيتها وهويتها، ليجد الإنسان أنَّ نفي المماثلة والتشبيه هي السبيل الوحيد أمام الإنسان ليقترب من التصور الأدق والحقيقي لهذه الوجدانية. لذا فإن أرقى الدرجات التي يستطيع العقل المسلم أن يصعد إليها على سلم تصور الذات الإلهية هي التي يتلو فيها قول الحق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾³.

ولقد عاش الصحابة عليهم الرضوان بهذا التصور الذي يبعدهم عن الجدال في الله، فلا يسألون عن يد الله ما هي متى سمعوا قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۝﴾⁴. كما لا يسألون عن ما عين الله إن سمعوا قوله تعالى: ﴿وَلَتُنْصَعَعَنَّ عَلَى عَيْنِي ۝﴾⁵. ولا يسألون عن ما سمعه إن سمعوا قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ۝﴾⁶. وهكذا فلقد هُدي الصحابة الكرام ألاَّ جواب لهذه الأسئلة إلاَّ ما يجده أحدهم في قلبه وكيانه من تقديس للمولى جلَّ وعلا، ونسبة مطلق الكمال إليه سبحانه.⁷ وبذا حفظوا دينهم، فحفظ عليهم عزهم وازدهارهم.

المطلب الثاني: حفظ الدين بإقامة حدِّ الردة.

والردة تعني: "الرجوع عن دين الإسلام إلى الكفر، سواء بالنية أو بالفعل المكفّر أو بالقول، وسواء

1 سورة: الإخلاص، الآيات: 01-04.

2 صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج3، ص596 (مرجع سابق).

3 سورة: الشورى، الآية: 9.

4 سورة: الفتح، الآية: 10.

5 سورة: طه، الآية: 39.

6 سورة: المجادلة، الآية: 01.

7 ينظر: عقيدة المسلم، محمد الغزالي، دار الهناء - الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص41.

قاله استهزاءً أو عناداً أو اعتقاداً¹. "وهذا أمرٌ حذر الشارع منه أشد تحذير، وتوعد فاعله بأعظم العقاب. من ذلك قول الحق تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾² فأطلق الإحباط عليه وعلّقه بنفس الردة³. ومثل ذلك من حبوط أعمال المرتد وخسرانه في الآخرة ما جاء في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ إِزْتَدُوا عَلَيَّ أَدْبَرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿٦٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعَكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ ﴿٦٧﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَلَّوْا الْمَكِيدَةَ يُضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ ﴿٦٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ابْتَغَوْا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾⁴.

كما بيّن سبحانه أن المرتد يذل نفسه، ولا يضر الله في شيء، قال الغني الحميد: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَزْتَدِدُ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁵ وبذا سدّ تعالى ذريعة الارتداد عن الدين، الذي قد يكون سببه موالات الكافرين، وأنبأ المرتدين أن الإسلام في غنى عنهم⁶ وبيّن في موضع آخر أن على المرتد سوء المنقلب، قال عز شأنه: ﴿وَلَكِنَّ مِمَّنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁷.

1 الفقه الإسلامي وأدلته، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - سورية، ط04، (د.ت)، ج07، ص5576.

2 سورة: المائدة، الآية: 06.

3 البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط01: 1376 هـ - 1957 م، ج2، ص15.

4 سورة: محمد، الآيات: 26-29.

5 سورة: المائدة، الآية: 56.

6 ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية - تونس، (د.ط)، 1984 م، ج6، ص235.

7 سورة: النحل، الآية: 106.

كما حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الردة، مبيناً حكمها في قوله: ((مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)).¹ وكما في قوله: ((لا يجل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)).²

وقد امتثل السلف الصالح حكم الشارع، فهذا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول يجارب المرتدين (مانعي الزكاة) ويقول لمن طلب منه التآني في شأنهم مقولته العظيمة: ((والله لو منعوني عَنَاقًا مِّمَّا كَانُوا يُعْطُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَيْهِ)).³

كما قاتل خالد بن الوليد بني أسد لما ارتدوا عن الإسلام.⁴ وأجمع الصحابة عليهم الرضوان على قتل أهل مسجد الكوفة إثر رَدِّهم وتقريهم نبوة مسيلمة الكذاب، وإن اختلفوا في قبول توبتهم من عدمها.⁵ وهكذا تبين أن المسلم لا يجوز له تغيير دينه أو استبداله، لما فيه من معنى تكذيب الرسالة الإسلامية، فإن فَعَلَ طُبِّقَ عَلَيْهِ حد الردة.

وبذا فإن هذا الحد هو حصن يتحصن به المجتمع المسلم من الفساد الذي تورثه الردة، والمتمثل في التشكيك في صلاحية الرسالة الإسلامية، وحجب غير المسلمين عن رؤية حقائق هذه الرسالة،

1 الحديث: سبق تخريجه في ص 26.

2 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم، ج 3، ص 1302 (25).

3 الأثر: رواه النسائي في سننه الصغرى، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، ج 6، ص 6 (3094)؛ و أحمد في مسنده، مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج 1، ص 358 (239)؛ والبيهقي في سننه الكبرى، كتاب قتال أهل البغي، باب ما جاء في قتال الضرب الثاني من أهل الردة، ج 08، ص 307، (16732)؛ وقال الحاكم في المستدرک: هذا حديث صحيح الإسناد، غير أن الشيخين لم يخرجاه.

4 ينظر: كتاب التوحيد وقرّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، عبد الرحمن بن حسن التميمي، تح: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد - المملكة العربية السعودية، مكتبة دار البيان - الجمهورية العربية السورية، ط 01: 1411هـ-1990م، ص 29.

5 ينظر: الرسائل الشخصية، محمد بن عبد الوهاب التميمي، تح: صالح بن فوزان الفوزان، محمد العيلقي، جامعة الإمام محمد بن سعود - المملكة العربية السعودية، (د.ط)، (د.ت)، ص 219.

والتغير بضعاف الإيمان لأن يسلكوا سبيل المرتدين... ليدب الضرر في وسط المجتمع المسلم وينهار. وعندها تكون "الردة... خيانة كبرى للدين والمجتمع".¹ ومن هنا فإن على ولاة أمور المسلمين وجوب إقامة حد الردة حفظاً للدين من عبث العابثين، وصيانة للمجتمع المسلم من مكر المفسدين الزائغين السبيل، حيث أن مصلحة حفظ الدين تشمل سعادة الدنيا والآخرة، وعظم هذه المصلحة يوجب تطبيق المسلك الموصل إلى المقصود منه.

المطلب الثالث: حفظ الدين بمدافعة الإعراض عن حكم الله تعالى.

لما كان المقصد من خلق الإنس والجان هو عبادته تعالى انطلاقاً من تطبيق ما جاء في الدين والحكم به، فإنه من البديهي أن يرتب الخالق أشد العقوبات لمن يعرض عن حكمه تعالى، وذلك لخطورة الأمر، حيث الإعراض عن حكم الله هو إعراض في الحقيقة عن الخير والصلاح الذي جاء الإسلام لتحقيقه.

واقترضت رحمته سبحانه أن يبين لهم خطورة الإعراض عن حكمه، وشناعة ذلك وأن مآل الإعراض هو الظلم والفسوق والكفر. قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَخُصَّمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهٖ فَهٗوَ كَافِرٌ﴾².

وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَخُصَّمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهٖ فَهٗوَ كَافِرٌ﴾³. وقال: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَخُصَّمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهٖ فَهٗوَ كَافِرٌ﴾⁴. ثم بين الرحمن أن مآل الإعراض عن حكمه تعجيل بعض العقاب في الدنيا قبل الآخرة بإهلاك المعرضين وتدميرهم، فقال: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاغْلَمَ أَنْتُمْ﴾

1 السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية، عبد الوهاب خلاّف، دار القلم، (د.ط)، 1408هـ-1988م، ص 40.

2 سورة: المائدة، الآية: 46.

3 سورة: المائدة، الآية: 47.

4 سورة: المائدة، الآية: 49.

يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٥٢﴾ أَبْخَمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ¹. وبهذه الآيات "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر... إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم... ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوفون { أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها"².

كما توعده سبحانه المعرضين عن حكمه بحلول الفتنة فيهم، في قوله: ﴿بَلِيحَدَّرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾³. فاشتد العقاب تبعاً لشناعة جرم الإعراض عن حكمه. والإعراض في الحقيقة له حالتان، كلاهما شنيعة وإن تفاوتت درجة شناعتها.

الحالة الأولى: يكون فيها الإعراض عن حكم الله كفرةً أكبر يخرج من الملة، ويشمل ذلك العمل بالتشريع المخالف لحكم الله بالكلية، وتطبيقه وإلزام الناس به.

الحالة الثانية: يكون الإعراض فيها غير مخرج من الملة، لكنه كبيرة من أعظم الكبائر، كالإعراض عن حكمه تعالى في حالات جزئية مع علم واعتقاد الإثم⁴، فكان الإعراض عن حكم الله كلياً أو جزئياً منبوذ في الإسلام، باعتبار أن الإعراض الجزئي قد يكون ذريعة للإعراض الكلي، ومن ثمَّ هدم الدين.

1 سورة: المائدة، الآيتان: 51، 52.

2 تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط02: 1420هـ-1999م، ج03، ص131.

3 سورة: النور، الآية: 61.

4 ينظر: الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه، د/ عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار طيبة - الرياض، ط01: 1420هـ، ص278.

والشارع سبحانه حذر من هذا وذاك لأجل حفظ دينه في نصوص كثيرة، منها قوله: ﴿قَلَّا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾¹. وقال عز من قائل سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوذِيَكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ يَكُ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٦٨﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمْ إِرْتَابٌ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَرَسُولُهُ نَبَأٌ أُوحِيَ إِلَيْكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوذِيَكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾².

ولما كان الإعراض عن حكم الله تعالى مآله الظلم والقعود في مواطن الخطيئات، والبعد عن طريق الفلاح والرشاد، وكل ذلك فساد كان سبباً لبغض الله تعالى للمعرضين عن سبيله. قال عليه السلام: ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحدٌ في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية، ومُطَلَّبٌ دم امرئٍ بغير حق ليُهرق دمه))³.

ومما سبق ظهر أن حكم الله هو أعدل الأحكام وأفضلها، لذا يجب تحكيمه كل صغيرة وكبيرة. والمعرض عنه ما تراه إلا ضال يتعمى عن الحق والخير والصلاح الذي قصده الدين الإسلامي. وقد بيّن الشارع خطورة الإعراض ورتب عليه عقوبات تزجر من تسول له نفسه ذلك، وتردع المعرضين عن مواصلة السير على ذاك النهج. واتضح جلياً ضرورة الحكم بما أنزل الله، وأهمية تشديد العقوبة على المعرضين عن حكمه تعالى كي يحفظ الدين الذي جاء لصالح الإنسانية في الحال والمآل.

1 سورة: النساء، الآية: 64.

2 سورة: النور، الآيات: 45-49.

3 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق، ج 09، ص 6 (6882).

المطلب الرابع: حفظ الدين بالجهاد.

تميزت أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأن كانت خير أمة أخرجت للناس، وقد ورد الوصف المناسب المعلن لحكم الخيرية في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.¹ لقد حكم تعالى بثبوت وصف الخيرية لهذه الأمة ثم تعقب ذلك بذكر الطاعات الواردة في الآية فاستلزم الأمر أن تكون هذه الطاعات علة لتلك الخيرية. وفي هذا المقام يتبادر إلى الذهن سؤالان جديران بالإجابة.

أحدهما: أن الأمم الغابرة اتصفت هي الأخرى بصفتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكيف فضلت أمة خاتم الأنبياء على سائر الأمم بهذه الصفات؟.

وأجيب عن هذا بأن صفتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لدى أمة محمد عليه السلام ازدانت بأقوى الوجوه دفعا للفساد المهديد للدين وثوابته ألا وهو الجهاد باليد، وهو أقوى أنواع الجهاد الوارد بيانه في قوله عليه السلام: ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)).² وذلك لأن الجهاد باليد محملا لأعظم المضار من أجل أن يعم البشرية أعظم المنافع من إيمان بالله تعالى وبالنبوة، وتدرء أفسد المفاسد من الحاد وكفر به تعالى، فوجب أن يكون الجهاد أعظم الأعمال وأعلاها.³

ولما كان الجهاد في شريعة الإسلام أقوى منه إذا ما قورن بسائر الشرائع السماوية السابقة فلا غرو أن يكون ذلك موجبا لخيرية هذه الأمة على غيرها من الأمم وفضلها عليها.

1 سورة: آل عمران، الآية: 110.

2 الحديث: رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ج 01، ص 69 (78).

3 ينظر: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د/يوسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - هيرنندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط2: 1415هـ - 1994م، ص 248، 249.

أما السؤال الثاني: لماذا جاء تقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الآية على الإيمان بالله تعالى، ولا يختلف عاقلان في أن الإيمان بالله تعالى هو الأصل وأن غيره من الأعمال الواجبة والتطوعية بما فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبنيةً عليه، باطلة بدونه؟.

وأجيب عن هذا بأن الإيمان بالله هو الحيز المشترك الذي اشتركت فيه جميع الأمم المحقة، فيستبعد أن يكون هذا هو الوصف المناسب للخيرية والتفضيل. أما وقد ثبت أن وصف الخيرية معلل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على النحو المذكور سالفاً فلا إشكال إذن في تقديم هذين الوصفين على الإيمان به تعالى.

ويستفاد مما سبق أن هذه الأمة لو تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى رأسه الجهاد لم تعد خير أمة أخرجت للناس، باعتبار أن هذا الترك مؤداه إلى شيوع الرذائل وتفشيها، واختفاء الفضائل وتنحيها، ومن ثمَّ يدب الخلاف والشقاق في صفوفها، لتغدو فرقاً متفرقة، وصفوفاً متشتتة، فتصاب بالوهن والضعف، وتكون حينها فريسة سهلة المنال لأعدائها يتداعون عليها كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.¹ وحتى لا يفهم الجهاد فهماً خاطئاً لابدَّ من وقفة فاحصة لمسلك الجهاد في هذه السطور. أمر المولى تبارك وتعالى رسوله محمد عليه السلام بالدعوة لهذا الدين بالحب واللين والشفقة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. قال عز من قائل سبحانه: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.²

وبعد القيام بالتبليغ بالوسائل السلمية تبليغاً يتحقق معه إقامة الحجة على المبلغين، حيث فهموا أن مقصود الشارع من تشريع الدين هو إخراجهم من الظلمات إلى النور، وإلى ما فيه صلاحهم في الحال وفلاحهم في المآل. فمن عاند واستكبر بعد ذلك وصدَّ الناس عن الدين الحق فقد ظلم نفسه،

1 ينظر: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د/ يوسف العالم، ص 249، 250 (مرجع سابق).

2 سورة: النحل، الآية: 125.

وعليها قد جنى، لأن الله تعالى أيّد دينه بافتراض الجهاد في سبيله.¹ قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الْفِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.²

فالجهاد ومقاتلة هؤلاء المكابرين الذين يصدون الناس عن الدين ليس غاية لذاته ولا مقصداً في نفسه،
إنما شرع كوسيلة لمقاصد أخرى، ظهرت في نصوص شرعية عدة، منها قول الحق تبارك
وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونََكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.³ وفي
قوله: ﴿بِمَنْ إِعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا إِعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾⁴، فبينت الآيتان أن من
مقاصد الجهاد دفع عدوان المحاربين المعتدين.

أما قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾.⁵ بين أن من مقاصد الجهاد
دفع الفتنة عن المؤمنين ودرء فسادها.

وفي قوله جلّ جلاله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ
وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾⁶ تبين أن من مقاصد الجهاد نصرة المستضعفين ورفع الضرر
عنهم.

ومن هنا تجد الشارع الحكيم يرشد عباده إلى الموازنة بين المصالح والمفاسد عند تراحمها، حيث مصلحة

1 ينظر: أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وآثارها في فهم النص واستنباط الحكم (رسالة ماجستير)، د/سميح عبد الوهاب الجندي،
إشراف: حسن محمد الأهدل، دار القمة، دار الإيمان - الإسكندرية، (د.ط)، 2003م، ص 216، 217.

2 سورة: البقرة، الآية: 214.

3 سورة: البقرة، الآية: 189.

4 سورة: البقرة، الآية: 193.

5 سورة: البقرة، الآية: 192.

6 سورة: النساء، الآية: 74.

بقاء الدين وإعلاء كلمته، ودفع الفتنة والضرر مصالح راجحة إذا ما قورنت بالمفسدة التي قد تبدو في قتال المشركين من إزهاقٍ للنفوس.

كما يلمس توجيه الحق تعالى إلى الموازنة بين المفاصد عند تزامها في قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمِ فِيهِ قِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْمِثْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ¹، فمفسدة صدّ المشركين للمؤمنين عن المسجد الحرام، وإخراجهم منه مفسدة عظيمة إذا ما قورنت بمفسدة مقاتلتهم في الشهر الحرام، فتحتمل أدنى المفسدتين وأخف الضررين لدفع أكبرهما، ويكون القتال في الشهر الحرام، في تلك الظروف لا بأس به. ومن مجموع الأحكام المفيدة لهذا المعنى استنبط العلماء القاعدة الفقهية [إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما].² وبذلك يرشد الشارع إلى تحمل المفسدة الأقل تأكيداً وأقل إثماً عند تزامن المفاصد وعدم إمكان دفعها جميعاً، وكان الوقوع في إحداها لا محيد عنه ولا مفر منه، فيرتكب المحذور الأصغر لدفع الخطر الأكبر.

وفي الحقيقة أُطلق عليه مسمى المحذور باعتبار الأصل الأول الذي كان عليه، أما وقد أصبح مرجوحاً لم يعد محظوراً. وعلى فرض سريان إطلاق مسمى المحذور (تجوزاً) أُعمل القاعدة الفقهية التي تنص على أن: [الضرورات تبيح المحظورات]³، حيث محذور قتل الأنفس أباحت ضرورة حفظ الدين وإعلاء كلمته وترسيخ سلطانه.

لذا تجد المبلغ عن ربه عز وجل يرغب في الجهاد ويحث عليه، كما في قوله: ((لغدوة في سبيل الله أو

1 سورة: البقرة، الآية: 215.

2 أصول الفقه الإسلامي، د/ محمد سراج، دار الجامعة الجديدة للنشر، منشأة المعارف - الإسكندرية، (د.ط)، 1418هـ - 1998م، ص 398

3 المدخل إلى علم القواعد الفقهية، د/ نور الدين بوحزمة، دار الكفاية - الجزائر، (د.ط)، 1435هـ - 2014م، ص 63.

روحة، خير من الدنيا وما فيها)).¹ وقوله: ((تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرج به إلا جهاداً في سبيلي، وإيماناً بي، وتصديقاً برؤسلي. فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة. أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، نائلاً ما نال من أجرٍ أو غنيمة)).² ولما سُئِلَ عليه الصلاة والسلام عن أفضل الأعمال عند الله تعالى، أجاب قائلاً: ((إيمان بالله ورسوله))، قيل: ثم ماذا؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله)). قيل: ثم ماذا؟ قال: ((حج مبرور)).³ وكان دين الإسلام بذلك أتم الشرائع إذ أمر فيه بالجهاد الذي يكبح الظالمين، ويهدي آخرين.

وفي تاريخ قريش وغيرهم من العرب لعبرة، حيث كانوا أبعد الخلق عن الإنسانية والإحسان، فجاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل أشدهم بطشاً وأحدّهم نفساً حتى ظهر أمر الله وانقادوا له واتبعوه، ليتحولوا بعد ذلك إلى أهل فضل وإحسان، فاستقامت أمورهم وعظم شأنهم.⁴

فالغرض من الجهاد في الإسلام إذن ليس إجبار غير المسلمين على الإسلام كما يدعي أعداء الإسلام، ولا أدلّ على ذلك من إقامة غير المسلمين آمنين في ديار الإسلام بموجب (عقد الذمة) وإقرارهم على عقيدتهم ودينهم ما لم يعتدوا أو يسيئوا لحرمت الإسلام ومقدساته. وبدليل الآية الصريحة في عدم إجبار أو إكراه أيّاً كان على الإسلام في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.⁵ وبدليل آيات أخر تصرف عن الجهاد متى زال سببه، كما في قوله تعالى: ﴿بِإِنِّ إِغْتَرَلَوْكُمْ فَلَمْ يُفْتَلَوْكُمْ وَأَلْفَوْا لَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾.⁶ وأيضاً في قول الحق

1 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله، ج4، ص16 (2792).

2 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، ج3، ص1495 (103).

3 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من قال أن الإيمان هو العمل، ج01، ص14 (26).

4 ينظر: حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، تح: السيد سابق، دار الجيل - لبنان، ط01: 2005م، ج02، ص263، 264.

5 سورة: البقرة، الآية: 255.

6 سورة: النساء، الآية: 89.

تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾¹.

كما بين رسول السلام محمد صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في مواضع عدة، منها قوله: ((لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة))²، حيث الشيوخ والأطفال والنساء ليس لهم قدرة الإساءة والعدوان على المسلمين، لذا لم يكن هناك مسوِّغ لقتلهم.

وبالرغم من المسوِّغ القوي للجهاد كما تبين سالفاً، فإن الجهاد في الإسلام مقيد بضوابط أربعة تتمثل في الآتي:

أولاً: منع الإعتداء على غير المقاتلين أو المحرضين على قتال المسلمين.

ثانياً: احترام المبادئ الإنسانية أثناء الحرب وبعدها.

ثالثاً: منع إتلاف الممتلكات العامة، ما لم تقضي الضرورة بذلك، و[الضرورة تقدر بقدرها]³ كما هو معلوم في الشرع.

رابعاً: اللجوء إلى الهدنة والصلح والأمان أو الحياد.⁴ وعموماً فإن مقاصد الجهاد، التي ترمي إلى حفظ الدين تتلخص في مقاصد ثلاث.

1 سورة: الأنفال، الآية: 62.

2 الحديث: رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، ج3، ص37 (2614)؛ ويؤيده حديث ((لا تقتلوا ذرية ولا عسيفاً))، الذي رواه ابن حبان في صحيحه، باب الخروج وكيفية الجهاد، ذكر الخبر الدال على أن النساء والصبيان...، ج11، ص110 (4789)، قال المحقق (شعيب الأرنؤوط): إسناده صحيح؛ وقال الحاكم في المستدرک في رواية ((لا يقتلن ذرية، ولا عسيفاً)). قال: الحديث صحيحاً على شرط الشيخين ولم يخرجه.

3 القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، د/محمد مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط1: 01: 1427هـ-2006م، ج01، ص273.

4 ينظر: القانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان دراسة مقارنة، د/وهبة الزحيلي، دار الفكر - سورية، دار الفكر المعاصر - لبنان، ط1: 1433هـ-2012م، ص99.

أولها: يتمثل في الدفاع عن المستضعفين من المؤمنين، وضمن احترام حق الإنسان في حرية العقيدة. ثانيها: تقرير حرية الدعوة بعد تقرير حرية العقيدة¹، خصوصاً في زمن كثر فيه الدعوان للإلحاد. فبالجهاد يبلغ الدين للناس فمن شاء فليؤمن بعد ذلك ومن شاء فليكفر، فلا إكراه في الدين. لكن قبل هذا ينبغي إزالة تلك العقبات التي تحول بين الناس وبين سماعهم للحق، وتقف حجر عثرة في طريق الدعوة إليه.

ثالثها: إقامة حكم الله في أرضه وحمایته مما يعيق ذلك، لأن نظام الإسلام هو النظام الوحيد الذي يحقق حرية الإنسان نحو أخيه الإنسان حينما يقرر العبودية للخالق وحده لا شريك له²، فالجهاد رحمة حتى لا يستعبد أحدٌ أحداً. وصدق الذي لا ينطق عن الهوى حين قال: ((أنا محمد، وأحمد، المقفّي ونبي الرحمة، ونبي الملحمة)).³

و"ما كانت الملحمة إلا لأجل المرحة"⁴، كيف لا والرسالة التي حملها خاتم الأنبياء عليه السلام ما جاءت إلا لإرادة الخير والصلاح للبشرية.

وبعد أن تبينت مقاصد الجهاد أقول: إن أمكن تحقيق هذه المقاصد دون قتال لا يُتسارع إلى الجهاد وتقدم هذه الطرق، فإذا تعذرت يُصار إلى الجهاد، حيث "أن العقيدة تعلق بالتضحية لها.. وكلمة

1 ينظر: قواعد الأحكام في إصلاح الأنام (القواعد الكبرى)، عز الدين بن عبد السلام، تح: د/ نزيير كمال حماد، د/عثمان جمعة ضميمية، دار القلم - دمشق، (د.ط)، (د.ت)، ج01، ص167.

2 ينظر: نظرية الضرورة الشرعية مقارنة مع القانون الوضعي، د/ وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر- لبنان، دار الفكر - سورية، ط9: 1431هـ - 2010م، ص17.

3 الحديث: رواه الطبراني في معجمه الصغير، باب من اسمه إبراهيم، ج1، ص143 (217)؛ وابن حبان في صحيحه، ذكر وصف أسامي المصطفى صلى الله عليه وسلم، ج14، ص221 (6314)؛ وأحمد في مسنده، حديث أبي موسى الأشعري، ج32، ص291 (19525)؛ ويشهد لمعنى الحديث رواية البخاري ((أنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر))، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج4، ص185 (3532). واستعملت الرواية الموجودة داخل النص لكونها أقرب في الدلالة على الجهاد.

4 خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، محمد أبي زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة، (د.ط)، 1425هـ، ج2، ص516.

اتسعت دائرة التضحية كلما قويت النفس على الثبات، ودلَّ ذلك على الصدق، وهي عين الإستقامة"¹. وبجهد الأمة الإسلامية في سبيل الله تعالى تُثبِتُ للعالم أن لها رسالة، ومبادئ عليا تجاهد من أجلها، وتحيا لها، أمة مضحية مستعدة لبذل الدماء في سبيل من كلفها بحفظ الدين، يصدق عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُفْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُفْتَلُونَ وَيُفْتَلُونَ وَعَدَاً عَلَيْهِ حَفًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ﴾².

وإجمالاً فإن الشرع تجده يأمر بالوسائل(المسالك) لأجل تحقيق المقاصد، وفي الوقت ذاته تجده ينهى عن الوسائل إذا كان مآلها فاسد، وما ذاك إلاً دليلاً على أنَّ حكم الوسيلة مستمدٌ من حكم مقصدها، مترتبٌ عليه.³ وبذا يُفهم كلام ابن القيم رحمه الله: "لما كانت المقاصد لا يُتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها... فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قصد الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل".⁴ وهكذا اعتنت الشريعة الإسلامية عناية فائقة بمقصد حفظ الدين، فشرعت الأحكام التي تضمن بقاءه واستمراريته، وتحفظه من أن يتطرق إليه خللٌ أو اضطراب.

المبحث الثالث: آثار الإخلال بالدين.

لاشك أن التهاون في تطبيق مسالك مقصد حفظ الدين هو إخلال بالدين، وهو من أكبر الكبائر عند الله تعالى لِمَا فيه من تعطيل وإهدار لما تشوّفه الشارع الحكيم من مقاصد، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه هو أين تكمن نتائج وآثار الإخلال بالدين على أرض الواقع.

1 منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، دار البلاغ - الجزائر، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، ط03: 2007م، ص 114.

2 سورة: التوبة، الآية: 112.

3 ينظر: الفكر المقاصدي قواعد وفوائده، أحمد الريسوني، منشورات جريدة الزمن، (د.ط)، 1999م، ص81.

4 إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تح: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط01: 1411هـ-1991م، ج3، ص108، 109.

المطلب الأول: الردة والتخلف .

إن البعد عن الدين يؤثر على الذهن بالسلب، ليورث أحياناً إنكار القوة التي أوجدت العالم من العدم وإنكار الوحي و النبؤات وغيرها من العقائد والمقدسات التي يقوم عليها الدين.

وما الإيمان بالمادية القائمة على إنكار ما سوى المادة إلا ضرباً من الإلحاد، الذي لا يدخل صاحبه كنيسةً أو هيكلًا ليعلن رده. إنَّها ردة أخذت تنتشر في العالم الإسلامي منذ القرن التاسع عشر للميلاد إثر ضعف المسلمين في الدعوة للإسلام ومضامينه الحضارية، فلم يؤثّر المسلمين في غيرهم وكان أن أثّر غيرهم فيهم. وهجم الغرب بفلسفاته اللادينية يجتاح العالم الإسلامي ويغزوه فكراً ليضمن تخلفه على جميع المستويات¹، معتمداً في ذلك عملية الإفراغ والملاء. إفراغ قلوب المسلمين من عقيدة الإيمان بالله جلّ في علاه، وملؤها بكل ما يدعو للكفر والإلحاد، وعند تحقق أمنيته يعلم حينها أن الأمة الإسلامية قد وقعت في قبضته، وتحت وطأته.

وبذا تجده ينطلق من عقلية راسخة في ذهنه مفادها: إضعاف الدين في قلوب المسلمين وإبعادهم عنه يساوي عدم وعيهم بمصالحهم، ومن ثم تخلفهم. وفعلته هذه تشبه تماماً فعلة الذي يسرق الوقود من خزان السيارة، ذلك أن الإنسان الذي لا إيمان له لا يُعقل أن يدفع بالأمة الإسلامية إلى الأمام، أو يقطع شوطاً أو يبلغ هدفاً لصالحها وخدمتها.²

وكان أن وقع الكثير من المسلمين في شباك هذا الغزو، فاستجابوا له، وفي الوقت ذاته لم يحدثوا تقدماً علمياً إلا بخطى متثاقلة بطيئة للغاية، فحدث أن تفاقمت المشاكل والأزمات في تسارع، خصوصاً في المجال السياسي.³ ونسوا أو تناسوا أن التمكين الذي حصل لآبائهم الأولين إنما كان بإقامتهم الدين

1 ينظر: إلى الإسلام من جديد، علي أبو الحسن الندوي، دار القلم للنشر والتوزيع - دمشق، ط04: 1399هـ - 1979م، ص 174-190.

2 ينظر: كفاح دين، محمد الغزالي، مكتبة رحاب - الجزائر، ط6: 1408هـ - 1988م، ص 166، 167.

3 ينظر: عوامل الشهود الحضاري، د/عبد المجيد عمر النجار، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط01: 1999م، ص 26.

وحفاظهم على مقدساته يوم قاموا على هذه الدنيا يحملون مشاعل النور ومصايح الهدى، وإحقاق الحق وإبطال الباطل فأخرجوا الإنسانية من ظلامها المقيت وجهلها المميت وضلالها السافل.

ولما كانت الردة عن التمسك بالدين، حيث تقاعس الكثير من المسلمين عن طلب مناهل العلم وموارد العمل، وكانوا لقمّة سائغةً بين يدِ عدوهم، فعاث في أرضهم الفساد، ليقيم على ما تبقى من أشلاء أوطانهم مدنيته التي انخدع بها غثاءً من المسلمين. ورجعوا بحالهم هذا باللائمة على دينهم، وما هم من الدين في شيء، وإن كان اسمهم مسلمين وحُسبوا من اهل الإسلام.¹ وبذا أمكن للمستعمر الجديد أن يحقق تخلف المسلمين وتبعيتهم له على الأصعدة الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتطبيعهم على هذا النحو، وغداً بذلك مفتتاً بُنى الحضارة الإسلامية، وما ذلك بغريب عن مستعمرٍ تقوم ثقافته على افتراس الدين وتعاليمه ومقدساته.

ومن هنا يبرز الفرق الصارخ بين عالمية الإسلام التي تقوم على الإنقاذ العالمي للإنسان، وجلب الصلاح له في الدنيا والآخرة، ودفع الضرر عنه، وبين مبادئ الحضارة الغربية القائمة على الإلحاد والهيمنة على خيرات الشعوب واستعبادهم.²

إن ما يشهده العالم الإسلامي اليوم من التهور في الحصول على المادة وإيثارها على مبادئ الإسلام في كثيرٍ من الأحيان، وإيثار الدنيا على الآخرة لهي موجة جاهلية صحبها الاضطراب الفكري والقلق النفسي. إنها أخطر موجة يواجهها العالم الإسلامي، إذ هي ردةٌ قلَّ من ينتبه إليها، فضلاً عن أن ينقطع لمحاربتها.³

وهكذا برز أثر الإلحاد والتخلف إزاء التهاون في التمسك بالدين وتحسيد مسالك حفظه، فساد الفساد، وضافت الحياة، وحُجبت الرؤية الصحيحة لمصالح الإنسان، حتى وإن مُلكت الكثير من مقومات الحياة المادية، حيث أن المقومات المادية تحتاج إلى توجيه، ولا موجّه لها سوى الدين الحق

1 ينظر: المسلمون ورسالتهم في الحياة، عبد الكريم الخطيب، دار الكتاب العربي - لبنان، ط01: 1402هـ-1982م، ص27.

2 ينظر: العالم الإسلامي في مواجهة التحديات الغربية، د/ وهبة الزحيلي، ص81-87 (مرجع سابق).

3 ينظر: إلى الإسلام من جديد، علي أبو الحسن الندوي، ص190 (مرجع سابق).

الذي يقوم على جلب المصالح للناس في هذه الدار وفي دار القرار. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا بَضَلًا يَجِبَالٌ أَوْيٍ مَعَهُ، وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ لَهُ الْحَدِيدَ ۖ أَنْ إِعْمَلْ سَبِغَتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ¹﴾.

المطلب الثاني: شيوع الفوضى وزعزعة الأمن الوطني.

إذا كان الإخلال بمسالك حفظ الدين مآله حتماً البعد عن الدين، فإن شيوع الفوضى والظلم وزعزعة الأمن الوطني نتيجةً منطقيةً لذلك البعد. وهذا ما يمكن اختباره وملاحظته من خلال الواقع التجريبي، الذي أثبت ولا يزال يثبت أنه كلما زاد البعد عن الدين الإسلامي كلما زادت معه الفوضى من سفك للدماء بغير وجه حق، وهتك للأعراض، ونهب للأموال، وتخدير للعقول، ليزعزع الأمن.

فالبعد عن الدين آثاره سيئة تضرُّ بالفرد والمجتمع وتجعل الشر يسود، لينفرط عقد النظام، ويعيش الناس كالبهائم، بل هم أضل في ضوء هذه المعطيات. وفي هذا يقول بعضهم: "الإنسان بلا مبادئ ومقدسات ينساق إليها بفطرته يكون أشبه بالحيوان الأعجم، بل هو أقل شأنًا، وهذه المبادئ والمقدسات هي: الدين"².

وبذا تبينت العلاقة الطردية بين البعد عن الدين، وتعقد الحياة على المستوى الفردي والجماعي، ليزعزع الأمن الوطني. لذا كان البعد عن الدين والاعتداء على حقوق الآخرين من أكبر الكبائر عند الله تعالى. يقول ابن القيم رحمه الله: "لَمَّا كَانَ الظلم والعدوان منافيين للعدل الذي قامت به السماوات والأرض، وأرسل الله - سبحانه - رسوله عليهم الصلاة والسلام، وأنزل كتبه ليقوم الناس به - كان من

1 سورة: سبأ، الآيتان: 10، 11.

2 الجوانب التربوية في أصول الفقه الإسلامي، د/ مصطفى ديب البغا، عالم الكتب الحديث - الأردن، جدارا للكتاب العالمي - الأردن، ط 01: 2006م، ص 270.

أكبر الكبائر عند الله، وكانت درجته في العظمة بحسب مفسدته في نفسه".¹

نعم، إن العمل الفاسد الذي تمثل في البعد عن الدين لا تنتج عنه إلا آثار فاسدة. وعلماء الاجتماع على أن من أكبر أسباب رقي المجتمعات وسقوطها يعود إلى الدين.² وهكذا كلما ابتعد الناس عن الدين، ونسوا حظاً مما ذكروا به سادت الفوضى، وعمّ الظلم والعدوان على حقوق الإنسان، وانتشرت الأضرار والمفاسد، لتورث المعيشة الضنك، ويحق قول الحق: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾.³ لأنهم استبدلوا الذي هو خير بالذي هو أدنى. فليس شيء أضر بالفرد والمجتمع من شيوع الظلم وانتشار بوائقه، الذي يفقد الدولة أمنها ورحائها، ويجعل مجدها وسلطانها ينهار، بل قل ليس شيء أضر بالفرد والمجتمع من البعد عن الدين الذي يورث هذا الظلم.

المطلب الثالث: خرق القوانين وفتح باب الصراعات الدولية.

إن استمرار الأوضاع المذكورة في المطلب السابق، مع انسداد آفاق الإصلاح الحقيقي (الفعلي) من قِبَل الدولة قد يكون مآله تدخلات خارجية تقصد تحقيق مصالحها الشخصية، لتزيد الطين بلةً وتزداد الأوضاع سوءاً. وبيان ذلك أن انتشار الفوضى وغياب الأمن وعجز الدولة عن حفظ النظام العام وفرض القانون يؤدي إلى ضعف هيبة الدولة، ثم إلى مزيد من الظلم والفساد وتفاعله بصورة أكبر، أين يزداد عدد أفرادها الخارجين عنها. الأمر الذي يساهم في نشوء حركات متطرفة وإرهاب، واتساع الهوة في فقدان ثقة الأفراد في القوانين.

وهذه الحلقة في مسلسل الفوضى والاعتداءات التي تعيشها الدولة تؤول بدورها في كثير من الأحيان

1 الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم الجوزية، دار الهدى - عين مليلة - الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص 149.

2 ينظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع - تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، ط2، (د.ت)، ص 9.

3 سورة: طه، الآية: 122.

إلى خلق حلقة أخرى تتمثل في إغراء أعداء الدولة في الخارج، ليستغلوا الوضع، وليجسدوه - كما يشهد الواقع - في مخادعة هذه الدولة بشكلٍ أو بآخر، والتجسس والتآمر عليها، إنتهاءً بالصراع المكشوف المدمر (الغزو المسلح).

وقد لا ينتهي الأمر عند هذا الحد، بل تؤول هذه الحلقة إلى إيجاد حلقة موالية تتمثل في تدخل طرفٍ ثالثٍ لتسوية النزاع، ولا يُستبعد إن يُجابي هذا الأخير طرف على حساب طرف لغايات ومصالح له في نفسه يقضيها، قد تكون نفس غايات ومصالح المستعمر الأول. فتجد هذا الطرف وأمثاله "يأتون للمسكن والمظلوم والمضطهد ويُظهرون له أنهم معه وأنهم مؤيدون لحقه ويبيعونه السلاح وقد يمدون له في الأجل ويضاعفون عليه الديون والربا إلى أن يقع نهائياً في أحابيلهم واستعمارهم، وهم مع ذلك يساعدون عدوه ويبيعون السلاح له أيضاً ويؤيدونه ثم يكتشف المتحاربون في نهاية المطاف أنهم لم يكسبوا شيئاً وأنهم فقدوا كل شيء"¹. ويكون الطرف الثالث قد حقق مصلحته المتمثلة في تجريب الأسلحة وترويجها، والتي غدت مطالب جهنمية استعمارية للدول الاستكبارية القوية.² وهنا تغيب معاني العدالة، وتُسلك سبل المساومة، وتُصادر الكرامة الإنسانية، ويتجرأ الطغاة على مزيدٍ من الغيِّ والاجرام، ويُحفز المظلومون على الثأر والانتقام، ويعلو قول الحق ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.³ فتغدو الحياة مسرحاً للجرائم والعدوان على حقوق الإنسان، وفي هذا إنذارٌ بتعطيل الكثير من الاتفاقيات، وخرق للقوانين، ثمَّ إلى مزيدٍ من الحروب والصراعات الدولية، ومزيدٍ من قتل الأنفس وهتك الأعراض وإضاعة العقل والمال وإهلاك الحرث والنسل.

1 أضواء على أوضاعنا السياسية، عبد الرحمان بن عبد الخالق اليوسف، دار القلم - الكويت، ط01: 1398هـ-1978م، ص76.

2 ينظر: أضواء على أوضاعنا السياسية، عبد الرحمان اليوسف، ص75 (مرجع سابق).

3 سورة: الروم، الآية:40.

ناهيك عن مزيد من الأمراض الجسمية والنفسية الناتجة عن هذا الحروب، خصوصاً عند الأطفال باعتبارهم الأكثر عُرضةً للانفعالات والاضطرابات جراء القصف وصوت الانفجارات والصور الدامية، علاوةً على انقطاع الخدمات العامة، وزهد الشعب في العمل والانتاج. مما يساهم في انعدام المستلزمات الضرورية للحياة، وشروط العيش الكريم.

ومما سبق تُستنزف الموارد المادية و البشرية، وتخرب الدول التي تعيش هذه الحرب اقتصادياً وعمرانياً وتسوء سياسياً واجتماعياً وثقافياً، لتعيش البشرية في ظلامٍ دامسٍ تُظلم له القلوب. فليحذر البشر قول الحق: ﴿بَكَائِينَ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِّبَنِيهَا عَلَىٰ عُرُوشِهِمْ وَبِئْسَ مَعْطَلَةٌ وَفَصْرِ مَّشِيدٍ﴾¹ وليحذروا قول الصادق المصدوق عليه السلام: ((...ويبقى شرارُ الناس، يتهارجون فيها تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة)).²

ووجه الدلالة من الحديث: أن الإخلال بالدين يؤدي إلى تأصل الشر، وذاك علامة على قرب فناء الدنيا، وقيام الساعة. ولعل هذا المعنى هو الذي ذهب إليه ابن تيمية بقوله: "لا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم فإذا دَرَسَتْ آثار الرسل من الأرض وانمحت بالكلية خرب الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة".³ وقد شهد التاريخ على أن البشرية عرفت حدثاً هائلاً في تاريخها، ونكبةً قاصمةً في حياتها نتيجة تنحية الإسلام عن قيادتها، نكبةً لم تعرف لها نظيراً في كل ما أَلَمَّ بها من نكبات.⁴ فالبعد عن التمسك بالدين وتحكيمه الواقع مؤثر قوي على الإنيهار الحضاري ونكسته، حيث التمسك بالدين الحق يحقق للإنسانية الأمن في زمنٍ عَرَّ فيه الأمن.

1 سورة: الحج، الآية:43.

2 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ج4، ص2250 (110).

3 مجموع الفتاوى، تقي الدين بن تيمية، تح: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المملكة العربية السعودية ، (د.ط)، 1416هـ - 1995م، ج19، ص101.

4 ينظر: الأحكام الشرعية للثورات العربية، على بن نايف الشحود، (د.ر)، ط1: 1432هـ-2011م، ص728.

ذلك أن الدين الحق يلزم الإنسان أن يكف شره عن غيره، بل ينفذ إلى ما يمكنه في صدره، ليقضي على نية السوء إن وُجدت قبل أن تولد آثاراً سلبية. وبذا سدَّ الإسلام جميع ما يفضي إلى الصراعات والحروب التي غرضها نهب خيرات الشعوب وإذلال كرامة الإنسان.

وإني أرى أن هذه الصورة القائمة التي وصلت إليها البشرية في ظل الصراعات الدولية تستلزم ضرورة استرجاع الوعي الحضاري وتحكيم الدين الواقع، فهو وحده المعوّل عليه في إنقاذ الإنسانية من الضياع والفساد الذي تتخبط فيه، وستتخبط فيه إن ظلّت على حالها قائمة.

الفصل الثاني

أسباب الإساءة إلى المفسران الإسلاميين

• البحث الأول:

أسباب الإساءة إلى المفسران الإسلاميين الخاصة بالمدلسين.

• البحث الثاني:

أسباب الإساءة إلى المفسران الإسلاميين الخاصة بالترجيب.

• البحث الثالث:

أسباب الإساءة للمفسران الإسلاميين التي تشترك فيها

المدلسون والترجيبيون.

الفصل الثاني: أسباب الإساءة إلى المقدسات الإسلامية.

حري بأمة ما عصفت بها أزمة من الأزمات أن تقف وقفة متأنية تستجمع فيها الأنفاس، من أجل الوقوف على أسباب الأزمة وتحليلها، والتي تكمن من وجهة نظري في الآتي:

المبحث الأول: أسباب الإساءة إلى المقدسات الإسلامية الخاصة بالمسلمين.

ليس من المنطقي إن ألقى مسؤولية الإساءة إلى المقدسات الإسلامية على الغرب وحده، لأن هذا معناه عدم إيماني بوجود مسؤولية علينا كمسلمين تجاه هذه القضية. كما يعني حقيقةً إسهامي في زيادة حملات الإساءة، وزيادة ما ينتج عنها من آثار سلبية، في الوقت الذي أرى أن قضية الإساءة للمقدسات الإسلامية ليست من اعتداء الغرب علينا بقدر ما هي مشكلة نابعة من واقع المسلمين أنفسهم، وما هم عليه من ضعف إيمان، وضعف تمسك بالقيم الدينية، وانبهار سلبي وما إلى ذلك مما أعزم على تفصيله وبيانه فيما يأتي من مطالب وفروع بإذن الله.

المطلب الأول: ضعف المسلمين.

وأختزل الكلام عن هذا السبب الهام بالحديث عن السبب المباشر المؤدي لضعف المسلمين، والمتمثل في قراءة القرآن بدون تدبر. وأفتح الحديث عن هذا السبب بقول الحق تعالى: ﴿أَقْبَلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْبَالَهُآ ۖ﴾¹. وقول الصادق المصدوق عليه السلام: ((يُخْرَجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السُّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يَرَىٰ شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ فَلَا يَرَىٰ شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلَا يَرَىٰ شَيْئًا، وَيَتَمَارَىٰ فِي الثُّوقِ)).² ووجه الدلالة من الحديث: أن هؤلاء القوم مع أن صَلَاتَهُمْ وَصِيَامَهُمْ وَسَائِرَ أَعْمَالِهِمْ تَبْدُو ظَاهِرًا فِي أَشْرَفِ الْأَحْوَالِ، وَأَكْمَلِهَا وَجْهًا، وَأَرْفَعَهَا شَأْنًا إِلَّا أَنَّهُ لَا تَنْفَعُ أَصْحَابَهَا هَؤُلَاءِ وَلَا تَحْصِلُ لَهُمْ بِهَا فَائِدَةٌ، لِأَنَّ مَقْصُودَهُمْ مِنْهَا كَانَ مَخَالَفًا لِمَقْصُودِ الشَّارِعِ. وكذلك من يقرأ القرآن لا يقصد تأمل آياته والاستفادة من معانيها، فقد خالف قصده قصد الشارع، وذاك أمر منبوذ شرعاً.

1 سورة: محمد، الآية: 25.

2 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب إثم من رأى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به، ج6، ص197(5058).

نعم، إن أزمة المسلمين تكمن في غفلتهم عن فهم معاني آيات الله وتدبرها والبحث فيها، حيث ورث الكثير منهم الإسلام وجهلوا معانيه وأسراره ومقاصده. فما قامت عليهم الحجة الرسالية قياماً يتأكد معه أن يجيئ من حيي عن بينة، وما حداهم الحنين لاستئناف حياة إسلامية واعية، وما امتلأت قلوبهم بفيض العواطف الإيمانية الدافعة للبحث عن الصلاح ودرء غيره من فساد.¹ فهم يحتاجون إلى أن توقظ عقولهم أولاً ويتدبروا، ومن ثم يحق لهم معرفة ما فيه صلاحهم، من ضده. وهكذا كان لإغفال مقاصد القرآن والاستخفاف بما أثره البالغ في أخفية ميزان العلم عند المسلمين، ومن ثم خف ميزان إيمانهم بالله، واستساغوا الإيمان بالخزعבלات الباطلة، واعتمدوا عليها، فضعفوا، ليطمع فيهم الطامعون من أعداء الدين، وأساءوا لمقدساتهم.

إن سماع الآيات القرآنية أو قراءتها دون تدبر وفهم لمقاصدها أمراض تقضي على العقول البشرية، وتجعل الناس أشباحاً لا روح لها. ومعلوم أن الأشباح لا تصنع شيئاً في دنيا الناس، ولا يرتقي بها شعب من عالم ثالث متخلف إلى عالم ثانٍ، ناهيك عن أول.² وهذا ما يبرر أزمة الفرق الصارخ المعادين بين دين الإسلام مكنم القوة والتقدم وبين واقع المسلمين الذي فقد فيه الدين روحه، وأهملت فيه الضروريات فضلاً عن الحاجيات والتحسينات، وغدا الدين عند أولئك منحصراً في الطقوس والتقاليد ليس إلا. ولا معوّل عليه في الخروج من هذه الأزمة المستفحلة سوى استحضر مقاصد الشرع عند قراءة النصوص الجزئية، وذاك عين المصلحة.

وقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى أهمية استحضر مقاصد القرآن وأثرها بقوله: "وإذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفاته كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبرّه ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه، فبهذا تعرف إلى عباده وندبهم إلى التفكير في آياته".³ فابن القيم أشار إلى أن مقصد القرآن من الدعوة للتفكير في آيات الله يتمثل في معرفته سبحانه، ومن ثم تنتظم علاقة الإنسان بربه.

1 ينظر: الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم، سعيد عبد العظيم، دار ابن الهيثم - القاهرة، ط01: 2005م، ص41.

2 ينظر: الحق المر، محمد الغزالي، دار الهدى - الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص64.

3 مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، شمس الدين محمد بن قسيم الجوزية، تح: محمد أحمد عيسى، دار الغد

الجديد - المنصورة، ط01: 1429 هـ - 2008 م، ج01، ص222.

وعموماً فإن تدبر القرآن واستحضار معانيه وأسراره يثمر فهم قصد الشارع من تشريع هذه الآيات، إذ ليس ترديدها مجردة عن روحها هو مقصود الشارع، بل قصده أعظم من ذلك. قصده أن يتخذها الذين ءامنوا بها دستوراً يسيرون على نهجه في هذه الحياة، ويلتمسونه زاداً نحو التقدم والرفي.

ومما حوى هذا الدستور آياتٍ بيّنت حَضَّ فيها الشارع الحكيم على استعمال العقل إلى أقصى حدٍ يمكن من خلاله بلوغ الحقائق، وفي الوقت ذاته ذمَّ فيها من لم يعمل فكره في التأمل والفكر والنظر. منها قوله تعالى: ﴿أَبَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِفَتْ ﴿٧٦﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٧٧﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٧٨﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٧٩﴾ بَدَّكِرَ إِنَّمَا أَنْتَ مُدَكِّرٌ ﴿٨٠﴾. ¹ وقوله أيضاً: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨١﴾﴾. ²

إن في التأمل والتدبر دفعٌ للعقل نحو التفكير والاكتشاف، فالفكر هو البداية لكل نجاح. ذلك أن الفكر والتدبر يعمق معرفة المولى جلَّ وعلا، وتلك أصل المصالح التي يتفرع عنها جميع مصالح الإنسان الأخرى في هذه الدار، ودار القرار.

وعلى سبيل التمثيل لو تدبرنا قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ فَمَّا جَاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِبَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ بَدَلْتُكَ بَلِيغٌ حَوْماً هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾. ³ لوجدنا أن هذه الآية تحوي بين أحرفها معاني جمّة، ومصالح عظيمة تستفاد من أوجه الدلالة المتنوعة للآية، ففي قوله تعالى ﴿فَمَّا جَاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ دلالة على أنه تعالى وعظ الناس، وفي ذلك "أكبر مصالحهم إذ الوعظ كفهم عن الأذى، وإرشادهم إلى الهدى.

(الوجه الثاني): وصف القرآن أنه ﴿شِبَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ يعني من شك ونحوه، وهو مصلحة عظيمة.

(الوجه الثالث): وصفه بالهدى.

1 سورة: العاشية، الآيات: 17 - 21.

2 سورة: يونس، الآية: 101.

3 سورة: يونس، الآيتان: 57، 58.

(الوجه الرابع): وصفه بالرحمة، وفي الهدى والرحمة غاية المصلحة.

(الوجه الخامس): إسناد ذلك إلى فعل الله عز وجل. ولا يصدر عنه إلا مصلحة عظيمة.

(الوجه السادس): الفرح بذلك لقوله عز وجل: ﴿بِذَلِكَ بَلَّغْنَاكَ قَلِيْلًا مِّنْ دُونِ الَّذِي كَفَرْتُمْ بِهِ وَلَقَدْ كُفِرْتُمْ بِهِ كَافِرًا فَتَرْجِعُونَ﴾ وهو في معنى التهنية لهم بذلك والفرح والتهنية إنما يكونان لمصلحة عظيمة¹.

(الوجه السابع): وفي قوله تعالى ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ "عائد على الفضل الرحمة، وإن كانا شيئين، لأنهما بمعنى شيء واحد، عُبرَ عنه بلفظتين على سبيل التأكيد، ولذلك أشير إليهما بإشارة واحدة"².

وما قيل عن تدبر آي كتاب الله المقروء يقال عن تدبر آي كتاب الله المنظور (الكون وما فيه)، لكن خصصت كتاب الله المقروء بالذكر، لأن المسلمين يشيدون بأنهم اختصوا عن غيرهم لما آمنوا بهذا الكتاب فأردت أن أبين أنهم بغفلتهم عن تدبر روجه ومعانيه هم يتعدون عن الإسلام. أما الأصل ابتداءً هو تدبر كليهما، باعتبارهما يدلان على الله.

ورحم الله الغزالي لما قال في تدبر كتاب الله المنظور: "إذا تأملت هذا العالم بفكرك وجدته كالبيت المبني المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه. فالسمااء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالسطح، والنجوم منصوبة كالمصاييح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وكل شيء من ذلك معد مهياً لشأنه، والإنسان كالمالك للبيت المخول لما فيه، فضروب النبات لمآربه، وأصناف الحيوانات مصروفة في مصالحه"³. فما على الإنسان سوى تدبر أمره ليعرف قدره ومكانته في هذا الكون الفسيح، بل ويعرف عظمة خالقة وخالق الكون كله.

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم إسوة في تدبر كتابي الله المقروء والمنظور، فقد كان يتأمل الكون من حوله، وما كان يلقي العلم على أصحابه دفعة واحدة، بل ممتثلاً قول ربه: ﴿وَفَرَّءَانَا قَرَفْنَاهُ﴾

1 رسالة في رعاية المصلحة، الطوفي، تح: د/أحمد عبد الرحيم السايح، الدار المصرية اللبنانية، ط1: 01: 1413 هـ - 1993م، ص26، 27.

2 اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية - لبنان، ط1: 1419 هـ - 1998م، ج10، ص358.

3 مجموعة رسائل الإمام الغزالي، أبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية - لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ج01، ص04.

لِتَفْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١١٦﴾. ¹ يعلم شيئاً فشيئاً، ويكرر المسألة حتى تفهم عنه. ² والقرآن حينما يعايشه المرء ترتيباً وفهماً يستطيع أن يجد الحلول للكثير من مشاكله الفكرية والنفسية، ومن ثم يصلح سلوكه.

ف للقرآن الكريم تأثير قوي جداً على النفس المتدبرة لمعانيه ومقاصده. وكلما أمعن المرء التدبر اهتدى لمعرفة ممكن مصالحه ليأتيها، وممكن المفاصد ليتجنبها، فيشد عزائم السعي في هذه الحياة والجددة في العمل واستخراج خيرات الطبيعة واستخدامها. ومن ثم يمكن للمسلمين إقامة سلطاناً قوياً، وأمة مرهوبة الجانب، فلا يجراً أحد على الإساءة لمقدساتهم.

وبهذا سمى الجيل الأول من المسلمين لما تدبروا آيات الله، فسمت نفوسهم ولم يزل جلوسهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماعهم القرآن من فيه عليه السلام يزيدهم رسوخاً في الدين، وفي المقابل عزوفاً عن الشهوات والمغريات. بل وتفانياً في سبيل مرضاة رب الأرباب، وحينئذ لجنته وشوقاً للقائه، وحرصاً على العلم والاستزادة منه، وفقهاً في الدين، ومحاسبة للنفس، فزادوا كل يوم سموً في الأرواح ونقاءً في القلوب، ونظافة في الأخلاق، وتحرروا من سلطان الماديات، ونزعوا إلى رب الأرض والسموات، فلم يبق للشيطان حظ من نفوسهم، بل لم يبق لنفوسهم الأمانة بالسوء حظ لينصفوا أنفسهم إنصافهم من غيرهم. وغدوا حماة لمقدسات الدين الإسلامي الذي تغلغل في أحشائهم، وتسرب إلى جميع عروقهم ومشاعرهم فنما وترعرع فيها. ³ ومن هنا فإن تلاوة القرآن الكريم بتدبر المقصودة في هذا المقام هي عبارة عن رسم منهاج وإيضاح خطة ودليل عمل.

ومنهاج دين الإسلام تغيير العالم أجمع نحو الخير والصلاح. منهاج توطد فيه الحريات، وتصان فيه الحقوق، وتركى فيه السرائر، وتبنى فيه الأخلاق الحسنة، وتدعم فيه التقاليد الجميلة، وتلي فيه أشواق الفطرة دون حرج، ويقام على أساسه العدل. كل ذلك في سياق من التوحيد المحض والعبادة الخالصة له تعالى. ⁴

1 سورة: الإسراء، الآية: 106.

2 ينظر: محمد كأنك تراه، عائض القرني، دار ابن حزم - بيروت، (د.ط)، 2010م، ص154.

3 ينظر: ماذا خسر العالم بالخطايا المسلمين، أبو الحسن علي الندوي، دار القلم - دمشق، ط03: 1425هـ-2004م، ص102، 103.

4 ينظر: هموم داعية، محمد الغزالي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت)، ص8، 9.

ولو بحث المسلمون عن سرّ المرض الذي تعاني منه أمتهم لوجدوا أنه يكمن في ابتعادهم عن النهج الذي رسمه لهم الحكيم الخبير، وأتباعهم لمناهج بني البشر القاصرة عن الرؤية الصحيحة. فما استقرت نفوسهم، ولا صلح حالهم، ولا أفلح وضعهم، وازدادوا بذلك ضياعاً ألبسوه أنفسهم.

إن المسلمين مسؤولون بالدرجة الأولى عن الحال الذي آلو إليه من انكفاءٍ على النفس واكتفاء بما تساومهم به الأمم الأخرى من فتات صنيعها، وكتاب الله بين أيديهم يهديهم المعرفة التي تضمن لهم التمكين في الأرض، والتي يسخرّون من خلالها ما في الكون لخدمتهم، بل وخدمة الإنسانية جمعاء بالعمل والسعي الجاد البناء. ولو تدبروا معاني هذا القرآن ووقفوا على مقاصده لما كانوا أمة متخلفة تبكي ماضيها كالنساء الثكالي. كيف وبين أيديهم رسالة تدعو للعلم والعمل معاً، تدعو للتقدم ونبذ التخلف، وهي كفيلة بضمان الرقي والتطور للإنسانية جمعاء.

وإذا كانت الحياة الإنسانية تتغير وباستمرار وتطرح تساؤلات في مختلف الميادين، فإنه بات متعيناً ضرورةً تدبر كتاب الله وسنة نبيه المصطفى عليه السلام تدبراً يهتدي الإنسان به لفهم محتوى هذين المنبعين العظيمين، وإدراك معانيهما العميقة، ومقاصدهما الجليلة، واستنباط قواعد ونظريات ترشد المرء لمسيرة معطيات الواقع في ضوء هدي الإسلام، مما يفسح للمسلمين المجال أمام التقدم الحضاري وتوجيهه ضمن إطار الأسس والمبادئ الإسلامية العظيمة.¹ فتدبر نصوص الشرع كفيل بدفع عجلة التنمية والتقدم الحضاري الإنساني.

المطلب الثاني: إنبهار المسلمين بالغرب.

في ظل المشاكل التي غدت تطوق المسلمين من كل جانب، وفي ظل سبات العقل المسلم، وعلى إثر ما أحرزته الحضارة الغربية من تقدم في بعض المجالات إنبهر الكثير من المسلمين بالوافد الغربي وتأثروا به. وقد ساهم بعض دعاة المعاصرة والحداثة المتأثرين بالحداثة الغربية في ترسيخ هذه الفكرة، متهمين في الوقت ذاته السلفية والتراثية بأنهما السبب في تخلف المسلمين وانحطاطهم. الأمر الذي زاد الطين بلة في تضليل المسلمين السبيل ليحتضنوا الوافد الغربي جميعه دون نقد أو تمحيص أو عرض له على مصفاة تنقية الشوائب، والمتمثلة في المبادئ التي أساسها التشريع الإسلامي. وهذا يدل دلالة

1 ينظر: حول الفكر الإسلامي والنظام الديمقراطي، د/محمد جمال مجايوي، دار الغرب للنشر والتوزيع - وهران، (د.ط)، (د.ت)،

واضحة على أن الانبهار كان شديداً للغاية. الانبهار بمادية الحضارة الغربية وما حققته من تقدم مادي، متجاهلين للرباط الروحي المفقود في هذه الحضارة، وغفلوا أن الإنسان جسم وروح، لا بالجسم إنسان.

لم يدرك هؤلاء المنبهرون أن التقدم المادي الذي أحرزته الحضارة الغربية رغم إغفالها للبعد الروحي إنما هو من سنن الله تعالى في خلقه، ويجب عدم الاغترار والانبهار بمثل هذا. فقد حذر تعالى بقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾¹.

نعم، من سنن الله في خلقه أن كان هذا التمكين المادي للغرب، لكن على المسلم أن لا يغفل وينسى الحقيقة الجوهرية التي انبثقت منها الحضارة الغربية، والمتمثلة أساساً في عقائد الغرب الخالية من البعد الروحي الإيماني ونفسيته، ومن ثم من توجهاته وتاريخه، والحضارة الغربية في ذلك تعبر عنها، وتسعى لتجسيدها.

ومن هنا فإن أمل تحقيق النهضة والتقدم عن طريق تقليد الغرب واتباعهم شبراً شبراً دون أدنى تدقيق أو تمحيص هو أملٌ كاذب، قد أدى إلى هيمنة الغرب.² حيث أثمرت هذه النظرة الخاطئة تعظيم الكفار والتشبه بهم في عاداتهم وتصرفاتهم السيئة. وباليتمهم استفادوا منهم في إعداد القوة واستثمار الخيرات التي أودعها الله في الكون، وإنتاج منها ما يجلب المصالح للإنسان من إبداع في الصناعات وسائر الإنتاج. لكن صدق على حالهم قول الذين يريدون عرض الدنيا من قوم قارون لما قالوا، كما أخبر المولى تعالى عنهم: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾³. فتمنوا مثلما أُوتِيَ قارون، وغبطوه على ذلك ووصفوه بإيتاء الحظ العظيم. كل هذا بناء على نظرهم الخاطئة وانبهارهم بجانب مادي دون موازنة.

1 سورة: الأنعام، الآية: 45.

2 ينظر: منهجية التغيير عند عبد الحميد بن باديس (رسالة ماجستير)، سامية جفال، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، سنة: 1422هـ - 2001م، ص 66، 67.

3 سورة: القصص، الآية: 79.

وكذا تجد المنبهرين من المسلمين لم يعرفوا قدر الحياة ولا المقصد منها ومن خلقهم فيها، أو تغافلوا عن ذلك، فكانت نظرهم كنظرة البهائم، بل هم أضل سبيلاً بتضييعهم لدينهم مقابل انبهارٍ لا يبقي ولا يذر من مصالح الدنيا ولا الآخرة شيئاً. غافلون عن معنى استثمار الخيرات في الدنيا بالعمل الصالح، وأنه السبيل للفوز بالدارين، ناسين أن من ضيع دنياه ضاعت آخرته. قال تعالى: ﴿حَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾¹. جاھلون أنه وعلى رغم التقدم العلمي والمادي الذي أحرزه الغرب إلا أنه يعاني الكثير من المشاكل أهمها الفساد الإجتماعي، والتخلف الأخلاقي العظيم. وذلك كله يمكن إرجاعه وببساطة إلى أن الحضارة الغربية هي حضارة مادية لا روح لها، حيث "أن العلم وحده لا يخلق أمة متساوية الأنصبة في حقائق الخير والتقوى، ولا في أسباب الفلاح والرشد"². يستشف هذا المعنى من قوله عليه الصلاة والسلام: ((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيةً قبلت الماء، فأنبتت الكأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوها وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كأ، فذلك مثلٌ من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به))³. وهكذا أدى ضعف الصلة بالوحي الإلهي من جهة، وحالة الضعف الحضاري التي تعيشها الأمة الإسلامية من جهة أخرى إلى الانبهار بالغرب والتأثر به في رؤاه وتصورات وأفكاره فيما يتعلق بالمادة، وأنها لوحدها إكسير السعادة.

وغدا الاعتقاد عند المنبهرين أن العلم وحده بإمكانه تحقيق السعادة الكاملة، مما ساعد على تصديق هؤلاء لكل نظرية جاءت باسم العلم، حتى وإن كانت نظرية معلومٌ كذبها ومعروفٌ كاذبها. وليس ذلك بالغريب، إذ أن الإنسان الذي يضعف أمام أية قوة مادية أو معنوية يفقد كل قواه البدنية والعقلية، ويصبح عندها مدعناً لما تمليه عليه هذه القوة، مستجيباً لها، مصداقاً لكل ما تخبر به⁴. وبذا

1 سورة: الحج، الآية: 11 .

2 من معالم الحق في كفاحننا الإسلامي الحديث، محمد الغزالي، دار الهناء للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت)، ص 91.

3 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ج 01، ص 27(79).

4 ينظر: المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، د/أحمد صبحي العيادي، دار الكتاب الجامعي - العين، ط 01: 1421 هـ -

2001 م، ص 253.

كان الإنبهار بالتقدم المادي للغرب خطرٌ عظيمٌ مؤداه الاقتناع بمظهر الحضارة الغربية، والإخفاق في فهم روحها الصحيحة.

لقد زاد الإنحطاط ضللاً، والضللال بعداً لما انبهرت الكثير من عيون المسلمين بضوء النار فتوهمت الداء دواءً، والسم عسلاً، فباعت الدين بالدنيا والدرهم، وأقصت تحكيم الدين من الواقع، واستبدلته بحكم الأعداء، وضيعت التراث العظيم الذي اشتمل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فتلاشت الفضائل الإسلامية عندها، وغلب عليها التقليد الأعمى للغرب. حتى وُجد من تنكر من أبناء المسلمين لتاريخ الأسلاف وأمجادهم. والنتيجة حتماً ضعف المسلمين الذي أغرى الأعداء بانتهاك حرمة المقدسات الإسلامية.

وقد حذر الله تعالى من هذا الضعف الناتج عن عدم امتثال أوامره سبحانه وأوامر رسوله عليه السلام، وبيّن أن مآله تسليط أعداء الدين على الذين ضعف إيمانهم، قال عز من قائل سبحانه: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِيَةً فَذَٰرَبْتُمْ مِثْلَهَا فَلَنتُمْ أَبْنَىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾¹. جاء في تفسير هذه الآية: " {قلتم أنى هذا} أي: من أين أصابنا هذا البلاء وقد وعدنا النصر؟ {قل} لهم: {هو من عند أنفسكم} أي: بما اقترفته أنفسكم من مخالفة... والنصر الموعود كان مشروطاً بالثبات والطاعة، فلما اختل الشرط اختل المشروط، {إن الله على كل شيء قدير}، فيقدر على النصر بشرط وبغيره، لكن حكمته اقتضت وجود الأسباب والشروط، لأن هذا العالم قائم بين قدرة وحكمة"².

هذا وأن المنبهرين بالحضارة الغربية لم يستطيعوا الاستفادة منها استفادة كافية، حيث اعتبروا التكنولوجيا المفتاح الوحيد الضامن لمصالح الإنسان، وجعلوا أن النمو الحقيقي لا يكتفي بجانب دون آخر. فكما أن نمو جسم الطفل لا ينمو جزء من أعضاء جسده قبل الأعضاء الأخرى، فلا ينمو أصبعه قبل رأسه مثلاً، أو تنمو يده قبل رجله، بل ينموان معاً، فكذلك نمو الحضارة لا يكون بنمو جانب دون آخر، بل معاً، هذا من جهة.

1 سورة: آل عمران، الآية: 165.

2 البحر المديد، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2: 1423 هـ - 2002م، ج01، ص536.

ومن أخرى تجد أن هذه التكنولوجيا التي أبحرت هذه الأمم فاستوردوها، هم في الحقيقة لا يستوردون هذه المنتجات فحسب، بل يستوردون معها أفكار وثقافات. ذلك أن هذه المنتجات صنعت في مجتمع له ثقافة معينة، فهذه التكنولوجيا إذن لها توابع تلازمها، تتمثل في أفكار مصنّع هذه التكنولوجيا. لذا فإن هذه الأمم المنبهرة والأمة الإسلامية واحدة منها قد أصيبت بصدمة حضارية غريبة جرّاء هذا الانبهار. ويمكن تلخيص هذه الصدمة في نقطتين:

أولها: الإنبهار الشديد بالحضارة الغربية أدى إلى اعتبار المادة السحر الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في النهوض بالحضارة الإسلامية الراهنة، وهكذا أغفل البعد المعنوي .

ثانيها: أن هذه التكنولوجيا المستوردة ترافقها أفكار مصدر هذه التكنولوجيا، ولعلها أتت في معظم الأحيان لتهدم أفكار المسلمين وتحل محلها.¹

نعم، إن العاقل لا ينكر أن المسلمين اليوم في أمس الحاجة إلى العلوم المتقدمة في مختلف المجالات، وإلى التكنولوجيا الحديثة في مختلف فروعها من أجل بلوغ مقصد تنمية المجتمع علمياً وصناعياً وزراعياً واقتصادياً. لكنهم في نفس الوقت ليسوا بحاجة لأن يخترق الغرب خصوصياتهم العقائدية، ويعتدي عليها بحجة أنه لا نهضة للمسلمين إلا باتباع الغرب المتطور تكنولوجياً وتقليده شبراً شبراً. إن أقصى درجات تبرير انحطاط المسلمين سلبيةً لما تنطلق الرؤية من منطلق القياس على المجتمع الغربي، لتلجأ إلى نوع من الواقعية في التعاطي مع الغرب، لتصل في نهاية المطاف إلى الانبطاح على أعتابه والتذلل له.

وهذا ما يمكن تسميته بالواقعية الإستسلامية، فهي واقعية استسلامية كونها تنظر إلى ميزان القوى الدولي، فتراه لغير صالح الأمة الإسلامية، وفي الوقت نفسه تعمي أنظارها عن الإمكانيات والقدرات التي يمكنها الإنطلاق متفجرة متى أُتيحت لها قيادة سياسية وإدارية تعمل فعلياً وبكل حزم لتغيير ميزان القوى الدولي.² و"لأن تولى الشعوب ثققتها لعدوها فتلك الهزيمة الكبرى، هزيمة الإنسان بينه وبين نفسه

1 ينظر: تعقيب الدكتور: عمار طالبي، كتاب محاضرات ومناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، ورجلان: 17-26 صفر 1397هـ / 6-15 فبراير 1977م، منشورات وزارة الشؤون الدينية، دار البحث للطباعة والنشر - الجزائر، مج2، ص 297، 298.

2 ينظر: الإجتهد وأزمة الحضارة العربية، الفضل شلق، مجلة الإجتهد، العدد الثامن، السنة الثانية: 1410 هـ. 1990م، ص

شعوره بالضالة واللاجدوى".¹ وهذا من شأنه دفع المسلمين المنبهرين منهم إلى الانزلاق نحو عبودية العدو، دون تلبية نداء الخالق، الذي بيّن في شرعه أن المقصد من خلق الإنسان هو عبوديته وحده لا شريك له . وبذا يكون تأثير الإنبهار مضاداً لقصد الشارع.

وهكذا أصبح المسلمون في وادٍ يهيمون والإسلام في وادٍ آخر، فكان الإنقسام المريب بين الدين والدولة، وبين الدنيا والآخرة. وغداً بذلك وجود الكثير من المسلمين ينتسبون لهذا الدين بالقلوب البيضاء والنوايا الطيبة كما يدعون، ولسان حالهم يقول: دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله. ولا يستحيي أحدهم من قوله: ساعة لربك وساعة لقلبك بمفهومها الجاهلي، فالساعة التي يدعي أنها حق لنفسه بهذا المفهوم يتبع فيها كل شيطانٍ مريد، ويهدم فيها ما بناه في الساعة الأولى التي قال إنها لربه، إن كان قد بنى !!!.

وبذا تجدنا في واقعنا المعيش نرى تناقضات شديدة جداً جرّاء هذا الإنبهار، ليعيش الكثير من المسلمين بمفهومين وبوجهين وبولائين إن صح التعبير. وجه تبدو عليه في المساجد علامات الصلاح وأمارات التقى، والثاني هو وجه أمام أجهزة الإعلام يصفق للراقصات ويغني معها، وفي معاملاته يغش ويكذب ويرابي ويخادع.

لقد أثرت الجاهلية المعاصرة في الكثير من أبناء هذه الأمة، فكانت إشكاليةً وفتنة تجعل الحليم حيراناً، والقباض فيها على دينه كالقباض على الجمر.² فلم تُفهم المصالح والمفاسد باعتبار المصير الدنيوي والأخروي معاً، بل الدنيوي فقط.

وبذلك يساهم انبهار المسلمين بثقافة الغرب وحضارته على إيجاد الجو المناسب لاتهم الإسلام، والتطاول على مقدساته. حتى ظن بعضهم أن الإسلام دينٌ انقضى عهده، ولم يعد صالحاً للتطبيق في عصر النهضة والتطور. ليجد الناظر أنه قد "زادت أعداد المسلمين في هذا العصر زيادة محسوسة، ومع ذلك لم يفرح بهم صديق أو يخف منهم عدو! وما ظهر لهم نتاج حضاري في بر أو بحر أو جو، كأن الدنيا لغيرهم خلقت، أو كأن القدر لم يكلفهم بعمل!"³.

وإن الخروج من أزمة الإنزلاق في مهاوي الإنبهار لا يمكن أن يواجهه إلا بتيارٍ إيماني يتم فيه التوازن بين

1 الإعلام العربي خيبة كبرى، سامي الجندي، القضايا المعاصرة، دار النهار للنشر، مج01، ج01، 1969م، ص67.

2 ينظر: الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم، سعيد عبد العظيم، ص40، 41(مرجع سابق).

3 هموم داعية، محمد الغزالي، ص55 (مرجع سابق).

الجانب المادي والجانب الروحي، وقد جاء الإسلام في تشريعاته ضامناً ذلك.

المبحث الثاني: أسباب الإساءة إلى المقدسات الإسلامية الخاصة بالغرب.

قبل حديثي عن موقف الغرب من الإسلام وكيده وتربصه الدوائر بالمسلمين أرى أن أؤكد أن الغرب ليس كتلة واحدة فيما يتعلق الأمر بسياسته تجاه المسلمين، وليس كتلة واحدة فيما يتعلق بالمذاهب الدينية. لكن رغم كل هذا الاختلاف إلا أن الغرب يكاد يكون كتلة واحدة متى تعلق الأمر بمصالحه وأطماعه، ليقف صفواً واحداً في وجه من يعترض طريقه.

المطلب الأول: الحقد التاريخي (سبب تاريخي).

إن إساءة الغرب لمقدسات المسلمين من أجل تحقيق أهدافه وأطماعه هو امتدادٌ لنهج جاهلي سابق، فمنذ فجر الإسلام بدأت الإساءة للإسلام وللمقدساته. والقرآن الكريم يثبت هذا الحقيقة في مواضع عدة، منها قول الحق تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا فِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾¹ وَيَقُولُونَ آيُنَا لَتَارِكُوا آلَ الْهَيْتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾¹ وقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضَعَفْتُ أَحْلَمَ بَلْ إِفْتَرِيهٖ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾². وفي موضع آخر قال عز من قائل سبحانه: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سَلْجَرٌ كَذَابٌ﴾³. فالإساءة للمقدسات الإسلامية إذن ليست بجديدة، إنما هي استمرارٌ للجاهلية القديمة، المتصدية للإسلام، الجاهدة في إغراض الناس عنه. ومن الخطأ مغالطة النفس بتصور أن الإساءة لم تقع إلا في الوقت المعاصر.

لقد كان للحقد التاريخي على الإسلام أثره، لأن الإسلام هو الذي حررت فتوحاته الشرق من الاستعمار الغربي القديم الذي دام قرابة عشرة قرون بداية من (الإسكندر الأكبر) وعدوانه على الشرق ما بين سنتي: 323 - 356 في القرن الرابع قبل الميلاد، ونهاية باعتداءات (هرقل) على الشرق في فترة ما بين: 610 - 641 في القرن السابع للميلاد.

1 سورة: الصافات، الآيتان: 35، 36

2 سورة: الأنبياء، الآية: 05.

3 سورة: ص، الآية: 03.

ومنذ ذلك التاريخ إزادات نزعات الإساءة للإسلام ومقدساته في الغرب.¹ وفي هذا الصدد يقول الغزالي رحمه الله تعالى: "صلة أوروبا بالإسلام قديمة، لعلها بدأت منذ بدأ، لكنها صلة مصبوغة بالدم، ملفوفة بالضغائن".² لأن الإسلام هو الذي أخذ بيد أتباعه إلى مواقع الانتصار على الإستعمار القديم، ثم كان الدرع الواقي لهم لَمَّا تكالبت عليهم قوى الشر. وهو السرّ الذي حفظ على المسلمين هويتهم فيما بعد، وصانهم من حالات الإنهيار والذوبان والانقراض. فأنت جريمة الإساءة للمقدسات الإسلامية تنفيساً لتلك الأحقاد الكامنة في نفوس الغربيين يعلنون من خلالها تجديدهم الحقد والكراهية للإسلام.

المطلب الثاني: العداة العقدي (سب فكري).

لقد أخبر المولى تبارك وتعالى عن هذا العداة بقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ ءَاثَرُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ ءَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ * ﴿ثُمَّ وَإِذَا نَادَيْتُمُ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾﴾.³ فتبين أن المناصبين العداة للإسلام يسلكون سبيل الاستهزاء بالدين والإساءة إليه.

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجِيءٍ عَدُوًّا شَيَاطِينِ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.⁴ فتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذكر ما يحزنه من أحوال كفار قومه، وتصلبهم في نبد دعوته، فأنبأه الله: بأن هؤلاء أعداؤه، وأن عداوة أمثالهم سنة من سنن الله تعالى في ابتلاء أنبيائه كلهم، فما منهم أحد إلا كان له أعداء، فلم تكن عداوة هؤلاء للنبيء عليه الصلاة والسلام بدعاً من شأن الرسل.⁵ لكنه الصراع بين الحق والباطل الباقي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

1 ينظر: الإسلام والحضارات الأخرى، د/محمد عمارة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - مصر، ط1: 1433هـ -

2012م، ص13.

2 هموم داعية، محمد الغزالي، ص49 (مرجع سابق).

3 سورة: المائدة، الآيتان: 59، 60.

4 سورة: الأنعام، الآية: 113.

5 التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ج 08، ص08 (مرجع سابق).

كما أخبر الحق سبحانه عن هذا العداء في مواضع أُخر، منها قوله: ﴿هَآئِنْتُمْ ۖ وَأُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ۗ وَإِذَا لَفُوكُمْ فَالُوقَا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۗ فُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠١﴾¹. يقول ابن عاشور في جزء من تفسير هذه الآية: "وعضّ الأنامل كناية عن شدة الغيظ والتحرّس... فإن الإنسان إذا اضطرب باطنه من الانفعال صدرت عنه أفعال تناسب ذلك من الانفعال فقد تكون معينة على دفع انفعاله كقتل عدوه"². فالعداء العقدي إذن سبب من أسباب تطاول المسيئين على المقدسات الإسلامية، حتى لو أيقن المسيئون أن دين الإسلام هو صراط الله المستقيم، فإنهم سيبدلون قصارى جهدهم لصد الناس عنه بكل ما استطاعوا.

لقد كان دين الإسلام الداعي إلى عبادة الله وحده لا مكان فيه لعبادة البشر أو المادة أو الهوى مهدداً للمجتمعات الفاسدة القائمة على نقيض ذلك. ومن هنا استمات أعداء الإسلام في الدفاع عن أطماعهم، فحاربوا واعتدوا وأساءوا للإسلام ومقدساته من أجل مقصدهم الخبيث، والمتمثل في إبعاد الدين من الواقع، كي لا يعود الإسلام إلى قيادة البشرية، وحكم الدول مثلما كان في فجر الإسلام.

وقد صرّح بعض المشركين بهذا العداء الذي يضمرونه لدين الإسلام منذ بزوغ فجر النبوة، ولنأخذ تصريح أبو جهل على سبيل التمثيل، فقد قال يوماً الأحنس بن شريق لأبي جهل: "يا أبا الحكم أخبرني عن محمد: أصادقٌ هو أم كاذب؟ فإنه ليس ها هنا من قريش غيبي وغيرك يستمع كلامنا! فقال أبو جهل: ويحك! والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قطّ، ولكن إذا ذهب بنو قُصي باللوآء والسقاية والحجابه والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟"³.

إن جحود الحق وإنكاره كما رأينا لم يكن عند كثير من المشركين سببه أنه يراودهم الشك في صدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يخالجنهم أدنى شك في أنه الحق الذي لا حق غيره، لكنه الحقد والحسد الذي أورث العداء عندهم. فتسفيه الإسلام للعقائد الضالة وللأفكار الإباحية

1 سورة: آل عمران، الآية: 119.

2 التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، (د.ط)، 1997م، ج04، ص66.

3 السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمان علي الحجي، دار ابن كثير - دمشق، ط1: 1420هـ،

والجاهلية أمر يتعارض مع الشهوات النفسية لدى المعادين للإسلام. لتكون الإساءة إلى المقدسات الإسلامية تنفيساً لتلك الأحقاد، تحت عنوان الشرعية الإنسانية. وقد شارك في غرس هذا العداء الديني مفكرون غربيون دينيون لما قدّموا صورةً نمطيةً ذهنيةً بشعة عن الإسلام، ليجعلوه ديناً بغيضاً يكرهه الناس.

المطلب الثالث: المكابرة والبغي (سبب نفسي).

المسيئون إلى المقدسات الإسلامية كثيراً ما يعلمون أن دين الإسلام هو الحق الذي لا حق سواه، وأنه صراط الله المستقيم، لكن العزة بالإثم تأخذهم، فلا يتبعوه ويتركوا ما هم عليه من باطل وضلال.

وهذه حقيقة يكشفها القرآن الكريم وبيّنه إلى خطورتها في قول الحق تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾¹ بِسْمَا إِشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٢٢٣﴾﴾.¹ قال السعدي في تفسير هذه الآية: "ولما جاءهم كتاب من عند الله على يد أفضل الخلق وخاتم الأنبياء، المشتمل على تصديق ما معهم من التوراة، وقد علموا به، وتيقنوه حتى أنهم كانوا إذا وقع بينهم وبين المشركين في الجاهلية حروب، استنصروا بهذا النبي، وتوعدوهم بخروجه، وأنهم يقاتلون المشركين معه، فلما جاءهم هذا الكتاب والنبي الذي عرفوا، كفروا به، بغياً وحسداً، أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فلعنهم الله، وغضب عليهم غضباً بعد غضب، لكثرة كفرهم وتوالى شكهم وشركهم".² فتبين أن المكابرة والبغي كانا من أسباب بقائهم على الضلال.

المطلب الرابع: الهيمنة الاقتصادية (سبب اقتصادي).

إن الهيمنة الاقتصادية الغربية الحاصلة بموجب امتلاك أدوات تكثير الإنتاج كماً ونوعاً، علاوةً على

1 سورة: البقرة، الآيتان: 88، 89.

2 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط01: 1420هـ - 2000م، ص58.

احتكار الأسواق التجارية الكبرى، والسعي في إقحام المسلمين في حروب لا طائفة منها سوى الخسارة المتوالية للنفس وخيرات الأرض، وإشغالهم في سفاسف الأمور ودنيئها وتشجيعهم على الخمول والكسل واستهلاك ما عند غيرهم، وبث الإباحية والمادية في نفوسهم من أجل وصول مبتغاهم من الحادِّ وكفر، ومنه إلى استعبادهم وبسط السيطرة عليهم كلياً.

ولعل بعض مظاهر الهيمنة الاقتصادية الغربية بدت ملاحظها في كثيرٍ من الدول الإسلامية بموجب الوضع الحضاري المعاصر، والهيمنة على الاقتصاد العالمي من طرف الغرب.¹

ولقد عكس هذا الوضع الاقتصادي المتدهور الذي وصلت إليه معظم الدول الإسلامية حالة من حالات المذلة والهوان والشعور بروح الانهزامية، فكانت الهيمنة الاقتصادية بحق سلاح حقق أهدافه في معظم الدول الإسلامية، حيث أصبح الغرب مسيطراً بدرجة كبيرة على اقتصاد العديد من دول العالم وبخاصة الإسلامية منها.² وبرز بوضوح صريح وجه العولمة (الاقتصادي)، إذ إن القيم المادية هي الهدف الذي تتجه إليه العولمة.

ومن هنا فلنا أن نتصور الحديث عن العولمة بوصفها وجهاً للهيمنة الاقتصادية المستغلة إمكانات وثروات الشعوب وخيراتهم الهائلة في إغراء أو اذلال.³ فالمصالح الغربية وأطماعها في بسط الهيمنة على باقي شعوب العالم، خاصة الإسلامية منها التي تزخر أراضيها بالخيرات كان له الأثر البارز في شنّ الحملات الشعواء على دين الإسلام، باعتباره مصدراً لوعي المسلمين بمصالحهم. الأمر الذي يتعارض مع رؤية البلدان الغربية وطموحها لفرض نظرية أحادية القطبية، المستلزمة سيطرة الغرب على مختلف ميادين الحياة، خصوصاً الاقتصادي منها.

المطلب الخامس: التنافس الحضاري (سبب سياسي).

إن انتشار دين الإسلام في أوروبا على نطاقٍ واسع، واتساع رقعة الإسلام في مختلف دول العالم، وبالأخص الغربية منها جعل الغرب يستاء من الإسلام باعتباره مهدداً له بالتلاشي والاضمحلال. كما أن آثار الفتوحات الإسلامية ظلت محفوظة في ذاكرة الغربيين منقوشة في جدرانها، لتعكس على

1 ينظر: الإجتهد المقاصدي، د/نور الدين مختار الخادمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، ط1: 1419 هـ، ج2، ص72، 73.

2 ينظر: التربية والعولمة، د/مجدى إبراهيم، عالم الكتب - القاهرة، ط 01: 1429 هـ - 2008م، ص196.

3 ينظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، علي بن نايف الشحود، (د.ر)، (د.ط)، (د.ت)، ج08، ص419.

نفسياتهم سلباً، ولتتجسد في سلوكياتهم الإجرامية، التي تمثلت في الحروب الصليبية على المسلمين وما تبعها من جرائم.

ومن المؤكد أن هاجس الخوف لدى الغربيين بقي مستمراً ما يفسر سياسة الغرب تجاه المسلمين وإصراره على الإساءة لمقدساتهم، حيث فهم الغرب أن الأمة الوحيدة التي تعد خصم الأمة الغربية في قيادة العالم هي الأمة الإسلامية، التي يحتم عليها دينها القيادة نحو الفضيلة والتقوى والسعادة في الدنيا والفلاح في الأخرى.

وبذا تشكل الأمة الإسلامية أكبر خطر على النظام الجاهلي الذي حاول ويحاول الغرب بسطه في الشرق والغرب من إباحية وإلحاد، وهي الخصم الذي من شأنه أن يجبط مساعي الغرب السياسية في فرض نظرية القطب الواحد باعتبارها تؤمن بدين يدعو للفكر والعمل، ونبذ الذل والهوان.

لقد فهم الغرب أن الإسلام يشغل الناس برهم ويجعل الحياة والممات له، وفهم أن الإسلام يبطل ما يهدف الغرب إليه من ظلم وفساد يكد به لمن لا يتبعه منطرحاً على أعتابه. كما فهم أن للإسلام قوة متى استقرت في الوجدان انعكست على السلوك، حينها يكون صاحبها في حصن حصين يستحيل على عدوه النيل منه، لأنه بالإسلام غدا في قوة راسخة دونها رسوخ الجبال.¹ فهناك تخوُّف كبير إذن من النهضة الحضارية الإسلامية، كيف لا وقد أثبتت على مرّ التاريخ أصالتها، وأنها قائمة على أسس وركائز تعتمد العلم والحجة، وتخطب العقل والفضيلة البشرية.

وقد صرح (جوزيبي برنارديني) في حضرة بابا الفاتيكان (يوحنا بولس الثاني) سنة 1999م بتخوفه من انتشار الإسلام السريع في الغرب قائلاً: "إن العالم الإسلامي قد أخذ ييسط سيطرته... وهو يبني المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين في الدول المسيحية، بما في ذلك روما عاصمة المسيحية، فكيف يمكننا ألا نرى في ذلك برنامجاً واضحاً للتوسع، وفتحاً جديداً".² وفي هذا الصدد يقول أيضاً الداعية المعاصر الحبيب علي الجفري: "هناك علوم تسمى بعلوم الإستشراق التي تبني مستقبل الشعوب والأمم بعد خمسين عاماً بناءً على حقائق ومعطيات الحاضر، وتتوجه بالذات إلى صانعي القرار بالتنبيه والتحذير، وتقوم على هديها أولويات السياسات العامة، ومنها ما يتعلق بمستقبل

1 ينظر: الدعوة إلى الإسلام مضامينها ومبادئها، عبد الكريم الخطيب، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1 : 01 : 1402هـ.

1982م، ص35.

2 نقلاً عن: الإسلام والحضارات الأخرى، د/محمد عمارة، ص65 (مرجع سابق).

الوجود الإسلامي في أوروبا، إذ تشير الدراسات إلى أن نسبة وعدد المسلمين سترتفع كثيراً في السنوات الثلاثين القادمة إلى ما قد يجاوز النصف في بعض البلاد الأوروبية، وذلك مع الأخذ في الحساب مسألة الفراغ الروحي وافتقاد القدوة الذي تعانيه الحضارة المعاصرة والتي قد يترتب عليها دخول أعداد أكبر في الإسلام وهذا أمر. أمّا الأمر الثاني، فهو ما تشهده دار الإسلام من اعتداء واحتلال واختلال، كانت الشعوب الأوروبية في مقدمة المعادين له...ومن ثم يبحث اليمين المتطرف عن مبررات لاستمرار حملات الاعتداء على أرض المسلمين، فلا يوجد تبرير أبلغ من أن يعاد تشكيل الصور الذهنية عن المسلمين عبر تصويرهم على أنهم مجموعة من المتطرفين الهمج أو الوحوش الذين لا يعرفون سوى القتل والحرق وإهانة رموز الدول وأعلامها...فهذه مقدمات تتبعها نتائج تتصل بسنة المواقف، فإذا ما عرفنا أن المقصود من تلك الإساءات هو تأليب الشعوب الأوروبية على الوجود الإسلامي المتنامي بداخلها وعلى استمرار العدوان على أرض المسلمين¹. ومتى أدركنا هذا أدركنا أن الخوف من انتشار الإسلام سبب بارز في الإساءة للمقدسات الإسلامية.

وبذا نفهم سبب اتفاق الكثير من النصارى على أن السبيل الوحيد لوقف الزحف الإسلامي هو إذكاء نار صراع الحضارات وإثارة النزاعات بين المسلمين والغربيين، كالذي صرح به (أيوجين روستو) رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس (جونسون) لشؤون الشرق الأوسط حتى سنة 1967م، قال مصرحاً: "يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية"². في الوقت الذي تؤكد فيه الإحصائيات أن الخوف من المد الإسلامي هو السبب الحقيقي والأساسي في التشويه المتعمد لصورة الإسلام عن طريق الإساءة لمقدساته وحرماته.

ولما كانت الحضارة الغربية مقرونة دوماً بهواجس التفوق والخوف على الهوية الوطنية وهي إحدى السمات البارزة فيها، فإن الإساءة للمقدسات الإسلامية جاءت تحت غطاء حرية الرأي والتعبير ليعتكر الغرب على الإسلام الجريح من أجل بلوغ الحكم أو البقاء في الحكم إن صح التعبير، حيث

1 مسلسل الإساءات...وسنة المواقف، الحبيب علي زين العابدين الجفري، marebpress.net، لوحظ بتاريخ:

2013/04/18م، سا 22:05.

2 نقلاً عن: قادة الغرب يقولون <<دمروا الإسلام أبيضوا أهله>>، عبد الودود يوسف الدمشقي، (د.ر)، (د.ط)، 1395هـ

- 1974م، ص 24.

أن ابتعاد المسلمين ورفضهم "الإسلام في هذه الساعة هو الانتحار، وطريق الدمار بل هو قرعة عين الإستعمار".¹

ولأن الإسلام يحوي جميع المطالب المادية والروحية التي يتطلبها دين عالمي، فإن أمام دين الإسلام فرصة عظيمة للانتشار، حيث جاء بنظام سياسي وفكري متكامل يقدم بديلاً حضارياً قوياً يحمل جميع مقومات البقاء والاستمرار وروح المنافسة، لذا يخشى الاستكبار العالمي عودة الإسلام إلى الواجهة منافساً حضارياً. كيف لا وقد أثبت التاريخ أن تصاعد هذه العداوة للإسلام والتشويه لرموزه ومقدساته كان ولا يزال مرتبطاً بصعود الإسلام وزيادة انتشاره.

وغدا ما يسميه الغرب بظاهرة (الإسلاموفوبيا) ظاهرة مرعبة ومقلقة، خصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، حيث تصور الغرب أن هذا الحدث ينذر بالزحف الإسلامي داخل البلاد الغربية. كما أن بعض الباحثين الإسرائيليين ذكروا بكل صراحة في بحثهم أن المستقبل في هذه المناطق - شمال أوروبا - مقلق لإسرائيل التي قد تفقد أي دعم أوروبي فيما لو أصبح محمد وخالد من صنّاع القرار في أوروبا.²

وبصدد الحديث عن التنافس بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية أورد تصريح المفكر (ايرلندي برنار دشو)، الذي قال: "إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد صلى الله عليه وسلم هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع الديانات، خالد خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في القارة الأوروبية بعد هذه الحرب، وإذا أراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين، إنه دين التعاون، والسلام، والعدالة في ظل شريعة محكمة لم تدع أمراً من أمور الدنيا إلا رسمته ووزنته بميزان لا يخطئ أبداً".³

لقد أخذ الإسلام في القرن العشرين يظهر كقوة عالمية كبرى تحمل الخلاص للعالم والنجاة للإنسانية، التي عانت الويلات مما حملته إليها الحضارة الغربية من انحطاط أخلاقي، وانهايارٍ روحي، وتشويه

1 هموم داعية، محمد الغزالي، ص46(مرجع سابق).

2 ينظر: الأسباب الكامنة وراء إهانة المقدسات الإسلامية في شمال أوروبا، يحي أبو زكريا، ar shafaqna.com، لوحظ بتاريخ: 2013/06/06م، سا 19:30.

3 نقلاً عن: المستقبل في مدار الإسلام... أبو محمد عبد الرحمان، ص10(مرجع سابق).

إنساني، وما نتج عن ذلك من قلق وضياع وخوف على المصير. وفي هذا يقول الكاتب الألماني (بول اشميد): "وإذا ما قوى الشرق الإسلامي، ضعف الغرب، وكان لا محالة من أفول نجمه".¹

المطلب السادس: إختلاف الثقافة الغربية عن الثقافة الإسلامية (سبب ثقافي).

إن الثقافة الغربية تختلف اختلافاً كبيراً عن الثقافة الإسلامية، حيث تركز الثقافة الغربية على المبادئ والأسس المادية، ولا تعير اهتماماً لما وراء المادة. فطغيان المادة لا متناهي، وفي المقابل الإعراض عن الجانب الروحي المعنوي هو أحد السمات البارزة في خصائصها الأصلية المميزة لها. ولقد كان للحركة التنويرية (تيار فكري)، التي ظهرت في القرن الثامن عشر كبير الأثر على الثقافة الغربية. والفكر التنويري هذا يغلب عليه طابع التصادم مع الأديان، لأنه يقوم أساساً على إطلاق العنان للفكر دون حدود. فالعقل في هذا الفكر يمثل المشرّع والمرجع النهائي في جميع جوانب الحياة المختلفة الأخلاقية والاقتصادية والسياسية والفلسفية والاجتماعية وغيرها. فعلى أساس وجود التعارض بين العقل والدين بُيئت الحركة التنويرية، فوقفت ضد الدين تسيء إليه وتحاربه.

والجدير بالذكر أن جميع أنواع الفكر الغربي تعتمد على الحركة التنويرية في كل مناحي الحياة تقريباً، وبذا تشكل الحركة التنويرية جزءاً هاماً من ثقافة الغرب ومصدراً من مصادرها إلى جانب الأجزاء الأخرى المكوّنة للثقافة الغربية كالديمقراطية، والرأسمالية، وحقوق الإنسان، والعلمانية.² بينما تقوم الحضارة الإسلامية على فكرة تواءم العلم والأيمان، فالعلم يدعو للإيمان، والإيمان يقوم على العلم. ولعل هذا ما دفع البعض إلى قولهم: "أن الفكر الغربي يتحرك وفق مجموعة من المسلمات الأساسية التي تحالف بقوة الدعوة المحمدية في المبادئ والمسلمات، وبالتالي فإن الأصل في العلاقة الفكرية بين الغرب وبين الإسلام لم يكن يوماً ما التوافق وإنما كانت العلاقة دائماً من النواحي الفكرية تميل إلى المواجهة وعدم الاتفاق".³

إن الثقافة المادية التي يتغنى بها الغرب تقوم على أربعة مبادئ تتمثل في الآتي:

أولاً: الخلط بين الوسائل والمقاصد، حيث أصبحت الحياة الدنيا والاستمتاع فيها مقصداً لذاته، ولا

1 نقلاً عن: مع الله، محمد الغزالي، دار الهنأ للنشر والتوزيع - الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص 225.

2 ينظر: الأسس الفكرية لمعاداة الغرب للإسلام ورسوله، د/نور الدين عوض الكريم إبراهيم بابكر، www.albashir.sd، لوحظ بتاريخ : 2013/06/03 م، سا 21:21.

3 موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، علي بن نايف الشحود، ج 12، ص 258 (مرجع سابق).

إيمان بحياة أخرى بعدها.

ثانياً: إخضاع جميع الحقائق للتفسير المادي، واستبعاد كل إثارة للإيمان والمعاني الروحية.

ثالثاً: إنكار وجود مخرج من الأزمات والمشاكل التي يعيشها الإنسان سوى المادة، فالمادة هي الحل الوحيد والأوحد لضمان سعادة الإنسان.

رابعاً: الأنانية أو الفردية التي تجعل الفرد أو جماعة هما المحور والمقياس لكل شيء.¹

أضف إلى ذلك أن الاختلاف في ترتيب سلم القيم بين الحضارات له دوره هنا، فمثلاً في الحضارة الإسلامية توضع الأخلاق في أعلى سلم ترتيب القيم، عكس الحضارة الغربية التي تجعل حرية الفرد هدفها الأول قبل الأخلاق، إن كانت هناك أخلاق! فالإختلاف الثقافي له دوره، الذي يتحدد على ضوء السلوك المبحث الثالث: أسباب الإساءة إلى المقدسات الإسلامية التي اشترك فيها المسلمون و الغريبيون.

كما وجدت أسباب ساهم من خلالها المسلمون كما الغريبيون في الإساءة للمقدسات الإسلامية، تمثلت في الآتي:

المطلب الأول: خلط المفاهيم والمعايير.

في عشية الحادي عشر من سبتمبر 2001م خرج الكثير من الأمريكيين يطالبون بتدمير البلدان الإسلامية كرد على تفجير المركز التجاري الأمريكي الذي كان قد حصل في نفس اليوم. كما طالبوا بحرق سفارات البلدان الإسلامية ورددوا شعارات وعبارات يربطون فيها العنف والإرهاب بالإسلام. وإلى نفس ذلك الربط عمد الإسبان والإنجليز في مظاهرات جاءت على إثر أعمال عنف قامت بها أقليات متطرفة تنسب نفسها للإسلام وهو منها بريء.

خلطاً مماثل ظهر لدى كثير من المسلمين، كالذي حصل من عدم تفريق هؤلاء المسلمين بين الصحيفة الدنماركية المسيئة للإسلام وبين الشعب الدنماركي الذي يحتوي على شرائح عريضة من المجتمع رافضة لهذه الإساءة.

وبذا كان لهذا الخلط الواضح بين الإرهاب والإسلام، وبين الأنظمة السياسية(خصوصاً تلك المقررة

1 ينظر: سر تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي، دار الهنأ للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر، (د.ط)، 1986م، ص46.

لحرية التعبير مطلقاً) والشعوب الأثر البارز في الإساءة للإسلام ومقدساته.¹ فكان أن ساهم المسلمون والغربون بخلطهم المفاهيم في الإساءة للمقدسات الإسلامية وزيادة الحملات التي تخدم هذه الإساءة وتؤججها.

المطلب الثاني: الجهل بالإسلام.

لقد كان لهذا السبب الأثر البالغ في الإساءة للمقدسات الإسلامية، وكلا الطرفين (مسلمون، غربيون) قد ساهموا في شيوعه. فالمسلمين قد أهملوا إعطاء الصورة الصحيحة عن الإسلام، حيث لوحظت في أحيانٍ عدة نماذج من السلوكيات الخاطئة يقوم بها من يدعون أنهم ينتسبون إلى الإسلام. وازداد ترسيخ هذه المعاني المغلوطة تجاه الإسلام عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، ليغدو الإسلام مقترباً بالإرهاب، ولتسود مقولة حضارة العنف في مواجهة الحضارة الغربية في اعتقاد الكثير ممن لا يعرفون الإسلام معرفة صحيحة.

كما أن واقع المسلمين والصراعات الداخلية التي يعيشونها، حيث العنف والقتال بين الطوائف (السنة، والشيعة)، وبين من يدينون بديانة واحدة (الحرب العراقية الإيرانية) و(الحرب العراقية الكويتية) وغيرها من أعمال العنف أعطت ورسخت صورة الإسلام على أنه دين عنفٍ وإرهاب. وفي الوقت نفسه فإن تفرق المسلمين وتشنتهم هذا كان مآله إضعافهم، وهذا الذي أغرى عدوهم ليتناول على مقدساتهم.

ومن جهة أخرى فإن الصورة المشوهة التي رسمها أعداء الإسلام في أذهان غير المسلمين في الدول الغربية، من خلال التشكيك وإثارة الشبهات في دين الإسلام كان لها الأثر البارز في جهل الغير بالإسلام. يصدق على فعلتهم قول من قال: "الجهل بالإسلام... هو المناخ... الذي تستنت فيه الأكاذيب والتقوليات الباطلة على الإسلام.. فهذه الأكاذيب التي تتنامى في هذا المناخ وتلتصق بالإسلام خلال غيبوبة المسلمين أو أكثرهم عن إسلامهم... هي التي تخلق عوامل الاشمئزاز منه والعداوة له."²

وعلى نهج أولئك المتعصبون سار عبيدهم من العملاء الذين نقلوا الحضارة الغربية للعالم بصورونها

1 ينظر: الجدل الغربي حول مفهوم الإسلام. مدونة هشام عوكل، هشام عوكل، hicham oukal .maktoobb log.com، لوحظ بتاريخ: 2013/04/08م، سا 21:00.

2 الإسلام والغرب، د/محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر - دمشق، ط2: 1429هـ - 2008م، ص 99.

على أنها وحدها هي قارب النجاة وسط هذه العواصف الهوجاء، التي يتخبط فيها كثير من الناس كالذي يتخبطه الشيطان من المس!.
 وبذا مارس العمالة الثقافية أولئك الذين يدينون بثقافة الغرب، ويأكلون على موائد البلدان الإسلامية، ليشكلوا ضرباً من السقوط الحضاري. فكانت "وطأة الغزو الثقافي في الأجيال التي أنشأها وغداها ثقيلة أشد الثقل، إنه صنعها على عينه ورسالته الكبرى حطم هذا الإسلام والإتيان على بنيانه من القواعد".¹ وبذا ساهم الطرفان (مسلمون وغربيون) في إيجاد المناخ الملائم للتطاول على المقدسات الإسلامية.

1 كفاح دين، محمد الغزالي، مكتبة رحاب - الجزائر، ط06: 1408هـ - 1988م، ص161.

الفصل الثالث

منهجية التفسير إلى المفردات الإسلامية، ومفاهيمه،

وعلاوة حرية التعبير بالكرامة الإنسانية من خلال

الإساءة للمفردات الإسلامية

• البحث الأول:

منهجية التفسير للمفردات الإسلامية.

• البحث الثاني:

مفاهيم التفسير للمفردات الإسلامية.

• البحث الثالث:

علاوة حرية التعبير بمفهوم حفظ الكرامة الإنسانية من خلال

الإساءة للمفردات الإسلامية.

الفصل الثالث: منهجية المسيء إلى المقدسات الإسلامية، ومقاصده، وعلاقة حرية التعبير بالكرامة الإنسانية من خلال الإساءة للمقدسات الإسلامية.

يظهر للمتأمل في الواقع أن هناك تناغماً بين حملات الإساءة للمقدسات الإسلامية، ما يكشف عن أن الإساءة للمقدسات الإسلامية مدروسة بإحكام ودقة، وأن للمسيء مقاصد يسعى لتحقيقها، وإن اختفى تحت مسمى حرية التعبير.

المبحث الأول: منهجية المسيء للمقدسات الإسلامية.

إن الناظر بتبصر وروية في قضية الإساءة إلى المقدسات الإسلامية يدرك أن هذه الإساءة ممنهجة، وأن خيوط منهجها الآثم تتمثل في الآتي:

المطلب الأول: شمولية الإساءة لجميع المقدسات الإسلامية.

إن الإساءة للمقدسات الإسلامية لم تقتصر على مقدس واحد، بل تنوعت أوجه الإساءة وتعددت، فبعضها وجهت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كإساءة بعض الصحف في الدنمارك والسويد برسومات كاريكاتورية، ومقالات تحوي افتراءات بشعة على سيرته المطهرة . كما شملت حملات الإساءة للإساءة للقرآن الكريم مراراً وتكراراً، كتكرار الإساءة للقرآن الكريم بتمزيقه ووضعه في المراحيض من قبل الجنود الأمريكيين في معتقل غوانتانامو، تنكيلاً بالمسلمين المعتقلين هناك.

والبعض الآخر من هذه الإساءات وُجِّه لشعائر الدين، فالحجاب مثلاً في بعض الدول الغربية يواجه حرباً ضروساً ويوصف بألفاظ نابية، بل وتسب القوانين لمنعه، كالقانون الذي أصدرته فرنسا بحظر ارتداء الحجاب في المدارس، وعلى إثره فُصِّلت مسلمات عن الدراسة ، كما ألمانيا أيضاً التي منعت في مدارسها الحكومية.

ومن تلك الشعائر التي وُجِّهت إليها الإساءة شعيرة الصيام، فقد أفادت التصريحات التي نقلتها وكالة أنباء أمريكا إن أراييك، أن مذيع أمريكي بارز يدعى (نيل بورتز) قال في إحدى حلقات برنامجه الإذاعي، الذي يبث في جميع أنحاء أمريكا، قال: "المسلمين لا يأكلون أثناء النهار في رمضان. إنهم يصومون خلال النهار ويأكلون بالليل. (إنهم) نوع من الصراصير." ¹

1 مذيع أمريكي شهير يشبه المسلمين ب"الصراصير" لصيامهم في رمضان، www.alarabiya.net ، لوحظ بتاريخ:

2014/12/13م، سا 10:58.

كما تمَّ استغلال جميع وسائل الإعلام الغربية مسموعة ومرئية ومقروءة في شمولية الإساءة للمقدسات الإسلامية. وتقديمها بما يجعلها أكثر جاذبية، ليتلقفها المشاهدون والقرّاء بكثرة.

المطلب الثاني: الهجوم من قِبَل جميع التيارات والشخصيات.

يجد المتأمل أن الإساءة للمقدسات الإسلامية والتهجم عليها لم يعد حكراً على فئة بعينها، بل شمل القطاعات الغربية بأجمعها بما فيها من رجال الساسة، ورجال الدين، والصحافة، والسينما، ورسامي الكاريكاتير، وشرائح متنوعة من المجتمع الغربي، وأكتفي بذكر نماذج منها فيما يلي:

01: على الصعيد السياسي: تهجم رئيس حزب التقدم المسيحي النرويجي (كارلي هاغين) علانية في إساءته لرسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، حيث اعتبره مجبراً للأطفال الأبرياء على قتل الآخرين من أجل دخول العالم في الإسلام.¹ كما تعمد (شمعون بيريز) الإساءة للإسلام لما دخل أحد مساجد المغرب بحذائه ضارباً بقُدسية المسجد وأحكامه عرض الحائط. ناهيك عن هدم المساجد يوماً بعد يوم على يد الصهاينة بأمر سياسي.

02: على الصعيد الديني (رجال الدين): والى نفس فعلة (شمعون بيريز) عمد البابا (بنديكتوس السادس عشر) أثناء زيارته لمسجد الحسين بن طلال في عمان.² كما دعى القسيس الأمريكي (تيري جونسون) من فلوريدا إلى "اليوم العالمي لحرق القرآن، وقد قرر أن يحرق مائتي نسخة من المصحف في ساحة كنيسته في يومه العالمي لحرق القرآن!!".³

03: على الصعيد العلمي: ذكرت بعض المواقع الإلكترونية أن طلاباً يهود حاولوا تدنيس الحرم الإبراهيمي عندما دخلوا إليه بأحذيتهم مستعينين بجنود الاحتلال.

1 ينظر: المنهجية الغربية في الإساءة للمقدسات الإسلامية، www.alukah.net، لوحظ بتاريخ: 2013/10/27م، سا 18:11.

2 ينظر: الإساءة لمقدسات الإسلام تدبير يهودي خطير، محمد عباس دهيني، dahaini.com، لوحظ بتاريخ: 2013/10/27م، سا 19:04.

3 الإساءة للرسول في فيلم أمريكي وقح إهانة للإسلام والمسلمين ولكل الأديان، د/أكرم المشهداني، www.albasrah.net، لوحظ بتاريخ: 2013/06/04م، سا 21:01.

04: على الصعيد الإقتصادي: قامت بعض الشركات الغربية بوضع صور لمقدسات إسلامية على أماكن موجهة للتحقير كوضع صورة المسجد على بعض الأحذية.¹ وكإقدام "شركة إيطالية على تسويق أغذية مراحيز تحمل آيات كريمات من سورة البقرة".²

05: على المستوى الصحفي: في عام 1996م نشرت مجلة (تايم) موضوعاً يسيء إلى المقدسات الإسلامية يحمل عنوان (هل مات الرب؟).

وفي الثلاثون من شهر سبتمبر 2005م نشرت صحيفة (بلاندر بوسطن) الدنماركية رسوماً يستهزئ فيها بنبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام.³ كما أعادت صحيفة (ميغازينات) النرويجية نشر هذه الرسومات التي كانت قد نشرتها صحيفة (بلاندر بوسطن)⁴ وشايعتها بعض الصحف الأوربية الأخرى في هذه الفعلة.⁵

وفي شهر سبتمبر 2012م نشرت مجلة (شارلي إبدو) الأسبوعية الفرنسية عدداً بعنوان (شريعة هيبو) ورسم على غلافها رسماً كاريكاتيرياً يصور فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يليق بمقامه.⁶ ثم حاولت هذه الصحيفة الإساءة للنبي الأمين عليه السلام غير ما مرة، كمحاولتها الإساءة لمقامه الشريف في شهر أكتوبر 2014م. وساندتها صحف غربية أخرى بإعادة نشر إساءاتها.

وهكذا تجد الغرب حريصاً على تنوع مصدر الإساءة إلى المقدسات الإسلامية، فمرة تأتي من الإعلاميين، ومرة من رجال السياسة، ومرة من رجال الدين، وأخرى من عمال التربية والتعليم...

المطلب الثالث: الإستعانة ببعض الأقلام المهاجرة واستغلالها.

سعى الغرب جاهداً إلى استغلال بعض الأقلام اللاهثة وراء الشهرة وجمع المال، فأعطاهما ما تريد مقابل أن تغمس أقلامها في سموم تلك المؤامرة التي حيكت خططها من أجل الإساءة للإسلام

1 ينظر: الإساءة لمقدسات الإسلام...، محمد عباس دهبني، (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

2 منهجية الغرب وأهدافه، www.alukah.net، لوحظ بتاريخ: 2014/02/04م، سا 13:13.

3 ينظر: الإساءة للرسول في فيلم أمريكي...، د/أكرم المشهداني، (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

4 ينظر: منهجية الغربية في الإساءة للمقدسات الإسلامية، (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

5 ينظر: الإساءة للرسول في فيلم أمريكي...، د/أكرم المشهداني، (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

6 ينظر: المتطرفون يمارسون الرقابة على القصة الصحفية الدينية، جان بول مارثوز، www.cpj.org، لوحظ بتاريخ:

2013/10/28 م، سا 19:28.

ومقدساته. وحصل للغرب مراده، ووجد ضالته في فئة لم يكن أولها المفتون (سلمان رشدي) صاحب كتاب آيات شيطانية، ولم تكن آخرها المرتدة الكاتبة البنجالية (تسليمة نسرين) الباحثة عن السراب واللذة المؤقتة.¹ ولا المرتدة وفاء سلطان، التي أساءت للإسلام على قناة الجزيرة عبر الأقمار الصناعية من لوس أنجلوس. ولا أدل على أنها تلهث لحصولها على الشهرة تصريحها لمنظمة أقباط الولايات المتحدة الأمريكية قائلة: الجزيرة قدمتني للعالم على طبق من ذهب.

وفي مارس 2007م وقّعت وفاء سلطان على بيان عُرف ببيان مؤتمر فلوريدا للعلمانية الإسلامية، إلى جانب مرتدين آخرين، منهم: حسن محمود، توفيق حامد، شاكرا نابلسي، مجدي علام، نوني درويش...، والجدير بالذكر أن مما جاء في هذا البيان دعوة المرتدين حكومات العالم إلى رفض تحكيم الشريعة الإسلامية.²

كما أصدرت المرتدة إيان علي كتاباً في فبراير 2007م بعنوان (كافرة) تروي فيه على حدّ تعبيرها قصة انتقالها من الإيمان بالدين إلى الإيمان بالمنطق، لأن الإسلام الحق - كما تقول - يؤدي بالضرورة إلى الوحشية. وقد حصل هذا الكتاب على المرتبة السادسة في قائمة (نيويورك تايمز)، وهو من الكتب الأكثر مبيعاً في الولايات المتحدة.³

وإلى جانب هذا يولي الغرب مزيداً من الرعاية للمرتدين، بسعيه لفتح الأبواب لهم بتكوين الجمعيات والمنشآت للطعن في الإسلام، حيث دُعم إحسان جامعي، الذي ارتد بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م، وأصبح رئيساً لجمعية المرتدين عن الإسلام في هولندا، التي أسسها مع ليلي برادة الناشطة في الحزب الليبرالي.⁴

ودعمت ألمانيا المرتدين بتأسيس منظمة (المجلس المركزي للمرتدين) لهم في برلين، المقصد منها محاربة الإسلام، حدث ذلك في مارس 2007م. وعلى إثر تأسيس هذه المنظمة ظهر المجلس البريطاني للمرتدين في يونيو 2007م، المقصد من تأسيسه - كما تذكر المتحدثة الرسمية باسمه مريم نامازي -

1 ينظر: المنهجية الغربية في الإساءة للمقدسات الإسلامية، (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

2 ينظر: الغرب ومهام شبكة العلمانيين المرتدين الجدد، www.almoslim.net، لوحظ بتاريخ: 2014/11/20م، سا: 11:59.

3 ينظر: موجة الردة القادمة.. والدعم الأوروبي لها، www.islamweb.net، لوحظ بتاريخ: 2014/11/20م، سا: 12:04.

4 ينظر: المنهجية الغربية في الإساءة للمقدسات الإسلامية، (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

هو: الدعوة إلى التصدي للمنظمات الإسلامية البريطانية.

هذا وأن مطبوعات هذه المنظمة تؤكد بقوة أن من مقاصد المنظمة القضاء على العرف السائد بين المسلمين، المتمثل في عدم الإساءة للإسلام ومقدساته، وكذا تحديدهم في عدم الإعلان عن الارتداد. وغدت كل من الدنمارك والنرويج والسويد وفنلندا تشد على يد ألمانيا وتعلن عن فتحها فروع للمجلس المركزي للمرتدين. وبذا يجد المرتدين الكفالة في الغرب والحماية والدعم، بل والدفاع عنهم. كما يدخل في زمرة هؤلاء المستأجرين تلك المواقع الإلكترونية التي تأبى إلا أن تغمس أقلامها في مداد الإساءة للمقدسات الإسلامية، كموقع (المرتدون عن الإسلام) الذي أعلنت عنه الولايات المتحدة الأمريكية، وهو موقع يروي قصص المرتدين، ويدعو للردة. حيث يدعو المشاركين فيه إلى التصريح بأن الإسلام ليس ديناً سماوي من عند الله، إنما هو دعوة كاذبة المقصد منه إشاعة التضليل والإرهاب، وأن أتباعه هم الضحية الأولى، وواجب المرتدين حيال المسلمين يكمن في انتشال المسلمين من الإسلام. وقد جعل عنوان الصفحة الأولى لهذا الموقع - بالإنجليزية - (لقد تركنا الإسلام).¹ إلى غير ذلك من المواقع التي أعلنت وتعلن إساءتها للإسلام ومقدساته.

المطلب الرابع: الإستمرارية في الإساءة.

يصر الغرب على استمرار الإساءة للمقدسات الإسلامية، يظهر هذا من خلال توالي الأقوال والأفعال التي تصرح بالإساءة للحرمة الإسلامية. والواقع شاهد على أنه لا تكاد تمر أيام معدودات إلا وتحمل رياح الغرب إساءة جديدة من جهة أخرى، وبلونٍ مغاير ربما، فإن احتج المساء إليه وطلب الاعتذار من المسيء على ما صدر من إهانة لكرامته رُدد عليه إنك متخلف لا تعرف لحرية الرأي والتعبير قيمة، كيف والذساتير الغربية المتحضرة تجعل حرية الرأي والتعبير حقاً مطلقاً لا محيد عنه !!! . وهكذا يختفي المسيءون تحت مظلة حرية التعبير، ليواصلوا إساءاتهم وليستمروا عليها، وفيما يلي بيان لبعض ذلك.

فقد صوّرت الكنيسة الأروبية على لسان فيلسوفها (توماس الأكويني ت1274م) بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بتحريف آيات التوراة والأنجيل من خلال الخرافات التي يتلوها على أصحابه، وأنه لم يؤمن به إلا المتوحشون من البشر الذين كانوا يقطنون البوادي.

1 ينظر: موجة الردة القادمة...، (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

كما أساء (دانتي ت 1321م) للإسلام في ملحمة الشهيرة (الكوميديا الإلهية). وخلال العقدين الأخيرين تضاعفت الأعمال المسيئة للمقدسات الإسلامية في الإعلام الغربي¹، خصوصاً بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م، التي هيأت المناخ للحاقدين على الإسلام لاثامه والإساءة إليه. ويكفي للاستشهاد في استمرارية الإساءة بعد هذه الأحداث بإساءة صحيفة الدنمارك عام 2005م المشهورة، وما تبعها من إساءات متهاففة الواحدة تلو الأخرى، وقد ذكرت بعضها في غير موضع. ومما سبق اتضح أن الإساءة للمقدسات الإسلامية كانت موجودة قبل الأحداث التي شهدتها الألفية الثالثة، وأنها استمرت. الأمر الذي ينفي شبهة أن الإساءة أتت كردة فعل على هذه الأحداث، ويؤكد في الوقت نفسه أن المقدسات الإسلامية مستهدفة منذ القدم من طرف الغرب. فما محاربة الإسلام بحجة الدفاع عن حقوق الإنسان سوى وسيلة يتذرع أعداء الإسلام وعملائهم بها ليعيدوا تطبيق تصرفاتهم القديمة بالإساءة إلى المقدسات، وفق خطة ممنهجة منسجمة تنم على رؤية متكاملة دقيقة.

المبحث الثاني: مقاصد المسيء للمقدسات الإسلامية.

ومن خلال ما سبق بيانه من أسباب إساءة الغرب للمقدسات الإسلامية، ومنهجيته في هذه الإساءة اتضح أن المسلمون يواجهون حملة منظمة يقودها الغرب ترمي إلى تحقيق أهداف ومقاصد، تمثلت في الآتي:

المطلب الأول: جس نبض الشارع.

إن جس نبض الشارع مقصد مهم لدى القاصد للاستعمار، وفي هذا الصدد يقول أحد الخبراء السياسيين: "يتضح لنا أن علماء النفس في منظمات الغرب الإستعمارية يعتقدون أن في حين انتهاك حرمة المقدسات الدينية للشعوب، وحين عدم تأثير اعتراضها بالنسبة لهذه الانتهاكات في ذلك الوقت ستستسلم هذا الشعوب وسيتم ترويضها والتحكم بها كالشمع المذاب"². إذن الإساءة للمقدسات جيء بها كوسيلة وكبالون اختبار المقصد من ورائها قياس ردود أفعال

1 ينظر: عندما يشكل الإعلام الغربي صوراً نمطية عن الإسلام ونبهه، د/حسن عزوزي، alwaei . com، لوحظ بتاريخ: 2014/11/20م، سا 12:45 .

2 نقلاً عن: إنتهاك حرمة المقدسات من منظور القرآن الكريم، مترجم من مقالة الشيخ: عباس اميني، www.rupayah.net، لوحظ بتاريخ: 2013/04/10م، سا 20:56.

المسلمين تجاه الاعتداء على دينهم، وسيراً واختباراً لواقع المسلمين ومدى تمسكهم بدينهم، وموقعه في حياتهم، ومدى حرارة التدين لدى الشارع المسلم، ومعرفة المصادر التي تقود وتدفع إلى توهج هذه الحرارة، ومعرفة العوامل المؤثرة فيها. على نحو فعلة إسرائيل بالمسجد الأقصى، الرامية إلى هدمه وتقويضه، فبناءً على ردود أفعال المسلمين تحدد إسرائيل ما ستفعله في المرحلة القادمة.¹ وبطريقة أخرى يمكن القول أن الإساءة للمقدسات الإسلامية هي ضربة استباقية من المسيء، المقصد منها الوقوف على مدى تمسك المسلمين بالإسلام، بشكل أكثر وضوحاً، في مدة زمنية محددة. ومن هنا فإن الإساءة تعدّ خطوة هامة وخطيرة جداً، فالمعطيات التي تقدمها هي التي تحدد موعد تنفيذ خططٍ أخرى.

المطلب الثاني: جعل الإساءة إلى المقدسات الإسلامية أمراً طبيعياً.

يهدف الغرب فيما يهدف إليه إلى امتصاص ردود أفعال المسلمين المندفعة عقب كل إساءة، فتجده يعاود الإساءة مرة تلو الأخرى ليكون لدى المسلمين شعوراً داخلياً بكون هذه الإساءة أصبحت أمراً عادياً ومتقبلاً. ومن ثم يتم تذويب معالم الدين الإسلامي شيئاً فشيئاً، لتظهر أجيالاً ممسوخة تستحيي من هويتها وانتمائها للإسلام، حيث أن المقدسات الإسلامية لم تعد لها منزلة في اعتقادهم. ومن هنا يغدو المسلمين يجرون وراء قيم الغرب الخاوية إن كانت قيماً!! وبإلقاء نظرة على الواقع يجد الناظر فيه أن الغرب في أحيانٍ عدة استطاع أن يصل إلى مقصوده من امتصاص ردود أفعال المسلمين، حيث تناقصت فعاليات المواجهة والرد على هذه الإساءات بعد برهة من الزمن، وقبل أن يردع المسيء عن قيامه مجدداً بهذه الإساءة. بل ويلحظ أحياناً انصراف الكثير من المسلمين عن الاهتمام بالموضوع كلياً، حتى تلك المواقع الإلكترونية المتحمسة أثناء انطلاقها مناصرة لقضية الدفاع أو الرد على هذه الإساءات تجدها أحياناً قد أصابها الفتور والحمول. وهذا من شأنه إعطاء صورة ولو واهمة بقبول الآخر العدو تحت عنوان حرية التعبير، وفي المقابل المساهمة في إضعاف قدسية الحرمات والرموز الإسلامية، وعلى إثر ذلك يتكون استعداداً نفسياً لقبول المزيد من الإساءة للمقدسات الإسلامية بدعوى حرية التعبير.

وهكذا يقصد المسيء إلى تعويد المسلمين على قبول هذه الإساءات المتوالية على مقدساتهم، لتدخل بذلك الحمية الدينية دائرة النسيان، والتي لطالما كانت هذه الحمية حجر عثرة أمام مخططاته ومؤامراته،

1 ينظر: المنهجية الغربية في الإساءة للمقدسات الإسلامية، (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

بل ومرهون تنفيذها ونجاحها بإزالة هذه الحماية الدينية الإنسانية. حيث لا من يحفظ أو يساهم في حفظ الهوية الإسلامية، ولا من يحمي قيمها ومبادئها، ولا من يرفع في عيون أبنائها قدرها، ولا من يهيئهم للقيام بدورهم كمسلمين صالحين يتحملوا مسؤولية إرشاد الناس لطريق الخير والرشاد.

ولأن المقدسات الإسلامية وإعزازها والذود عنها يجبي في نفس المسلم الثقة في النفس وتربطه بربه وتذكره به توالى الإساءة إليها حتى تغدو عند المسلم أمراً عادياً لا مقدساً بعد أن تضاعف إعزاز الدين في بؤرة الشعور، ومن ثم يزول تأثير المقدسات الإسلامية في نفوس المسلمين، وتمحى آثارها البناءة من واقعهم بعد أن نزع روح قداستها من قلوبهم، وبذا يتمكن المسيء المعتدي من فرض ظلماته دون أية مقاومة.

المطلب الثالث: وضع الإسلام في صورة منحطة عن المعتقدات الدينية.

من أجل صرف المسلمين عن دينهم باعتباره مصدر عزتهم وقوتهم، ومن أجل وضع حدٍ لانتشار الإسلام في العالم عموماً وفي القارة الأوروبية خصوصاً (والتي يريدتها الغرب نصرانية بالنحو الذي يبغى) أساء الغرب إلى المقدسات الإسلامية. ظهر هذا في مواقف عدة، منها هذا الموقف الذي طالب فيه المرشح الرئاسي الجمهوري الأمريكي (توم تانكير يدو) دول القارة بالعمل على ترحيل العشرين مليون مسلم الذين يعيشون على أراضيها لتحافظ أوروبا على هويتها النصرانية دون نزاع، وتقلل من الأخطار المحدقة بأمن الولايات المتحدة الأمريكية.¹

وإلى خطورة رغبة وتخطيط أعداء الإسلام للمسلمين لأن يرتدوا عن دينهم نَبَّه الله تعالى عباده الذين ءامنوا بقوله: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوْءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.²

إذن منطلقات الغرب في إساءته ليست سياسية فقط، إنما عقدية أيضاً. قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَسَ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ فَلِإِنَّ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِ

1 ينظر: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية منهجية الغرب وإستراتيجية المواجهة، عصام زيدان، www.salmajed.com، لوحظ بتاريخ: 2013/04/10م، سا 20:29.

2 سورة: الممتحنة، الآية: 02.

إِتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ¹.

ومن هنا ندرك رغبة الغرب في إبطال كون الإسلام دين أو معتقد مقدس يجعله في منزلة أدنى إذا ما قورن ببقية الأديان المقدسة. لذا تجدهم يتكبرون للتاريخ الإسلامي، ويجعلونه خارج السياق التاريخي الحضاري، ويحاولون إقناع الناس بأن الإسلام لا يمكن أن يكون إلا همجياً إرهابياً، لا تقدماً إنسانياً حضارياً.

ولما كان زرع إسرائيل في قلب الأمة العربية الإسلامية هو خطة غربية (أمريكا، بريطانيا)، اللتان مدّتاها بكل أسباب الوجود ثم حمايتها، فلا عجب أن توافقهما في الوسائل والمقاصد.

لقد اتضح قصد اليهود من وضع الإسلام في مرتبة أدنى من ديانتهم، بل والقضاء عليه في البروتوكول الرابع عشر، حيث تم التصريح بهذا المقصد في الفقرة الآتية: "حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض... ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي أثمار ملحدين فلن يدخل هذا في موضوعنا، ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغى إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل لنا - بعقيدته الصارمة - واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا."²

فهم يقصدون إلى صد الناس عن دين الله الحق، ليحق عليهم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾³. وهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ

إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾⁴.

إنها الخطة المرسومة، التي وكلت إلى جمع غفير من إعلاميين، ومفكرين، وسياسيين... أن يعلموا ويجدوا على ولادتها واقعاً، ورعايتها نشء، بغض النظر عن الوقت المستغرق لعمل ذلك، فالظروف المتاحة هي التي تفصل في تاريخ ووقت التنفيذ.

1 سورة: البقرة، الآية: 119.

2 الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، تر: محمد خليفة التونسي، قدم له: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي -

لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 169.

3 سورة: الزخرف، الآية: 36.

4 سورة: التوبة، الآية: 32.

ومن هنا فإن الغرب يقترف جريمة الخيانة العظمى ويدعو إليها بخطته هذه، أو بتعبير الإسلام الحنيف يقترف جريمة الارتداد تجاه الدول التي تعلن الإسلام ديناً لها.

المطلب الرابع: تكوين رأي عام غربي مناهض للإسلام.

يعمل الغرب جاهداً من أجل تكوين رأي عام غربي معادٍ للإسلام والمسلمين من خلال المس المباشر بالمقدسات الإسلامية، والمتضمن إظهار الدين الإسلامي على أنه لا يعدو أن يكون نموذجاً للتخلف والرجعية، وأن أتباعه همجيون متخلفون لا يؤمنون بحرية الرأي والتعبير. وبذا تجد الغرب يقصد إلى تشويه صورة الإسلام في عقول جماهير الشعوب الغربية، ليبرر مشاريعه العدوانية على المسلمين في أوساط جماهير شعوبه، بل ويكسب تأييدهم لمقاصده القديم الحديث، المتمثل في الهيمنة الغربية على الشرق المسلم، وحرمان شعوبه من حقهم الفطري في الحرية وتقرير المصير.¹

كما يمكن إرجاع السبب المباشر لذلك هو خوفهم من أسلمة القارة الأوروبية، الأمر الذي دق ناقوس الخطر عندهم، لتنتطق أفواه بعض الغربيين بذلك أكثر من مرة. كتصريح السكرتير الخاص للبابا بنديكت السادس عشر (جيورج جاينز فاين) الذي حذر من ذوبان هوية القارة النصرانية. وإلى نفس المعنى السابق صرّح رئيس الحزب النصراني الإشتراكي والحليف الرئيس في الائتلاف الحاكم الألماني (ادموند شتوبير).

إذن فالغرب يسعى بكل جدية لفرز العالم الإنساني بين شرق إسلامي إرهابي مدمر، وغرب نصراني ديمقراطي متحضر، وتأجيج الصراعات والنزاعات مع الإسلام انطلاقاً من هذه المفارقة الكاذبة المحففة. ليضع العالم الإسلامي موضع العدو، فيصل إلى أعلى مقصد عنده ألا وهو النيل من الإسلام والمسلمين وجعل المسلمين أتباعاً لا متبوعين.²

كما أن وصف الإسلام بمصطلحات سلبية كالقسوة وما إلى ذلك "تدل على أنها على أمر مبيّت أورياً ضد الإسلام والمسلمين وهذه الأحداث غايتها إعداد الرأي العام نفسياً وعقلياً لتقبل فكرة حرب شاملة ضد الإسلام والمسلمين مبررها الأساسي بعض الأخطاء التي يقع فيها بعض المسلمين، وردود الفعل السلبية المتوقعة ضد الأحداث الإستفزازية والتصريحات العدوانية المتعمدة ضد

1 ينظر: أسباب انتشار الإسلام شهادة غربية، د/محمد عمارة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - مصر، ط1: 1433هـ - 2012م، ص5، 6.

2 ينظر: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية منهجية الغرب...، عصام زيدان، (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

الإسلام".¹ وبذا تشحن النفوس بما يبعث على كراهية الإسلام، وبما يحقق الفرقة بين الشعوب الغربية والإسلامية.

المطلب الخامس: القضاء على مرتكزات النهضة الإسلامية.

الغرب يدرك جيداً أن النهضة الإسلامية مرهونة بالتمسك بمرجعيتها الدينية، وهويتها الإسلامية. وفي ظل التآكل الذي تعيشه الحضارة الغربية المادية، التي لطالما أشقت الإنسان الغربي، وأنهكت قواه واستعبدته يخشى الغرب من يقظة المسلمين مرةً أخرى، لأن هذه اليقظة ستقوض أحلامه في سيادة العالم. لأجل هذا عمل الغرب جاهداً على الإساءة لمقدسات المسلمين عساه يقضي على مرتكزات النهضة الإسلامية ويكسر هاجس خوفه من أن يزيله المسلمين من كرسي الريادة، ويضعوه حيث مكانه الصحيح الأجدر به، واللائق بمقام المادة.

فمواجهة الصحوة الإسلامية غدت هدفاً قوياً ومقصداً عالياً للغرب، اعتقاداً منه أن العالم الإسلامي سيتحول إلى فرق متشتتة منهوكة القوى بناءً على تباين ردود الأفعال إزاء هذه الإساءات المتوالية على مقدساته. إذ الغاية الجلل التي يطمح الغرب إلى تحقيقها من هذه الإساءات هي خلق التناقضات داخل المجتمع الإسلامي، ومن ثم القضاء على الإسلام باعتباره يحوي جميع عناصر النهضة، فهو الذي بؤ الأمة المسلمة قيادة ركب الإنسانية لقرونٍ لما تمسكت به، وأن الإسلام قادر على حمل هذه الأمة نحو الأمن والاستقلال والرفاهية والاستقرار، وأن يعيد اسمها إلى ميادين الخلود فتنهض وتؤدي رسالتها في الحياة من هداية البشرية لطريق الحق والنور.²

إن نهضة المسلمين وقيادتهم العالم في فجر الإسلام كان نتيجة للثورة العارمة التي أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفساد الذي كان يعيشه المجتمع العربي، مما حمل العرب بعد هذه النهضة على حفظ الدين، ومن ثم انطلق المسلمون يضربون أكباد الإبل إلى أقطار الأرض يدعون الناس إلى الدين الحق وما ضمّه من حبٍ وخيرٍ وصلاحٍ للإنسانية في إيمان قوي ثابت. فحققوا رقيماً وانتصاراً مدهشاً

1 الفكرة الإسلامية، الإمام عبد الحميد بن باديس، جمع وتقديم: د/أحمد الرفاعي شرفي، دار الهدى - الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص 04.

2 ينظر: أهداف الدعوة الإسلامية، د/مصطفى السباعي، مجلة حضارة الإسلام، العدد السابع، السنة الخامسة: 1384هـ - 1965م، ص 656.

في فترة جدّ قصيرة، ومكنهم ربهم في الأرض بما لم يمكن به غيرهم من الأمم.¹ وقد فهم دارسوا تاريخ المسلمين من أبناء الغرب الذين يكيّدون للإسلام هذا الأمر وحقيقته، فسطروا خططاً للقضاء على النهضة الإسلامية من أجل إبقاء المسلمين في الركود والانحطاط والتبعية، وكانت خطة الإساءة للمقدسات الإسلامية أهم تلك الخطط.

كما لا يمكن لعاقل أن ينكر أن استمرار وتجدد الإساءة للمقدسات الإسلامية كان من أكبر أهدافها تشتيت الإنتباه والنظر في الجرائم البشعة التي يرتكبها الغرب في الكثير من أقطار العالم، وبالأخص الإسلامية منها، كما هو الحال في فلسطين. والقصد من ذلك طبعاً تعطيل حركة النهضة والصحة والتنمية الإسلامية.² ذلك لأن الغرب يدرك جيداً أن الدين الإسلامي هو المحرك الرئيس لجميع أفكار المقاومة الموجودة في أفكار وتصرفات الشعوب الإسلامية... ان رسالة محمد... تقدم الرصيد الفكري والنفسي والعقدي لجهد المسلم في الانتصار على نفسه وعدم التسليم لشهوات الحياة ومتع الدنيا.³ وانتصار المسلم على نفسه يعني عدم التسليم لها متى سولت له أنه ضعيف، عليه الخضوع لغيره.

لذا يتعمد الغرب الإساءة للمقدسات الإسلامية كي يضمن ابتعاد المسلمين عن الإسلام وقوّته الفكرية والأخلاقية. ومن هنا فإن القضاء على النهضة الإسلامية معوّل عليها من طرف العدو باعتبارها رمزاً لعودة الإسلام وعودة المسلمين إلى عزهم الماضي، وتاريخهم المجيد، وتبوأهم الصدارة والسيادة التي تليق بمجدهم بعد سبات عميق.

المطلب السادس: إذابة شخصية الأمة الإسلامية.

إنه على إثر عجز الغرب في حملاته التبشيرية لصدّ المسلمين عن الإسلام عمد إلى البديل الأمثل من وجهة نظره، والمتمثل في إذابة وطمس الشخصية الإسلامية، حيث يبقى المسلمون يحملون أسماءً إسلامية، ويؤدون عبادات كاملةً أو منقوصة، أمّا جانب المعاملات وتنظيمات المجتمع ونظم الحياة

1 ينظر: نحن والعالم، د/محمد عاطف العراقي، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد العشرون، (د.س)، 1395 هـ - 1975 م، ص 42 ، 43.

2 ينظر: نصره الرسول.. بين أسباب الإساءة وأدوار النصرة، وليد شليبي، www.humyh.com، لوحظ بتاريخ 2013/06/01 م، ص 19:54.

3 الأسس الفكرية لمعاداة الغرب للإسلام ورسوله، د/ نور الدين بابكر، (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

عموماً فتذوب في النظم الغربية تحمل مضمونها وتتبنى فلسفتها. ومتى حصل ذلك فقد قضي الأمر، وتحقق للمسيء المقصود.

أجل إنه يعمد إلى إذابة الشخصية الإسلامية، واستبدالها بفرض العلمانية كفكر ابتداءً، ثم كنظام حياة ومحوراً للتعامل في جميع ميادين الحياة ثقافياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً...¹ إنه محور فصل الأمة الإسلامية عن منابع قوتها، وتذويب شخصيتها انطلاقاً من الإساءة لمقدساتها. فبإبعاد ملامح الإسلام عن واقع الحياة تغدو الشخصية الإسلامية ذاتية، فلا رابط يربط شمل المسلمين، حيث الدين يولّد الإحساس بالوحدة عند معتنقيه، ولا غاية أو مقصداً نبيلاً يجمعهم. وبذا يتم إفقاد المسلمين هويتهم، وتذوّب شخصيتهم الإسلامية فما يغير طبيعتها، وينافر عقيدتها، وتستبدل الثقافة الإسلامية بثقافة جديدة تساعد على توجيه العقول نحو مراد المسيء ومقصوده، فتصنع القرارات لصالحه، وتساهم في تحكيمه سياسة وقيادة العالم برمته.² ويكون حينها قد تمّ بناء أمة عربية مرتدة عن دينها، متمردة على رسالتها وتاريخها، تعمل هي الأخرى على مطاردة الإسلام في أرجاء العالم.

وخلاصة الكلام عن مقاصد المسيء أقول: إتضح جلياً أن المسيء يقصد إلى إضعاف الأمة الإسلامية اجتماعياً عن طريق خلق الاضطراب وتضارب في الردود إزاء الإساءات لمقدسات المسلمين، وبالتالي يسعى إلى تشتيت المجتمع المسلم وتشتيت سياسته متى اعتبرنا أن السياسة تخدم الشعوب. وإضعاف الأمة الإسلامية ثقافياً عن طريق محاولة مسخ الهوية الإسلامية وتشويهها وهدم مبادئها، والتشكيك فيها. بل وإضعافها أيضاً اقتصادياً وحضارياً حيث يحاول المسيء إلى مقدسات المسلمين إقناع المسلمين أن لا تاريخ لهم ولا حضارة، وعليهم الإيمان بأنهم وُجدوا ليكونوا أتباعاً للحضارة الغربية لا غير بمعنى أو بآخر.

ومتى سلّم المسلمون بذلك سخّروا ما آتاهم الله من نِعَمٍ تنعش الاقتصاد لخدمة الحضارة الغربية المتبوعة، واكتفاء المسلمين بدور المتفرج الذي يكبّل يديه ناظراً فيما يحققه الغرب على الصعيد الاقتصادي، مكتفياً باستيراد منتوجاته، جاهلاً أنه بذلك يضع رقبتة تحت سكين ومطرقة الغرب

1 ينظر: الغزو الفكري: أثره في القرآن وركائز التصدي له، د/عمر يوسف حمزة، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الرابع، (د.س)، 1419هـ - 1998م، ص 156، 157.

2 ينظر: الغزو الفكري...، د/عمر يوسف حمزة، ص 156 (مقال سابق).

يضره بهما متى شاء، وبالتالي فإن المسيء يقصد إلى إضعاف الأمة الإسلامية ثقافياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وحضارياً.

المبحث الثالث: علاقة حرية التعبير بمقصد حفظ الكرامة الإنسانية من خلال الإساءة إلى المقدسات الإسلامية.

وفي البداية، وقبل الخوض في الكلام عن حرية الرأي والتعبير لا بأس أن أنوه إلى أنه وعلى الرغم من أن هناك من يفرق بين حرية الرأي وبين حرية التعبير، إلا أنني أنتمي إلى الفريق الذي يذهب إلى أنهما بمعنى واحد، فحرية التعبير هي نفسها حرية الرأي والعكس.

المطلب الأول: حرية التعبير في الإسلام (خصائصها، صورها، أدلتها، حكمها).

في الوقت الذي كانت فيه أوروبا وغيرها من بقاع العالم تعيش اضطهاداً لحقوق الإنسان على الرغم من المحاولات الجادة التي قامت بها الحضارات الكبرى إلا أنها لم تكن تسلم من أوجه القصور، أنذاك برزت أول دولة قانونية في الجزيرة العربية تؤسس لجميع أنواع حقوق الإنسان فكراً وتطبيقاً، وتنبذ العدوان والإساءة لهذه الحقوق وتعاقب عليها، وذلك في القرن السابع للميلاد.

إنها دولة حقوق الإنسان التي أقامها محمد صلى الله عليه وسلم في الجزيرة العربية (المدينة المنورة)، تلك الدولة المحكومة بدستور شرعي إلهي يتضمن القواعد الضامنة لحماية حقوق الإنسان، واحترام الدولة للقانون، ورقابة أعمال القائمين على شؤون الدولة، واحترام مبدأ سيادة الشعب. ومن هنا كان تأسيس أول دولة حقوقية قانونية إسلامية في تاريخ البشرية، ثم انتقلت فكرة الدولة القانونية الإسلامية إلى باقي أنحاء العالم. وقد تميزت هذه الحقوق التي جاء الإسلام بها، وحرية التعبير إحداها بالآتي:

أولاً: ربانية المصدر. إن حقوق الإنسان نعمة تفضل الله بها على عباده، وبذلك هي ذات مصدر

رباني وليست تفضلاً من عند الحاكم أو الدولة¹ قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا

مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَفْهَمَ النَّاسُ بِالْفِئْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْعِعٌ لِلنَّاسِ

وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ². فتبين أن الله سبحانه أرسل

1 ينظر: حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب بين النظرية والتطبيق دراسة مقارنة، د/ أحمد عبده عوض، ألفا للنشر والتوزيع -

مصر، ط02: 1433هـ - 2012م، ص43.

2 سورة: الحديد، الآية: 24.

رساله "بالحجج القواطع وأنزل معهم الكتاب الحاوي للشرائع والأحكام التي يكمل عليها الناس ويسعدون وأنزل الميزان وذلك ليقوم الناس بالعدل أي لتقوم حياتهم على أساس العدالة والحق".¹ "فحقوق الإنسان إذن كرمٌ ومنحة من الشارع سبحانه، وفي هذا يقول الشاطبي: "إن ما هو حق للعبد إنما ثبت كونه حقاً بإثبات الشرع ذلك له، لا بكونه مستحقاً لذلك بحكم الأصل"²، ويترتب عن ذلك أن هذه الحقوق ملزمة لا تقبل التنازل.

ثانياً: العموم. إن حقوق الإنسان في الإسلام جاءت رحمة وهداية لجميع البشر دون استثناء، كيف لا وما أنزل القرآن العظيم، وبعث خاتم الأنبياء والمرسلين إلا لتتميم مكارم الأخلاق الفاضلة للإنسانية جمعاء، ومنح الإنسان الحقوق وحفظها، وإرشاد العالمين لما فيه صلاحهم في الحال وفلاحهم في المال. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.³ وقال أيضاً: ﴿فَلْيَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.⁴ وقال عز من قائل سبحانه في موضع آخر: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.⁵ فقد تمَّ التصريح في هذه الآيات الكريمة بأن محمد بن عبد الله عليه صلوات الله رسولاً إلى جميع الناس.

ثالثاً: الشمولية. إن حقوق الإنسان التي جاء بها الإسلام شاملة لجميع جوانب وميادين الحياة المختلفة العقائدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.⁶ وفي إطار الحديث عن شمولية حقوق الإنسان

1 أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبوبكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم - المملكة

العربية السعودية، ط 05: 1424هـ-2003م، ج 09، ص 82.

2 الموافقات، الشاطبي، ج 3، ص 104 (مرجع سابق).

3 سورة: سبأ، الآية: 28.

4 سورة: الأعراف، الآية: 158.

5 سورة: الفرقان، الآية: 01.

6 ينظر: حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب...، د/ أحمد عبده عوض، ص 44 (مرجع سابق).

في الإسلام أورد للتدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِينٍ﴾¹ حيث فُسر قوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ بمعنى "أكملها وأتمها"²، فهي نِعْمٌ شاملة تعمُّ جميع نواحي الحياة.

وصور حرية التعبير في الإسلام متنوعة، تمثلت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة، والشورى.

أما الأدلة والشواهد على تأسيس الإسلام لحرية الرأي والتعبير، بصورة لم تألفها المجتمعات حتى في العصر الراهن كثيرة، منها قول العزيز الحميد: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾³ و"المعروف شامل لكل ما تقبله العقول والفطر السلمية، والمنكر ضده"⁴.

وقال عز شأنه أيضاً: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁵ فمدح سبحانه في الآية فعل المؤمنين، المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والقاعدة المقاصدية المفعلة هنا: [مدح الفعل دليل على قصد الشارع إلى إيقاعه، وذمه دليل

1 سورة: لقمان، الآية: 19.

2 الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب - المملكة العربية السعودية، (د.ط)، 1423هـ-2003م، ج14، ص72.

3 سورة: آل عمران، الآية: 104.

4 التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، (د.ط)، 1997م، ج9، ص135.

5 سورة: التوبة، الآية: 72.

على القصد إلى عدم إيقاعه¹. والمعنى: أنه يمكن الوصول إلى مقصود الشارع والتعرف عليه عن طريق الالتفات إلى ما جاء من مدح أو ذم في النصوص الشرعية، فالمدح مشعرٌ بقصد الشارع إلى إيقاع الممدوح، كما أن الذم مشعرٌ بقصد الشارع إلى المنع من إيقاع المذموم.²

كما أن في قصة حولة بنت ثعلبة لشاهد على تقرير الإسلام لحرية التعبير، فقد جاءت يوماً تشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها، وهي تقول: ((يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع له ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت عائشة رضي الله عنها: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا}}).³ وحث عليه السلام على إبداء الآراء، فقال: ((لا تكونوا إمعةً، تقولون: إن أحسن الناس أحسناً، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا)).⁴ بل اعتبر عليه الصلاة والسلام الإمتناع وتعطيل حرية الرأي والتعبير يُسقط عضوية الجماعة المسلمة، بقوله: ((من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يُصبح و يُمسِ ناصحاً لله ولرسوله، ولكتابه، وإمامه، ولعمامة المسلمين فليس منهم)).⁵ وعن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((الدين النصيحة)) قلنا: لمن؟ قال: ((لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين و

1 نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، ص 323 (مرجع سابق).

2 ينظر: أصول الفقه الإسلامي، د/ محمد سراج، ص 435 (مرجع سابق).

3 الحديث: رواه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب الظهار، باب سب نزول آية الطهارة، ج 07، ص 628 (15243)؛ وقال الحاكم في المستدرک: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرِّجَاهُ. ج 02، ص 523 (3791).

4 الحديث: رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو، ج 3، ص 432 (2007)، وقال: هذا حديث حسنٌ غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

5 الحديث: رواه الطبراني في معجمه الأوسط، من اسمه محمد، ج 07، ص 270 (7473)؛ والهيشمي في مجمع الزوائد، باب في النصيحة، ج 1، ص 87 (294)؛ وأحمد الأصبهاني في تاريخ أصبهان، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1: 1410هـ - 1990م، ج 2، ص 222. والحديث وإن كان في سنده مقال إلا أن معناه صحيح ورد في نصوص قرآنية

ونبوية أخرى، ما يرتقي بالحديث إلى مرتبة الحسن لغيره على الأقل.

عائتهم))¹.

كما طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم مبدأ الشورى في تصرفاته العامة في شؤون المسلمين، كيف لا وهو من نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.² فقد ثبت أنه استشار أصحابه بشأن موضع النزول في غزوة بدر الكبرى، وعن يحيى بن سعيد، قال: ((استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، فقال الحُبَابُ بن المنذر: نرى أن تُعَوَّرَ المياه كلها غير ماءٍ واحدٍ، فنلقى القوم عليه))³.

وهذه (الشورى) "أولية بديهية من مبادئ الإسلام الحنيف نشرها محمد عليه السلام بين قومه، وعمل بها في حياته، فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى كان أصحابه عليهم رضوان الله أشد الناس تمسكاً بها، ودعوة إليها وإصراراً عليها، وكان ذلك من أسباب سيادتهم، ومن أسرار انتشار دعوة الإسلام في كل مكان"⁴.

فقد ضرب الصحابة في تشاورهم لاختيار الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة مثلاً أعلى لحرية الرأي والتعبير.⁵ وتوّجت هذه الشورى ببيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وما قاله في خطابه السياسي الرائع المروي عن الحسن ((أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه

1 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ج1، ص74 (95).

2 سورة: الشورى، الآية: 35.

3 الحديث: رواه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب السير، باب قطع الشجر وحرق المنازل، ج9، ص144 (18123). وأوردت الحديث لأبي وجدت حديثاً آخر يُصَبُّ في معناه: ((إذا استشار أحدكم أخاه فليُشر عليه)) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب المستشار مؤتمن، ج2، ص1233 (3747)؛ وقال أبو الفضل بن حجر العسقلاني في تعليق التعليق على صحيح البخاري، تح: سعيد القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان - الأردن، ط1: 1405هـ. قال: إسناده صالح. ج3، ص253.

4 الإسلام دين الحرية، أحمد حمزة، مجلة لواء الإسلام، العدد الثاني عشر، السنة السابعة: 1373هـ-1954م، ص707.

5 ينظر: السيرة النبوية، أبي الفداء اسماعيل بن كثير، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان، (د.ط)، 1396هـ-1971م، ج8، ص81.

خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إِنَّ أكيس الكيس التقوى، وأحمق الحمق الفجور، ألا وإن الصدق عندي الأمانة، والكذب الخيانة، ألا وإن القوي عندي ضعيف حتى أخذ منه الحق، والضعيف عندي قوي حتى أخذ له الحق، ألا وإني قد وُئيت عليكم ولست بأخيركم، قال الحسن: هو والله خيرهم غير مُدافع، ولكن المؤمن يهضم نفسه. ثم قال: ولوددتُ أنه كفاني هذا الأمر أحدكم - قال الحسن: صدق والله - وإن أنتم أردتموني على ما كان الله يقيم نبيّه من الوحي ما ذلك عندي، إنما أنا بشرٌ، فراعوني)).¹

وسار على هذا النهج الخليفة الثاني للمسلمين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، الذي قام خطيباً في الناس قائلاً: ((تقوا الله عباد الله وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولايني الله من أمركم)).² ويطلب هذا الخليفة تقويمه فيجيبه أعرابي: ((والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا!)) فقال أبو حفص: ((الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم عمر إذا اعوج!)).³

وتقوم امرأة من عامة الناس معبرة عن رأيها لما أراد خليفة المسلمين الثاني أن يضع حداً للمهور رعيّاً

لمصلحة رعيته، وتقول مخالفة لرأيه مستدلة بقول الحق جلّ جلاله: ﴿وَإِنْ آرَدْتُمْ بُسْتَبْدَالَ زَوْجِ

1 الأثر: رواه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب قسم الفء والغنيمة، باب ما يكون للوالي الأعظم ووالي الأقليم، ج6، ص 574 (13009)؛ وإسماعيل بن محمد الأصبهاني في الترغيب والترهيب، تح: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث - القاهرة، ط01: 1414هـ - 1993م، باب الترغيب في التقوى، ج01، ص 410 (716)؛ وأبو عبد الله محمد بن سعد في الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط01: 1410هـ - 1990م، طبقات البديين من المهاجرين، ذكر بيعة أبي بكر، ج3، ص136؛ وأبو القاسم علي بن الحسن (ابن عساكر) في تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 1415هـ - 1995م، ج30، ص302. وأوردت الأثر لوجود معناه في نصوص أخرى.

2 الأثر: أورده علاء الدين علي بن حسام الدين في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تح: بكري حياني، صفوة السقاء، مؤسسة الرسالة، ط5: 1401هـ - 1981م، ج05، ص683 (14184)؛ ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج44، ص265. وأوردت الأثر من باب تعاضد الأدلة.

3 الأثر: أورده مجموعة من المتخصصين في نظرية النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع - جدة، ط04، (د.ت)، ج8، ص3406، والأثر موجود معناه في آثار أخرى لعمر رضي الله عنه.

مَكَانَ زَوْجٍ وَعَاثَيْتُمْ إِخْبِيلَهُنَّ فَنطَاراً قَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً آتَاخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِنَّمَا

مُثِينًا¹. فرجع الخليفة عن رأيه مُصْرِحاً بذلك أمام الناس بقوله: ((امرأة أصابت ورجل أخطأ)).² كما ثبت قول هذا الخليفة لعمر بن العاص عامل مصر لَمَّا ضرب ابنه قبطياً مفتخراً بأبائه ومكانتهم الاجتماعية، فقال عمر: ((مُدَّكُمْ تَعَبَّدْتُمْ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدْتُمْ أَمَهَاتِهِمْ أَحْرَاراً؟)).³

فلولا أن دين الإسلام كفل حرية الرأي والتعبير لكان من المحال القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو القيام بنصح الناس أو مشورتهم، ولكان جميع ذلك تكليفاً بالمحال، وهو منفي في دين الإسلام. أما عن حكم حرية التعبير في الإسلام، فتجدها لا تقف عند كونها حق فحسب، بل واجب أيضاً. ويان ذلك: أن حرية التعبير هي حق من جهة صاحبها، وهي واجب من جهة مصلحة المجتمع والبشرية جمعاء. الأمر الذي يجعل حرية التعبير في الإسلام من الأمور المهمة والضرورية، التي تؤدي دوراً أساسياً في إظهار الحق والخير، ونشره بين الناس، وتصحيح المفاهيم المغلوطة والسلوكيات الهادمة للمجتمعات.⁴

وانطلاقاً من كون التعبير حق وواجب في الإسلام، فإنه لا يجوز لصاحب هذا الحق أن يتنازل عن

1 سورة: النساء، الآية: 20.

2 الأثر: أوردته شمس الدين أبو الخير السخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تح: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1: 1405هـ - 1985م، ص512(814)؛ وعلاء الدين علي في كنز العمال، ج16، ص538 (45800)؛ وإسماعيل بن محمد بن عبد الهادي(العجلوني) في كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تح: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هندواوي، المكتبة العصرية، ط1: 1420هـ-2000م، ج1، ص308 (844). ويشهد للأثر رواية أخرى عن عمر رضي الله عنه: ((أخطأ عمر وأصابت امرأة)).

3 الأثر: رواه عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم في فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط)، 1415هـ، ص195؛ وأوردته علاء الدين علي في كنز العمال، ج12، ص661 (36010). ويشهد لهذه الرواية رواية أخرى عن عمر رضي الله عنه: ((متى استعبدتم الناس وقد ولدتم أمهاتهم أحراراً))، والتي أوردتها علوي بن عبد القادر السَّقَّاف في تخریج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط2: 1416هـ - 1995م، ص534.

4 ينظر: حرية التعبير عن الرأي الضوابط والأحكام، د/أسعد السحمراني، WWW.albaserah.com ، لوحظ بتاريخ: 2013/6/24م، سا:33:10.

حقه متى شاء. بمعنى أن حرية التعبير في الإسلام لا تخضع لرغبة صاحب الحق حتى تأخذ حكم المباح الذي يُخيَّر صاحبه بين إتيان حقه من عدمه، كما هو الحال في نظرة الغرب لحرية التعبير.

فالإسلام قد ارتقى بجرية التعبير إلى وصف الوجوب الذي لا اختيار معه لأحد، فهو مُلزم. يقول الغزالي رحمه الله: "حقوق الإنسان في الإسلام ليست منحة من ملك حاكم، قراراً صادراً عن سلطة محلية أو منظمة دولية، وإنما هي حقوق ملزمة بحكم مصدرها الإلهي، لا تقبل الحذف ولا النسخ ولا التعطيل، ولا يُسمح بالاعتداء عليها، ولا يجوز التنازل عنها".¹ وهذا الذي يميز النظرة الإسلامية عن النظرة الغربية في هذه المسألة، ذلك أنَّ النظرة الإسلامية هنا نابعة من تقدير ومراعاة لفطرة الإنسان من ناحية، ومراعاة لمصلحة المجتمع من ناحية أخرى.

ومما سبق انكشف جلياً أن حرية الرأي والتعبير بمختلف صورها قد سبق الإسلام إليها قبل أربعة عشر قرن، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على رقي دين الإسلام الذي أحرز سبق على المواثيق الدولية والقوانين الوضعية المنادية بجرية الرأي والتعبير، والتي لم تستطع إلى حدِّ الساعة الوصول إلى جميع الحريات التي قررها الإسلام، ووضع الضمانات الكفيلة لحفظها.

ومن هنا يمكنني القول دون أدنى تردد أن المواثيق الدولية والقوانين الوضعية فيما تنادي به من حقوق الإنسان وإعطاءها الأهمية والأولوية هي في الحقيقة عالية على الدين الإسلامي الذي سبقها لذلك، وفاقها في تغليظ عقوبة المعتدي على إحدى هذه الحريات، مما يدل دلالة ساطعة على القيمة العالية التي تحظى بها هذه الحريات في نظر الإسلام. وهل عرفت البشرية من تشريع ممنهج يحفظ حريات الإنسان على اختلافها كالذي جاء به الإسلام؟!.

إن الإسلام "ضرب أمثلة جليلة في الصفح والتعايش السلمي، وأعطى لغير معتنقيه من الحرمة

1 حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، محمد الغزالي، دار الهناء - الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص 206.

والحقوق ما لم يُعطه غيره من الأديان والأعراف".¹ وما أساس هذا الدين إلا الحرية، وتحرير الإرادة الإنسانية من الخضوع لكل ما سوى الله تعالى.

ودين الإسلام يدعو جميع الناس إلى أن يلتزموا التعامل فيما بينهم بالحرية وفق ضوابط بينها، حتى لا يبغى بعضهم على حرية بعض وإن اختلفوا في المعتقد والدين، كيف لا وهو دين لا يقهر أحداً على أتباعه ﴿قَسَّ شَاءَ قَلْبُومِنْ وَمَسَّ شَاءَ قَلْبِكُمْ﴾.² وهكذا تجد البشرية نفسها كلما ارتقت بأفكارها وتصوراتها نحو القيم الإنسانية العليا أنها تقترب من الإسلام، وإن عن غير قصد. لأنه دينٌ يشتمل على جميع الحقوق والحريات الإنسانية، ويكفل لها ضمانات راقية للغاية، فهو بحق مخلص الإنسانية من مشاكلها وأزماتها.

المطلب الثاني: ضوابط حرية التعبير في الإسلام.

إذا كان مصطلح الحرية ذا علاقة لا تنفك أبداً عن القيم الإنسانية والحضارية، فضلاً عن القيم الدينية، فإن الحرية المطلقة لا يمكن ممارستها أو تصورها في المجتمعات المتحضرة، أو على الأقل التي تزعم التحضر. حيث يستلزم الأمر وضع ضوابط تكفل تنظيم الحياة في هذه المجتمعات، وحرية التعبير إحدى هذه الحريات.

والإسلام حين شرع يؤسس لحرية التعبير حرص على أن يرسم منهجاً كي يؤدي كل فرد هذه الحرية مع ما يتوافق ويتوازن ومصصلحة الجماعة، ولعلَّ أهم نقاط هذا المنهج ما يلي:

أولاً: أن يكون القصد من التعبير مرضاة الله تعالى.³

1 من أساليب مواجهة الإسلام، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد السادس، (د.س)، 1398هـ-1989م، ص07.

2 سورة: الكهف، الآية: 79.

3 ينظر: مجمع الفقه الإسلامي: حرية التعبير عن الرأي لا تتضمن أي تحجم على الدين أو شعائره أو شرائعه أو مقدساته،

WWW.islam fep.com، لوحظ بتاريخ: 2013/06/02م، سا: 19:00.

لما كان المقصد من خلق الإنسان، وإخراجه للوجود هو عبودية الخالق سبحانه. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾¹ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ¹.¹ يقتضى الأمر أن تكون حرية التعبير التي أوجبها الإسلام مقيدة بضابط قصد مرضاة الله سبحانه، والتقرب إليه بهذا التعبير.

وهذا ضابطٌ جليل، إذ على إثره يغدو المعبر عن رأيه، المؤمن بربه قائلاً الحق أو ما يراه حقاً بصدقٍ وكمال. كيف لا وهو يعلم أن أساس قبول الأعمال هو قصد مرضاة الغني الحميد، علاوة على موافقة العمل للشرع.

فالعمل مرتبط بالنية، معتبرٌ بها انطلاقةً من المبدأ النبوي: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)).² ومن هنا قرر العلماء القاعدة الفقهية: [الأمر بمقاصدها]³، وهي من القواعد الخمس الكبرى والأساسية في علم أصول الفقه.

وبذا يتضح الإنسجام الكامل بين كون الإنسان حراً في اعتقاده وأقواله وأفعاله وبين كونه عبداً لله، مكلفاً من قبله بتنفيذ أحكام وتعاليم الدين.⁴ فحرية التعبير في الإسلام مرتبطة بالمقصد من إيجاد الإنسان، ومنضبطة بضوابط تحقيق هذا المقصد.

ثانياً: "أن لا تتضمن حرية التعبير عن الرأي أي تهجم على الدين أو شعائره أو شرائعه أو مقدساته".⁵

1 سورة: الذاريات، الآيات: 56-58.

2 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، ج01، ص06(01).

3 الأشباه والنظائر، تاج الدين السبكي، دار الكتب العلمية، ط1: 1411هـ - 1991م، ج01، ص54.

4 ينظر: الله أم الإنسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان؟، د/ محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر - سورية، دار الفكر المعاصر - لبنان، ط03: 1427هـ - 2006م، ص51.

5 مجمع الفقه الإسلامي: حرية التعبير عن الرأي...، (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

ليس للمعبر عن رأيه أن يمسَّ عقيدة الأمة، وأحكام الدين ومقدساته، وكل ذلك يجب توقيره واحترامه وصيانتها عمَّا لا يليق به. وقد حذر الإسلام من الإساءة إلى أي مقدس ديني، وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.¹ فالدعوة لاحترام المقدسات الدينية الأخرى أمر ظاهر في الآية.

كما يرشد الشارع إلى احترام جميع المقدسات الدينية وعدم الإساءة إليها في قوله: ﴿- اٰمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا اُنزِلَ اِلَيْهِ مِنْ رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلٌّ - اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُهْرِقُ بَيِّنًا اَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾.² حيث جعل من علامات الإيمان الحق الإيمان بالمقدسات الدينية السابقة.

وهذا المعنى أُلحِه أيضاً في قوله تعالى: ﴿اِنَّا اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ كَمَا اَوْحَيْنَا اِلَىٰ نُوْحٍ وَالتِّيِّبِيْنَ مِنْۢ بَعْدِهِ وَاَوْحَيْنَا اِلَىٰ اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَاَلْسَبٰطِ وَعِيْسَىٰ وَاَيُّوْبَ وَيُوْنُسَ وَهٰرُوْنَ وَسَلِيْمٰنَ وَاَتَيْنَا دَاوُدَ رٰبُوْرًا ﴿١٧١﴾ وَرُسُلًا فَاَفْضَلْنٰهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَفْضَلْنٰهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّٰهُ مُوسٰى تَكْلِيْمًا ﴿١٧٢﴾﴾.³

ورسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام دعا أصحابه وجميع أتباعه من بعده إلى احترام خصوصيات الآخر الدينية في مواقف عدة، منها ما رواه أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بينما يهوديٌّ يعرض سلعته، أعطي بها شيئاً كرهه، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجلٌ من الأنصار، فقام فطم وجهه، وقال: تقول: والذي اصطفى موسى على البشر، والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا؟ فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إن لي ذمَّةً وعهداً، فما بال فلانٍ لطم وجهي، فقال: ((لُم لطمت وجهه)) فذكره، فغضب النبيُّ صلى الله عليه وسلم حتى رُئي في وجهه، ثم

1 سورة: الأنعام، الآية: 109.

2 سورة: البقرة، الآية: 284.

3 سورة: النساء، الآيتان: 162، 163.

قال: ((لا تفضّلوا بين أنبياء الله...)).¹ ووجه الدلالة من الحديث: أن رسول الله عليه السلام نهي عن التفضيل بين أنبياء الله، وبمفهوم المخالفة: أمر باحترام جميع الأنبياء، ومن ثم احترام جميع المقدسات الدينية التي تعظم هؤلاء الأنبياء.

وما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيوشه قال: ((... لا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع)).² ووجه الدلالة من الحديث: أن النبي عليه الصلاة والسلام نهي أصحابه عن الإساءة لمقدسات الآخر، حيث قتل أصحاب الصوامع داخل صوامعهم فيه معنى انتهاك حرمة هذه الصوامع المقدسة في نظر الرهبان، ناهيك عن أن لا مسوّغ لقتلهم، فلا بالمخربين هم، ولا يستعان بهم على الحرب ضد المسلمين.

وسار على نهج النبي الأمين عليه السلام صحابته الكرام عليهم الرضوان، وبكفي للتدليل على ذلك هذان الموقفان من سيرة الخلفاء الراشدين.

فقد ثبت قول خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول لجيش أسامة رضي الله عنهما: ((سوف تمّرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له...)).³

كما معاهدة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل فلسطين، والتي جاء فيها: ((بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا

1 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وإن يونس لمن المرسلين}، ج4، ص159(3414).

2 الحديث: رواه أحمد في مسنده، ومن مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب...، ج4، ص461 (2728)؛ والبيهقي في سننه الكبرى، كتاب السير، باب ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرهما، ج9، ص154(18154)؛ وقال محمد الشوكاني في نيل الأوطار، تح: عصام الدين الصبايطي، دار الحديث - مصر، ط1: 1413 هـ - 1993 م. قال: والحديث... مُعْتَصِدٌ بالقياس على الصبيان والنساء بجماع عدم النفع والضرر وهو المناط. ج7، ص292.

3 الأثر: أورده الطبري في تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص227؛ ورواه ابن عساکر في تاريخ دمشق، ج02، ص50.

تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم...¹ وبذا تبين نهي الشارع عن الإساءة لمقدسات الآخر، هذا من جهة. ومن أخرى تجدد نهي الشارع عن الإساءة للمقدسات الإسلامية في مواضع عدة، ويتوعد فاعلها أشد العقاب، منها قول الحق جلّ وعلا: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ لَيَفُولَنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ فَلَئِذَا جَاءَ بِرَأْسِهِ وَرَأَى الْمُلُوكَ وَالْكَافِرِينَ لِيَقُولَ لَا مَحَافَظَ لَنَا مِنَ الْكَافِرِينَ وَكَانُوكُمْ أُولِي الْأَعْيُنِ فَأَعْتَذَرُوا سَاعَةً لَعَلَّهُمْ يَسْتَهْزِءُونَ﴾² وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِالْيَوْمِ الَّذِي نُنسِبُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾³ وقال: ﴿وَلَيْسَ آخِزْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيْفُولَنَّ مَا يُخْبِسُهُمْ أَلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوبًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾⁴ كما قال سبحانه أيضاً: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾⁵ وقال في نفس السورة: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾⁶ وهو القائل أيضاً: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِّن آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًّا أُوَلِّيكَ لَهُمُ

1 الأثر: أورده الطبري في تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص609؛ و د/محمد سهيل طقوش في تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، ط1: 1424هـ - 2003م، ص274؛ ومحمد عبد الله عنان في دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط4: 1417هـ - 1997م، ج01، ص56.

2 سورة: التوبة، الآيتان: 65، 66.

3 سورة: الأعراف، الآية: 50.

4 سورة: هود، الآية: 08.

5 سورة: الأنعام، الآية: 06.

6 سورة: الأنعام، الآية: 11.

عَذَابٌ مُّهِينٌ¹. وقال في نفس السورة: ﴿ذَالِكُمْ بِأَنكُم بِأَنكُمُ إِن تَخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِأَلْيَوْمٍ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ²﴾. والمستفاد من جميع هذه الآيات الكريمة هو ذم المولى تبارك وتعالى للمستهزئين بالدين ومقدساته، وتوعده أشد العذاب لمن يقترب ذلك. ومعلوم أن الذم مشعرٌ بقصد الشارع إلى المنع من إيقاع المذموم، كما هو مقرر عند علماء الأصول.

هذا وقد وجد في السنة النبوية أيضاً ما يفيد هذا المعنى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((قال الله «كذبي ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أبي لا أقدر أن أُعيدَه كما كان، وأما شتمه إياي، فقله لي ولدٌ، فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولداً»)).³

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله أيضاً: ((قال أبو لهب عليه لعنة الله للنبي صلى الله عليه وسلم: تباً لك سائر اليوم، فنزلت: {تبت يدا أبي لهبٍ وتب})).⁴ وعن علي رضي الله عنه، ((أن يهودية كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه، فحنقها رجلٌ حتى ماتت، فأبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم دمها)).⁵

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تسبوا أصحابي

1 سورة: الجاثية، الآية: 08.

2 سورة: الجاثية، الآية: 34.

3 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب {وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه}، ج 06، ص 19 (4482).

4 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ذكر شرار الموتى، ج 2، ص 104 (1394).

5 الحديث: رواه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم، ج 04، ص 129

(4362)؛ والبيهقي في سننه الكبرى، كتاب النكاح، باب استحابة قتل من سبه أو هجاه، ج 07، ص 96 (13376)؛ وقال

محمد ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت،

ط 02: 1405 هـ - 1985 م. قال: إسناده صحيح على شرط الشيخين. ج 5، ص 91.

، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ، ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدِهِمْ، ولا نصيفه))¹. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر، وأنا الدهرُ، بيدي الأمرُ أُقَلِّبُ الليل والنهار))².

ومما سبق ظهر أن الإسلام منع الإساءة للمقدسات الإسلامية، واعتبر من يقترف ذلك كافراً. وهذه مسألة من المسائل التي انعقد الإجماع على كفر فاعلها، فقد نُقل عن اسحاق بن راهويه قوله: "و قد أجمع المسلمون أن من سب الله عز وجل أو سب رسوله صلى الله عليه وسلم أو دفع شيئاً مما أنزل الله تعالى أو قتل نبياً من أنبياء الله تعالى أنه كافر بذلك وإن كان مقرر بكل ما أنزل الله"³.

ثالثاً: "الإلتزام بالمسؤولية"⁴.

نبه الله تعالى عباده إلى أن الإنسان مسؤول عما يبيده من آراء، يظهر ذلك في مواطن عدة من

القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿مَا يَلْمِزُكَ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَفِيبٌ عَتِيدٌ﴾⁵ وقوله أيضاً: ﴿وَلَا تَفُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾⁶ وقوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْفَيْمَةِ فَلَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَبِئَ بِنَا حَلِيبِينَ﴾⁷ وقوله: ﴿بِمَنْ يَّعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾⁸

1 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لو كنت متخذاً خليلاً))، ج05، ص 08 (3673).

2 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب {وما يهلكنا إلا الدهر}، ج06، ص133 (4826).

3 الإستدكار، أبو عمر يوسف القرطبي، تح: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط01: 1421هـ-2000م، ج02، ص150.

4 مجمع الفقه الإسلامي: حرية التعبير عن الرأي...، (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

5 سورة: ق، الآية: 18.

6 سورة: الإسراء، الآية: 36.

7 سورة: الأنبياء، الآية: 47.

وَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ¹. وقال عز من قائل سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾². وقال: ﴿وَيَقُولُونَ يَتَوَلَّوْنَا مَا لَ هَذَا أَلَكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أُخْصِيهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾³. وكما في قوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾⁴. وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾⁵. إلى غيرها من الآيات الكريمة التي تفيد معنى أن الإنسان مسؤول عن آرائه التي يبدئها، وانطلاقاً من هذا التكليف بتحمل المسؤولية يترتب الجزاء.

كما نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا المعنى بقوله: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يُلقى لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يُلقى لها بالاً، يهوي بها في جهنم)).⁶ وقال أيضاً: ((من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عملٌ صالحٌ أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسناتٌ أخذ من سيئات صاحبه فحُمِلَ عليه)).⁷ فتبين أن الظالم مسؤول عن ظلمه وعدوانه، وإلا كيف يحاسب على شيء غير مسؤولٍ عنه.

وفي موضع آخر قال عليه الصلاة والسلام: ((لتؤدَّنَ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقَادَ للشاة

1 سورة: الزلزلة، الآيتان: 9، 8.

2 سورة: الجاثية، الآية: 20.

3 سورة: الكهف، الآية: 48.

4 سورة: غافر، الآية: 16.

5 سورة: النساء، الآية: 40.

6 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ج 08، ص 101 (6478).

7 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له، ج 3، ص 129

(2449).

الجلحاء، من الشاة القرآن)).¹ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)).² وهو القائل أيضاً: ((... وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)).³ ويستفاد من جميع هذه الأحاديث أن الإنسان مسؤول أمام الله تعالى عن جميع تصرفاته دقها وجلها، وحرية التعبير إحداها، وإلا لما توعدده الشارع بالحساب والجزاء.

فالإنسان قبل أن يعبر عن رأيه يجب عليه أن يمر بعملية تفكير وموازنة، لأنه مسؤول عن جميع تصرفاته. والسعادة الإنسانية تقتضي تنظيم المسؤولية، وأن يكون كل فرد في المجتمع مسؤولاً عن أقواله وأفعاله، باعتبار أن المسؤولية الفردية هي أساس المسؤولية الجماعية، ومن ثم يحق لهذه الجماعة أن تنشُد الرقي والتعاون الإنساني.

ومتى انعدم تحمل المسؤولية انعدم الإلتزام، الأمر الذي يأتي على الحرية ذاتها فيهدمها.⁴ ومن ثم يضيع العباد، وتخرب البلاد.

وهكذا نجد الإسلام يعمل على تحقيق مبدأ المسؤولية الفردية وإقرارها، وهو بذلك يدعو لإيجاد ضمانات كفيلة بحماية الحقوق والحريات الإنسانية، عن طريق منع الإضرار بالآخرين انطلاقاً من العقاب المزدوج الموجود في النظام الإسلامي، والذي يشكل خير زاجر وراوع للفرد المعتدي على غيره. حيث يُحمّل الفرد المسؤولية الجزائية بتطبيق العقاب في الدنيا بالحدود والتعازير، ثم بالوعيد بالعذاب الأليم في

1 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج4، ص1997 (60).

2 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ج8، ص100 (6475).

3 الحديث: رواه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان عن رسول الله، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ج4، ص308 (2616)،

وقال: هذا حديث حسن صحيح.

4 ينظر: خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، د/ فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، ط02: 1434هـ-2013م، ص

الآخرة.¹ الأمر المفقود في القوانين الوضعية، فكان ما تعيشه الإنسانية من اعتداء على حقوق الإنسان.

ومن هنا فإن التعبير عن الرأي مجرداً عن المسؤولية الزاجرة الرادعة مفسدةٌ للمعاملات والأخلاق، تتناقض ومصالح المجتمع واستقراره بشدة، كما لا تمت للتحضر بصلة، إنما هي سلبية ونقيصة تأتي على المجتمعات بالضرر والفساد.

رابعاً: أن لا يكون الرأي المعبر عنه بدعة.

إنه وعلى الرغم من أن البدعة أقسام ثلاثة: حسنة ومدمومة ومباحة، حيث الحسنة هي مما يندرج تحت الشرع، وبذلك فهي منه. أما المدمومة فهي الداخلة في ما نهي الشرع عنه. وتبقى المباحة التي لم ينص الشارع عن العمل بها ولا النهي عنها.² إلا أن المقصود في مسألتنا هذه هو البدعة الداخلة في القسم الثاني (المنهي عنه) وذلك بالزيادة أو النقصان في الدين مما ليس منه، وإن ظنَّ صاحبها أنها تقربه إلى الله زلفى.

ومن الأدلة على نهي الشارع عن هذا القسم من البدع، قول الحق تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ بِأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.³ فالله تعالى قرن متبع التأويل بمتبغى الفتنة في الذم، وجعل تأويله هذا علامة على زيغه،

1 ينظر: القانون الدولي الإنساني...، د/ وهبة الزحيلي، ص48 (مرجع سابق).

2 ينظر: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، د/ سعدي أبو حبيب، دار الفكر - سورية، ط02: 1408هـ-1988م، ص32.

3 سورة: آل عمران، الآية: 07.

فدل على حرمة هذا التأويل.¹

كما ذم الله سبحانه أهل البدع في قوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.² قال الواحدي: "ابتدعوا رهبانية، أي: جاءوا بها من قبل أنفسهم... وتلك الرهبانية: غلوهم في العبادة، من حمل المشاق على أنفسهم في الامتناع عن المطعم، والمشرب، والملبس، والنكاح، والتعب في الجبال"³.

وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خطر البدعة بقوله: ((أنا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلِيرْفَعَنَّ مِنِّي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لِيُخْتَلَجَنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ)).⁴ وهو القائل: ((أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)).⁵ وحذر أيضاً بقوله: ((من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)).⁶

وبين عليه السلام أن عمل المبتدع مردودٌ غير مقبول بقوله: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو ردٌّ)).⁷ وفي المقابل مدح عليه الصلاة والسلام أولئك الذين يجارون البدع ويبيئون خطرهما للناس،

1 ينظر: تحريم النظر في كتب الكلام، أبو محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي، تح: عبد الرحمان بن محمد سعيد، عالم الكتب - السعودية، ط1: 1410 هـ - 1990 م، ص50.

2 سورة: الحديد، الآية: 26.

3 الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية - لبنان، ط1: 1415 هـ - 1994 م، ج4، ص254.

4 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ج8، ص119 (6576).

5 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ج2، ص592 (43).

6 الحديث: رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب لزوم السنة، ج4، ص201 (4609)؛ والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع، ج04، ص340 (2674)، وقال الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيح.

7 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحو على صلح جور...، ج03، ص184 (2697).

لَمَّا وصفهم بالعدول، فقال: ((يرث هذا العلم من كل خلفٍ عدوله، ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين)).¹ وبذا تبين خطر البدعة ومآل صاحبها إن لم يتب، وذلك خطر آخر، حيث يرجع العصي عن معصيته لعلمه أنه قد عصى، ويظل المبتدع قائماً على بدعته لظنه أنه على صواب، فيغدو مبتعداً متخلياً عن المهمة التي تشرفَّ بحملها، ألا وهي خلافة الله في أرضه.

خامساً: "أن يكون الرأي المعبر عنه مستنداً إلى مصادر موثوقة"².

وهذا الضابط يضمن ابتعاد صاحب الرأي عن الخوض في الباطل بسبب الظنون والأوهام، ومن ثمَّ يتعد به عن الترويج للإشاعات التي ليست من الحق في شيء. ولدرء أخطار هذا الترويج، وما ينتج عنه من آثار سلبية ينبه الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ قَاسٍ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.³ يقول الصابوني في تفسير هذه الآية: "تنتقل السورة لتقرير دعائم المجتمع الفاضل، فتأمر المؤمنين بعدم السماع للإشاعات، وتأمر بالثبوت من الأنباء والأخبار، لا سيما إن كان الخبر صادراً عن شخص غير عدل أو شخص متهم، فكم من كلمة نقلها فاجر فاسق، سببت كارثة من الكوارث، وكم من خبر لم يتثبت منه سامعه، جر وبالاً، وأحدث إنقساماً".⁴

كما أُلِّس توجيه الله تعالى عباده إلى الثبوت في نقل الأخبار، في قوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَا

1 الحديث: رواه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب الشهادات، باب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل...، ج10، ص353 (2011)؛ و صححه محمد بن عبد الله التبريزي في مشكاة المصابيح، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط03: 1985م، ج01، ص82 (248).

2 مجمع الفقه الإسلامي: حرية التعبير...، (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

3 سورة: الحجرات، الآية: 06.

4 صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني، (د.ط)، (د.ت)، ج03، ص241.

أَلْفَبَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتُمْ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ﴿١﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تَطِيعَ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾²، حيث نبه سبحانه إلى أن اتباع الظن يورث الكذب والضلال.

وإلى خطورة القول بلا تثبت نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث عدة، منها قوله: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق)).³ وقوله عليه السلام: ((كفى بالمرء كذباً أن يُحدث بكل ما سمع)).⁴ وقوله أيضاً: ((إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث)).⁵

ونقل عن المهلب قوله في تفسير هذا الحديث: "فهذا الظن... ليس هو الاجتهاد على الأصول وإنما هو الظن المنهي عنه في الكتاب والسنة مثل ما سبق إلى المسئول من غير أن يعلم أصل ما سُئِلَ عنه في كتاب الله أو سنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) أو أقوال أئمة الدين. وأمّا إذا قال وهو قد علم الأصل من هذه الثلاثة فليس بظان وإنما هو مجتهد. والاجتهاد سائغ على الأصول".⁶ فالفرق بين أهل العلم (المجتهدين) وبين أهل الأهواء يكمن في أنّ أهل العلم يتحرون الحقيقة، ويستندون إلى مصادر موثوقة، وبالرغم من كل هذا فإنهم لا يجزمون بالقطع فيما توصلوا إليه واستنبطوه. ومتى ظهر لهم الحق اتبعوه وانقادوا له، على العكس تماماً من حال أهل الأهواء الذين يجزمون بالقطع في آرائهم، على

1 سورة: النساء، الآية: 93.

2 سورة: الأنعام، الآية: 117.

3 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ج8، ص100 (6477).

4 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ج1، ص10 (5).

5 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح، ج7، ص19 (5143).

6 شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، ط02: 1423هـ.

2003-م، ج8، ص343.

الرغم من بُعدها عن الأدلة الموثوقة. وما ذاك سوى علامة على اتباع الهوى والضلال.¹ والإسلام حذر من اتباع الهوى لأنه يصدّ عن تحري الحقائق، ومن ثم يؤول إلى مفسد وأضرار يتعذر حصرها، فالإنسان مسؤول ومطالبٌ بالتحري قبل أن يبدي رأيه ويعبّر عنه.

سادساً: إلتزام "الموضوعية ولزوم الصدق والنزاهة والتجرد عن الهوى"².

لا ينبغي أن يكون همّ المعبر عن رأيه الجري خلف الأغراض والمصالح الشخصية مجانباً الصواب، محيداً عن الحق، فيعبث في التعبير، وإن كان على حساب الحقيقة والثواب والقيم.

والآيات القرآنية صريحة في إثبات هذا الضابط، منها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.³ وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾⁴، فالآية الأخيرة بينت أمر الله سبحانه لعباده المؤمنين بإقامة العدل، وأن لا يميلوا عنه. كما بيّنت أن اتباع الهوى سببٌ مباشر في البعد عن العدل والموضوعية، وذاك إعراضٌ عن الحق.

كما نبه المولى جل جلاله عباده الذين ءامنوا إلى أن الموضوعية ولزوم الصدق والنزاهة لا تجتمع واتباع الهوى بحال. ظهر ذلك في نصوص قرآنية عدة، منها قوله عز شأنه: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ بِأَحْكَمِ بَيْنِ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىَّ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.⁵ والمعنى: أحكم يا داود بالعدل

1 ينظر: القواعد النورانية الفقهية، تقي الدين بن تيمية، تح: د/أحمد بن محمد الخليل، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية، ط 1 : 1422هـ، ص 187.

2 مجمع الفقه الإسلامي: حرية التعبير...، (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

3 سورة: المائدة، الآية: 09.

4 سورة: النساء، الآية: 134.

5 سورة: ص، الآية: 25.

ولا تَمَلْ إلى الهوى فتضل طريق الله السوي. ومعلومٌ أن [العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب]¹، فيعمّ المعنى داود وغيره.

كما صرحت آيات أخر بنبذ الهوى، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوِيَهُ يَغْيِرْ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾².

ولأن الكذب هو: البُعد عن الموضوعية وقول الحق إلى تقوُّل الباطل والبهتان.³ حذر الله منه، كما في قوله: ﴿نَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾⁴ وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾⁵ وجميع ذلك من كذب وافتراء واتباع هوى أراه يصب في معنى البعد عن الموضوعية والنزاهة في قول الحقيقة.

وإلى نفس المعنى المستفاد من الآيات السابقة، الذي يدور حول نبذ الشارع الحكيم لكل ما يؤول إلى البعد عن الموضوعية وقول الحقيقة، يستفاد أيضاً من النصوص النبوية الآتي ذكرها: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا أُوْتِمِنَ خان، وإذا وعد أخلف)).⁶ وفي بيان أنّ اتباع الهوى سببٌ للميل عن الموضوعية والحق، وأن مؤداه الظلم والجور، يقول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الحق تعالى: ﴿قَلَّا تَتَّبِعُوا

1 المحصل، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، تح: د/ طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ط3: 1418هـ-1997م، ج04، ص57.

2 سورة: القصص، الآية: 50.

3 ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد، ج1، ص254 (مرجع سابق).

4 سورة: النساء، الآية: 49.

5 سورة: يونس، الآية: 69.

6 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، ج03، ص180 (2682).

أَلْهَوَىٰ أَوْ تَعَدَّلُوا¹ قال: ((فَتَدَرُوا الْحَقَّ فَتَجُورُوا)).² لذا اعتبر عليه السلام اتباع الهوى والبعد عن الموضوعية من المهلكات، فقال: ((وأما المهلكات، فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه)).³

وبذا يساهم هذا الضابط في الرقي بالإنسان ليصل به نحو تحقيق المقصد من إيجاده في هذه الحياة، حيث أن الإنسان يحمل مجموعة من الميول والأهواء والرغبات، وهذه الرغبات تحتاج إلى تقييد حتى لا تُفسد الإنسان، فيعتدي على نفسه قبل أن يعتدي على الآخرين، ويلقي بها أسفل سافلين.

سابعاً: "أن تكون وسيلة التعبير عن الرأي مشروعاً"⁴.

لما كان التعبير عن الرأي لا يتم إلا بسلوك وسائل، فلقد راعى الإسلام المشروعية في هذه الوسائل، وجعلها منضبطة بها، وبناءً عليه فإن كل وسيلة خالفت نصاً شرعياً أو مقصداً كلياً فإن الإسلام يجرّمها.

والمتأمل في النصوص الشرعية يجد ما يثبت ذلك، فعن ابن عمر رضي الله عنه كان يقول: ((كان

1 سورة: النساء، الآية: 134.

2 الحديث: رواه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب الشهادات، باب ما يجب على المرء من القيام بشهادته، ج10، ص267 (20590). وأوردت الحديث لأبي وجدت معناه في أحاديث أخر، منها: ((...بئس العبدُ عبدٌ هوى يُضِلُّه...)) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (لم يذكر له عنوان)، ج4، ص213 (2448)؛ وحديث: ((إنَّ مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى)). رواه أحمد في مسنده، مسند البصريين، حديث أبي برزة الأسلمي، ج33، ص18 (19773)، قال محقق المسند: رجاله ثقات رجال الصحيح.

3 الحديث: رواه البزار في مسنده، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، ج13، ص486 (7293)؛ وأبو بكر بن أبي شيبة في الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط1: 1409هـ، كتاب الفتن، ما ذكر في فتنة الدجال، ج07، ص503 (37572). وأوردت الحديث لأبي وجدت طرقاً أخرى تقويه، كالذي رواه الطبراني في معجمه الأوسط: ((ثلاثٌ مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه))، باب الميم، من اسمه: محمد، ج5، ص328 (5452).

4 مجمع الفقه الإسلامي: حرية التعبير... (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحننون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتَّخَذُوا نَاقُوساً مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود. فقال عمر: أولاً تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا بلال، قُمْ فنادِ بالصلاة)).¹

ووجه الدلالة من الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ وسيلة (الأذان) تخالف الوسيلتين اللتين عرضها أصحابه الكرام، لِمَا فِيهِمَا مِنَ التَّشْبِهِ بِالنَّصَارَى وَالْيَهُودِ. كيف لا وهو عليه السلام من أمر بمخالفتهم في مواضع عدة، منها قوله: ((خالفوا اليهود والنصارى، فإنهم لا يُصلون في خفافهم، ولا في نعالم)).² وبمفهوم المخالفة إن الشرع الحنيف يجيز استعمال أي وسيلة ما لم تخالف نصوصه ومقاصده، ويعتبرها من قبيل العادات التي يسوغ للناس الاجتهاد فيها. وقد قرر علماء الإسلام قاعدة: [الأصل في العادات الإباحة إلا ما ورد عن الشارع تحريمه].³ قال الشاطبي رحمه الله: "والتبليغ كما لا يتقيد بكيفية معلومة، لأنه من قبيل المعقول المعنى، فيصح بأي شيء أمكن من الحفظ و التلقين والكتابة وغيرها".⁴

وإذا تبين أن وسائل التعبير عن الرأي توفيقية اجتهادية، فإن للمسلم أن يعبر عن رأيه بجميع الوسائل القولية منها والفعلية، حيث يدخل في الوسائل القولية: وسائل مرئية تتمثل في التلفزيون والقنوات الفضائية. كما أعدُّ الإشارة هي الأخرى وسيلة مرئية مشروعة للتعبير عن الرأي، فكيف وقد وُجِدَ ما يدعمها في الشرع. حيث قَبِلَ عليه السلام إشارة الجارية في الحديث الآتي بيانه، وحكم بإثبات عقيدة

1 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب بدء الأذان، ج1، ص124 (604).

2 الحديث: رواه ابن حبان في صحيحه، باب المساجد، ذكر الأمر بالصلاة في الخفاف والنعال، ج5، ص561 (2186)؛

والبيهقي في سننه الكبرى، كتاب الصلاة، باب سنة الصلاة في النعلين، ج2، ص605 (4257)؛ وقال الحاكم في المستدرک: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يُجرحه. ج1، ص391 (956).

3 رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة، عبد الرحمان بن ناصر آل سعدي، قيدها واعتنى بأصلها: أبو الحارث نادر التعمري، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان، ط1: 1418هـ-1997م، ص106.

4 الإعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، تح: د/محمد بن عبد الرحمان الشقيير، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية، ط1: 1429هـ-2008م، ج1، ص318.

الإيمان لها. فعن أبي هريرة، أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجارية سوداء، فقال: يا رسول الله، إن علي رقبة مؤمنة، فقال لها: ((أين الله؟)) فأشارت إلى السماء بأصبعها، فقال لها: ((فمن أنا؟)) فأشارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى السماء يعني أنت رسول الله، فقال: ((أعتقها فإنها مؤمنة)).¹

وكما في رواية أنس رضي الله عنه قال: ((خرجت جارية وعليها أوضاع، فأخذها يهودي فرضخ رأسها بحجرٍ، وأخذ ما عليها من الخلي، قال: فأدركت وبها رمق، فأتي بها النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: من قتلِك، أفلان؟، قالت برأسها: لا، قال: ففلان؟ حتى سُمي اليهودي، فقالت برأسها: نعم، قال: فأخذ، فاعترف، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضخ رأسه بين حجرين)).²

ووجه الدلالة من الحديث أنه عليه السلام اعتبر إشارتها، وكانت طريقاً لاعتراف اليهودي، ومن ثمَّ إلى تنفيذ الحكم، ما دام لا يوجد وسيلة غيرها. فالإشارة هي وسيلة للتعبير عن الرأي لمن لا يفهم ولا يفهم إلا بها.

أما عن تلك الوسائل الفعلية: فأقصد بها الوسائل المقروءة (مكتوبة) كالصحف والمجلات والدوريات. كما أعدُّ المقاطعة الإقتصادية داخلية ضمن الوسائل الفعلية المستعملة في التعبير عن الرأي.

وعلاوة على هذا وذاك فإن للمرء أن يسلك وسائل تجمع بين القول والفعل من أجل تعبيره عن رأيه، كالتظاهرات التي ينادى فيها بشعارات، وكالأنترنت (شبكات التواصل الإجتماعي)، والهواتف

1 الحديث: رواه أبو داود في سننه، كتاب الإيمان والندور، باب في الرقبة المؤمنة، ج3، ص230 (3284)؛ والبيهقي في سننه الكبرى، كتاب الظهار، باب إعتاق الخرساء إذا أشارت بالإيمان وصَلَّت، ج07، ص637 (15268)؛ وقال شمس الدين أبو عبد الله الذهبي في مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي، حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط2: 1412هـ - 1991م. قال: أصل الحديث صحيح... بلفظ "قالت في السماء" مكان "فأشارت إلى السماء". ج1، ص265.

2 الحديث: رواه الترمذي في سننه، كتاب الديات، باب ما جاء فيمن رُضخ رأسه بصخرة، ج03، ص67 (1394)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

النقالة.

وخلاصة القول في هذا الضابط، أن للمسلم أن يسلك أياً من الوسائل المذكورة سالفاً، بحسب ما يراه الأنسب لإبلاغ رأيه، ما لم تخالف الشرع، وبالأسلوب الحسن الذي قرره المبدأ الرباني ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾¹.

ثامناً: "عدم الإساءة للغير بما يمسه حياته أو عرضه أو سمعته أو مكانته الأدبية."²

لما كان كل إنسان يعيش في جماعة يؤثر فيها، ويتأثر بها، وقد يحدث وأن تتعارض المصالح، فيقع الظلم والإساءة. من هنا كان لابد من مراعاة مقتضيات مصلحة الفرد و الجماعة، كي لا يبغى طرف على طرف، ولا يتضرر أياً منهم بأية صورة من صور الإساءة و الضرر - مادية كانت أو معنوية- فيتحقق الاستقرار والأمن داخل الجماعة.

وقد نهي الاسلام في نصوص عدة عن الإساءة للغير بأي شكل من الأشكال، من ذلك النهي عن الإساءة لحياة الغير. كما في قول اللطيف الخبير: ﴿وَلَا تَفْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾³ وقوله: ﴿مِنَ آجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ بِسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾⁴ وقوله أيضاً: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَبْهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ بِفِتْرَاءٍ عَلَىٰ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾⁵.

1 سورة: النحل، الآية: 125.

2 مجمع الفقه الإسلامي: حرية التعبير...، (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

3 سورة: الأنعام، الآية: 152.

4 سورة: المائدة، الآية: 34.

5 سورة: الأنعام، الآية: 141.

ونهى الشارع الحكيم عن الإساءة لعرض الغير، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْقَبْسِفُونَ ﴿١﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.¹ وقال تعالى في نفس السورة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ إِذْ غَبَيْتِ لَمْؤَمِنَتٍ لَعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.² إلى غيرها من الآيات التي يظهر فيها نهي تعالى عن الإساءة لأعراض الآخرين.

أما عن نهي سبحانه عن الإساءة لسمعة الآخرين ومكانتهم الاجتماعية، فمن ذلك قول الحميد المجيد: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ بِيَسِّ الْأَسْمَاءِ الْقُبُوفِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.³ فنهي المؤمنون عن السخرية واللمز والتنابز باللقاب، لأن ذلك يسوء الإنسان ويغضبه، واعتبر الشرع جميع ذلك من الفسوق.

كما حذر سبحانه من الهمز والسعي بين الناس بالنميمة وكل ما يزرع الإنسان أو يشينه، كما في قوله جلَّ وعلا: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.⁴ وفي قوله: ﴿هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾^٥ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ.⁵ والهماز هو من يغتاب الناس ويذكرهم بما يكرهون، فيطعن فيهم وينتقصهم. وكذا المشاء بالنميمة، باعتباره ينقل كلامهم من بعض الناس إلى بعض آخر، هو يطعن في أعراض الناس ومكانتهم.⁶

1 سورة: النور، الآيتان: 4، 5.

2 سورة: النور، الآية: 23.

3 سورة: الحجرات، الآية: 11.

4 سورة: الهمزة، الآية: 01.

5 سورة: القلم، الآيتان: 11، 12.

6 ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ج 23، ص 534 (مرجع سابق).

كما ورد النهي عن انتقاص مكانة الآخرين في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَلْحَسْرَتِي عَلَى مَا بَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾.¹ وفي قوله أيضاً: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٦﴾ أَتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾.² وفي قوله سبحانه: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾.³ وفي قوله: ﴿بَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرَهُ وَكُنْتُمْ مِنَّهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.⁴ إلى غيرها من الآيات الدالة عن نهيه تعالى عن الإساءة للآخرين بما يمسُّ حياتهم أو أعراضهم أو مكانتهم.

وهذا النهي ملحوظ أيضاً في الأحاديث النبوية، منها قوله عليه السلام في حجة الوداع: ((إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، بينكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليلغ الشاهد الغائب، فإنَّ الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه)).⁵ وقوله: ((بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ، دمه، وماله، وعرضه)).⁶ وقوله أيضاً: ((أتدرون ما المفلس؟)) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: ((إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فُتيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم تُرَّح في النار)).⁷ واتضح من جميع ذلك أن الشرع يقصد إلى تحقيق حفظ

1 سورة: الزمر، الآية: 53.

2 سورة: ص، الآيتان: 61، 62.

3 سورة: الصافات، الآية: 12.

4 سورة: المؤمنون، الآية: 111.

5 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((رُبَّ مَبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ))، ج1، ص24 (67).

6 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ج4، ص1986 (32).

7 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج4، ص1997 (59).

حياة الإنسان وحفظ عرضه...، بدفع ما يهدد ذلك من أضرار.

تاسعاً: " أن لا تؤدي حرية التعبير عن الرأي إلى الإخلال بالنظام العام للأمة وإحداث الفرقة بين المسلمين".¹

نهي المولى عز شأنه عن ما يؤدي إلى الإخلال بنظام الأمة في مواضع عدة، منها قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصِيكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.² وقد فسرت الآية بالحديث الذي رواه أبي وائل، عن عبد الله، قال: ((خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأ بيده، ثم قال: "هذا سبيل الله مستقيماً"، قال: ثم خط عن يمينه، وشماله، ثم قال: "هذه السُّبُل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه"، ثم قرأ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ))³.

ووجه الدلالة من الحديث: أن التفرق في كثرة السبل ضلال، لأنها سبل الشيطان. واتباع السبيل الواحد الذي يجمع المؤمنين فلاح، لأنه سبيل الله وهدية المستقيم.

كما حذر تعالى في نصوص عدة من كل فعل أو قول مآله تفرقة المسلمين، وزعزعة النظام الذي يجمعهم. منها قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.⁴ فقد "توعد الله من حاد عن جادة الاستقامة، فأعلمهم أنكم إن ملتم عن الحق، وابتعدتم عن صراط الله وهو الإسلام، بعد ما جاءكم الآيات الواضحات والحجج البينات القاطعات، وسرتم في طريق الشيطان، طريق الخلاف والنزاع والتفريق، فإن الله عزيز لا

1 مجمع الفقه الإسلامي: حرية التعبير لا تتضمن... (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

2 سورة: الأنعام، الآية: 154.

3 الحديث: رواه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، ج7، ص436(4437)؛ وقال الحاكم في

المستدرک: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ج2، ص348(3241).

4 سورة: آل عمران، الآية: 105.

يُغلب... لا يعجزه الانتقام منكم، حكيم في صنعه، لا يهمل المذنب، وإنما يعاقبه ويؤاخذه في الدنيا والآخره¹. والمبلغ عن ربه عز وجل نبه أمته إلى خطورة الفرقة والإخلال بالنظام العام للمسلمين، فقال عليه السلام: ((عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد مجبوحة الجنة فليلزم الجماعة)).² وقال أيضاً: ((يد الله على الجماعة، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض)).³ وبذا تبين أن الإخلال بالنظام العام للأمة وتفرقة المسلمين مفسدة أكبر من المصلحة التي قد ترجى من التعبير عن الرأي، فينبغي تحكيم قاعدة: [دفع المفسد مقدم على جلب المصلح].⁴ كما تحكم القاعدة الفقهية التي تنص على أن: [الضرر الأشد يُزال بالضرر الأخف]⁵ متى نظرنا إلى أن الامتناع عن التعبير عن الرأي ضرر ومفسدة، لأنه يصير ضرراً خفيفاً إذا ما قورن بحجم الضرر المترتب على تشتيت المسلمين والإخلال بنظامهم العام، معترضاً نمو المجتمع وازدهاره.

وخلاصة ما يمكن قوله في هذه الضوابط: أن الإسلام وضع لحرية التعبير ضوابطاً يعلم الناس من خلالها معنى الحرية، وكيفية ممارستها بعد أن أوجب التعبير ولم يكتف بجعله حقاً فحسب، لتسعد الإنسانية بحرية التعبير. وهذه مسألة من بحر المسائل التي كلما سلط الضوء عليها أثبتت أن الإسلام فيه خلاص العالم مما تخبط ويتخبط فيه الناس من فوضى وفساد، وأنه الدين الصالح لكل زمان

1 التفسير المنير ...، د/ وهبة الزحيلي، ج02، ص236 (مرجع سابق).

2 الحديث: رواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب جاء في لزوم الجماعة، ج04، ص35 (2165)، وقال: هذا حديثٌ

حسن صحيح غريب من هذا الوجه... وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

3 الحديث: رواه النسائي في سننه الصغرى، كتاب تحريم الدم، باب قتل من فارق الجماعة...، ج07، ص92 (4020)؛ وابن

حبان في صحيحه، باب طاعة الأئمة، ذكر إثبات معونة الله جلَّ وعلا الجماعة، ج10، ص438 (4577)؛ ويشهد له ما رواه

الطبراني في معجمه الكبير ((يد الله على الجماعة والشيطان مع من خالف الجماعة يركض))، باب العين، من اسمه عرفجة بن

ضريح الأشجعي، ج17، ص145 (368). والذي قال فيه الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات. ج5، ص221 (9123).

4 البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، دار الكتبي، ط01: 1414هـ-1994م، ج07، ص281.

5 شرح القواعد الفقهية، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم - سوريا، ط02:

1409هـ-1989م، ص199.

ومكان. لذا فإن الإنسانية "بحاجة ماسة إلى أن ينبع احترام الحرية، وتفرض قيودها من معين الدين المهيمن على الذات الإنسانية ومن قيم الأخلاق الفعلية، دون أن تعمي قادة الاستكبار العالمي المصالح والأهواء، ومن غير خروج على نظام الفطرة الإنسانية، وقواعد النظام العام والآداب العامة، التي هي في الحقيقة من أجل رعاية الحرية واستمرارها، دون عثرات أو مصادمات"¹، وإلا آلت الحرية إلى عكس المقصود منها. وبذا بدت أهمية القاعدة الفقهية: [الأصل أن الشيء يُعتبر ما لم يُعَد على موضوعه بالنقض والإبطال]².

والإسلام عن طريق هذه الضوابط يبيّن الإنسان بمصلحته، ويحثه على جلبها، ويرشده للضمانات الكفيلة بحفظ هذه المصلحة. حقيقة تستشف من عموم قول الحق: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾³. وكانت ضوابط حرية الرأي في الإسلام بحق قواعد تقوم على التقدير الواقعي، والنظر المآلي لهذه الحرية.

المطلب الثالث: تناقض حرية التعبير في الإعلان العالمي بين النظرية والتطبيق.

تكتسح حرية التعبير مساحة واسعة بين مختلف أنواع الحريات، إذ تمثل العمود الفقري لكثير من الحريات، وتحمل في طياتها معظمها.⁴ إلا أن الإشكال الذي تعانیه البشرية في هذا الجانب يكمن في التعارض الحاصل بين المناداة بحرية التعبير نظرياً في الإعلان العالمي، والواقع التطبيقي لهذه الحرية. وما زاد الإشكال غموضاً وتعقداً هو أن من يدعي ويزعم أنه هو أول من نادى بالحريات ودعا لها، هو نفسه من ينتهك هذه الحريات ويسيء لها، كإساءته لمقدسات المسلمين (حرية العقيدة).

فيتدخل في شؤون المسلمين وحقهم الراسخ في اختيار العقيدة التي يرغبون، مستغلاً المسميات التي

1 حق الحرية في العالم، د/وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر - لبنان، دار الفكر - سورية، ط6: 1431هـ-2010م ص35.

2 القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، د/محمد مصطفى الزحيلي، ج01، ص666(مرجع سابق).

3 سورة: البقرة، الآية: 119.

4 ينظر: حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب...، د/أحمد عبده عوض، ص111(مرجع سابق).

تتوق إليها الفطرة الإنسانية (حرية الرأي والتعبير) من أجل الوصول لأطماعه ومصالحه. الأمر الذي يفسر استعماله في المقابل لتلك المسميات التي تنفر منها الفطر السليمة، ليصف بها من يقف في وجه مصالحه. فيصف من يدافع عن المقدسات الإسلامية أو يُبدي النكران إزاء الإساءة لهذه المقدسات بأنه إرهابي مُجْرَم تجب إدانته ومحاكمته، أو على الأقل أنه رجعي متخلف لا يعرف لحقوق الإنسان مكانة وإن كان إنسان؟!.

نعم إن الحرية تُصادَر عند أولئك الذين يدعون أنهم حماة الحرية على مرأى ومسمع من الأمم المتحدة، وهذا إن دَلَّ على شيء فإنما يدل على أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لا يعدو أن يكون مجرد شعارات لعلها جاءت لحفظ مصالح واضعيتها، وتخدع وتُضلل في الواقع البقية من الناس، وتسخرهم لخدمة هؤلاء المستكبرين المقنَّعين، والواقع شاهد صدق. وما أراه سوى الإستعمار القديم قد لبس قناعاً جديداً، يختفي به عن أعين المغفلين من الناس.¹

فإباحتهم الإساءة للمقدسات الإسلامية بحجة أنها داخلة ضمن حرية التعبير قد انكشف زيفها، من خلال رفض المسيئين لمناقشة تعاليم المحرقة اليهودية بحجة حرية التعبير نفسها، فضلاً عن التطاول أو الإساءة إليها.

والتاريخ شاهد صدق، حيث حكم بالسجن على الفيلسوف الفرنسي (روجيه غارودي) إلى جانب غرامة مالية يدفعها إثر تشكيكه في المحرقة اليهودية في كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية)، كان ذلك في عام 1988م.² على الرغم من أن حقيقة القضية لا تعدو أن تكون قضية تاريخية سياسية بحتة، لا تمت للعقائد المقدسة بصلة.

وبدا جلياً التناقض الحاصل في الإعلان العالمي بين النظرية والتطبيق، خصوصاً في المادة الثانية من

1 ينظر: حق الحرية في العالم، د/وهبة الزحيلي، ص 35، 36 (مرجع سابق).

2 ينظر: الإساءة إلى الإسلام متعمدة ذريعتها حرية التعبير، نقابة الصحفيين الكويتية، www.sabr.cc ، لوحظ بتاريخ:

2013/06/04، سا: 21:15.

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الصادر في ديسمبر 1948م، حيث نصت المادة على أن "لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات المذكورة في هذا الإعلان، دونما تمييز من أي نوع، ولا سيما التمييز بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين... أو أي وضع آخر. وفضلاً عن ذلك لا يجوز التمييز على أساس الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي للبلد أو الإقليم الذي ينتمي إليه الشخص".¹

إننا أمام مفارقة قيمية وأخلاقية، ينبغي ألا يُفرض فيها الآخر في استعمال الحق إلى الحد الذي يساء فيه الأدب مع الغير، حيث أن هذا الحق (حرية التعبير) هو في الواقع حقاً يحتك بحقوق الآخرين، واحترام قناعاتهم في اختيار عقائدهم.

كما أن مواصلة السير على نهج الكيل بمكيالين مدعاة لنقض منظومة احترام التعددية الفكرية، والتنوع الثقافي، والتعايش السلمي بين شعوب العالم المعتنقة لمختلف الأديان والمذاهب المنتمية لمختلف الفلسفات والحضارات.² وبناءً عليه تبين أن حرية الرأي والتعبير المطلقة التي آمن بها الغرب، وسنّ القوانين ووضع البنود لخدمتها، هي في الحقيقة مصلحة تنبع من أنانية فردية، ليست مهذبة، بعيدة عن العدالة، وإن لبست حلة السعي للمصلحة العامة.³ وواقع تطبيقها يشهد شهادة عملية أنها جلبت المفاسد لا المصالح، فليست في خدمة البشرية من شيء.

المطلب الرابع: الكرامة الإنسانية في الإسلام.

إذا كان المقصد من سن الشرائع الإلهية يتمثل في إنقاذ الإنسان من الضلال، وإرشاده لما يصلحه،

1 الإلتزام الدولي باحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، د/إبراهيم أحمد خليفة، دار الجامعة الجديدة - الأزاريطة، (د.ط)، 2007م، ص 149

2 ينظر: التحالف الإمبريالي - الإسلاموي... والإساءة للنبي وللإسلام!، Thaqafa mag.com، لوحظ بتاريخ: 2013/04/18م، ص: 21:45 .

3 ينظر: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية (أطروحة دكتوراه)، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، (د.ط)، 1393هـ-1973م، ص 44.

فإنه من البديهي أن هذا الإنسان ذا قيمة عالية عند الإله الحق الذي سنَّ هذه الشرائع، وقرر فيها أن لهذا المخلوق كرامة، ودعا إلى حفظها وحمايتها.

لقد قررت الشريعة الغراء احترام كرامة الإنسان، واعتبرت ذلك حجر الزاوية في بناء المجتمع. ونصوصها الشرعية بارزٌ فيها هذا المعنى، منها قول الحق سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾¹ وفي الآية "إجمالاً لذكر النعمة التي أنعم الله بها على بني آدم".²

والتكريم يعني التفضيل، وهو قيمة جامعة اختص بها الإنسان على سائر المخلوقات. فكانت له الرفعة والعلو والعزة والنفاسة، وانتفى على ضوئها جميع معاني الذل والهوان والدنو والخسة.³ والتشريع الإسلامي جميعه أتى لدعم هذا التكريم، ومعاملة الإنسان معاملة كريمة لا مهانة فيها ولا إذلال للقيمة الإنسانية، وأكد أن الإنسان لا يجوز له أن يتصرف تصرفات تبتعد به عمّا حباه الله من نعمة التكريم. ويتجلى تكريم الله تعالى للإنسان في صورٍ شتى متنوعة، منها:

أولاً: تكريم الإنسان بنعمة الصورة الحسنة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾⁴ والمتأمل في أصل خَلَقَ الإنسان يجده مركباً من مادة وروح، تختلفان عن سائر المخلوقات. فالإنسان مخلوق خلقاً خاصاً، وأولاه الخالق تعالى في هذه الخَلَقَ الحسنة شرفاً وكرامة لم يحظ بها غيره من الكائنات.

يُلمح هذا المعنى في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿قَالَ يٰٓإِبْرٰهٖمُ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ

1 سورة: الإسراء، الآية: 70.

2 فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر - بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج03، ص 244.

3 ينظر: فقه التحضر الإسلامي، د/عبد المجيد عمر النجار، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط01: 1999م، ص88،89.

4 سورة: التين، الآية: 04.

بِيَدَيَّ¹». فعبّر سبحانه عن خلقه آدم بيديه جل وعلا، وهو كناية عن التعظيم والتشريف لهذا المخلوق.

ثم إن الإنسان قد ركبه الخالق تعالى على هيئة خلقية مادية رفيعة تمكنه من تسخير ما آتاه الله من نعم، مع القابلية في ذلك لاكتساب المزيد من الخبرة والمهارة بما يضمن تحقيق العزة والكرامة لهذا المخلوق.

ومظاهر التكريم في التكوين المعنوي للإنسان أكبر وأعظم من التكوين المادي لهذا المخلوق، حيث التكوين المعنوي يشتمل على نفخة من روح الله. قال تعالى: ﴿بِإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَبَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي²﴾. وبالرغم من أنه نفخ مجهول الماهية إلا أنه يدل على وجود عنصر عظيم القيمة، رفيع الشأن في التكوين المعنوي للإنسان. وقد حذر الإسلام من الإساءة للبعدين (المادي والمعنوي)، ففيما يخص البعد المادي نهى الشرع عن تشويه الخلق والمثلة وغير ذلك من اعتداء على الجسم الإنساني. قال عليه الصلاة والسلام: ((إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه)).³ وثبت نهي عليه السلام، كما في رواية

عبد الله بن يزيد الأنصاري. قال: ((نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النُّهْيِ والمُثَلَّةِ)).⁴

أما ما يخص البعد المعنوي فقد جاء التشريع الإسلامي بمنع الاعتداء على هذا البعد بأي شكل من أشكال الإهانة والإذلال، ونهي عن الإساءة لمقدسات الآخر داخل في هذا الضرب.

ثانياً: تكريم الإنسان بإسجاد الملائكة له.

ومن تكريم الحق سبحانه للإنسان أن اسجد له ملائكته الأطهار، وهذا السجود كما هو معلوم

1 سورة: ص، الآية: 74.

2 سورة: الحجر، الآية: 29.

3 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه، ج3، ص151 (2559).

4 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب النهي بغير إذن صاحبه، ج3، ص135 (2474).

سجود احترام وتكريم، ذلك أن سجود التقديس والعبادة لا يكون إلا لله تعالى وحده. فكان سجود الملائكة الكرام لآدم مظهراً من مظاهر تكريم هذا المخلوق فضلاً عن الله ونعمة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِئَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾.¹ وقال: ﴿قَالُوا سَوَّيْتَهُ وَنَبَخْتُ بِهِ مِنْ رُوحِي فَفَعُوا لَهُ سَلْجِدِينَ﴾.² أي خروا له ساجدين وهو سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة.³ فسجود الملائكة وهم أشرف الخلق وأطهرهم لآدم دليل على التفضيل والتكريم الذي خص به الخالق تبارك وتعالى هذا المخلوق الجديد، هذا من جهة.

ومن أخرى، فإن في طرد إبليس من الجنة، بل وطرده من رحمة الله إلى يوم القيامة إثر رفضه السجود لآدم، فيه دلالة أخرى قوية على المكانة العالية لآدم عليه السلام عند الله تعالى.

ثالثاً: تكريم الإنسان باختياره خليفة الله في أرضه.

خص الله تعالى الإنسان بمقام الخلافة في الأرض من دون سائر مخلوقاته، وكرّمه ليعمر فيها، وينفذ شريعة خالقه، مستثمراً ما سخره الله له من وسائل تعود عليه وعلى الإنسانية بالنعف، وتمكنه من القيام بوظيفة الخلافة. ومن الأدلة على تكريم الإنسان بجعله خليفة الله في أرضه، قول الحق سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِئَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.⁴ وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾.⁵ وقوله عز شأنه: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾.⁶

1 سورة: الكهف، الآية: 49.

2 سورة: ص، الآية: 71.

3 الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، ج10، ص24(مرجع سابق).

4 سورة: البقرة، الآية: 29.

5 سورة: الأنعام، الآية: 167.

6 سورة: الحديد، الآية: 07.

وفسر بعضهم قول الحق: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾¹ فسّر لفظ استعمركم بمعنى استخلفكم²، وفي ذلك تفضيل للإنسان وتكريم له.

رابعاً: تكريم الإنسان بالعبودية.

إن العبودية لله سبحانه مقام تكريم وتشريف، لذا تجد الكريم سبحانه يصف حبيبه ومصطفاه عليه السلام بالعبودية وهو في أشرف الأحوال وأرفعها لَمَّا أُسْرِيَ به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، قال عز من قائل سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾³ وقال في شأن تكريمه تعالى لملائكته: ﴿وَقَالُوا إِنَّا كُنَّا بِرَحْمَتِكَ أَعْيُنَ النَّاسِ مَأْخُوفَةً وَأَنْتَ اللَّهُ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ﴾⁴ فوصفهم بالعباد في معرض تكريمهم.

كما وصف الله تعالى الصالحين من الناس بالعباد في قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾⁵ وكيف لا يصفهم في معرض التكريم بالعبودية والمقصد الأسمى من خلق الإنسان هو العبودية لله وحده لا شريك له.

وامثالاً لهذه الحقيقة يقول الحبيب المصطفى عليه السلام: ((لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم،

1 سورة: هود، الآية: 60.

2 ينظر: الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت، (د.ط)، 1993م، ج4، ص445.

3 سورة: الإسراء، الآية: 01.

4 سورة: الأنبياء، الآية: 26.

5 سورة: الفرقان، الآية: 63.

فإنما أنا عَبْدُهُ، فقولوا: عبد الله، ورسوله)).¹ وقد ترجم بعضهم شعور الإنسان المسلم بعبوديته لخالقه ومولاه، فأنشد:

" ومما زادني شرفاً وتيها وكذتُ بأحمصي أظاً الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيّرت أحمد لي نبيا".²

خامساً: تكريم الإنسان بتسخير جميع الكائنات لخدمته.

ومن مظاهر تكريم ربّ العزة للإنسان أن هيأ الكون كله لإسعاد هذا المخلوق ومنفعته، فالكون بما فيه من أرض وسماء وبحار وأنهار وحيوان ونبات وشجر وحجر مسخر لخدمة الإنسان. قال الله جل جلاله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.³ فنبه سبحانه خلقه في هذه الآية على "نعمه عليهم في الدنيا والآخرة بأنه سخر لهم ما في السماوات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحب وأمطار وثلج وبرد، وجعله إيّاهم لهم سقفاً محفوظاً، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب".⁴ فالكائنات في هذا الكون سُخرت لفائدة الإنسان، كي يبحث وينتج ويبدع بما يعود عليه وعلى الإنسانية بالنفع .

سادساً: تكريم الإنسان بإرشاده للطريق المستقيم.

إن بيان الله تعالى للإنسان طريق الرشاد وسبيل الهدى من أعظم مظاهر التكريم الإلهي للإنسان.

1 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها}، ج4، ص167 (3445).

2 القواعد الحسان في أسرار الطاعة والاستعداد لرمضان، المعتر بالله صمدي، تقديم: محمد حسين يعقوب، مكتبة الفهد-السعودية، ط03: 1420هـ، ص60.

3 سورة: لقمان، الآية: 19.

4 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج06، ص347 (مرجع سابق).

يقول عبد الوهاب خلاّف: "إن الأحكام التي جاء بها الإسلام نوعان أحكام اعتقادية تقرر ما يجب على المسلم اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأحكام عملية تقرر ما يطلب من المسلم أن يفعله وما يطلب منه أن يكف عنه. وهذه الأحكام العملية نوعان: أحكام تتعلق بالعبادات وأحكام تتعلق بالمعاملات"¹، وجميع تلك الأحكام أتت لإرشاد الإنسان لما فيه صلاحه دنيا وأخرى.

ومن تلك الأدلة على إرشاد الله تعالى للإنسان السبيل المستقيم، قول اللطيف الخبير ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.² وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.³ والمعنى: "بيّنا له وعرفناه طريق الهدى والضلال، والخير والشر ببعث الرسل".⁴ كما قال سبحانه في موضع آخر: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾.⁵ وفي هذا دليل على أن الخالق سبحانه تولى توجيه الإنسان لمصلحه، ببيان طريق الهدى والخير من ضده.

ومما سبق اتضح جلياً أن الإنسان في نظر دين الإسلام هو أرقى المخلوقات جميعاً، لما حباه الله سبحانه من تكريم. ومتى استقرت عقيدة التكريم في الأفهام والنفوس فطبعي أن ينعكس ذلك إيجاباً على السلوك، ليضمن احترام الكرامة الإنسانية، ويمنع جميع أشكال الإساءة إليها، بما فيها الإساءة لمعتقد الآخر.

1 الإسلام ومصالح الناس، عبد الوهاب خلاّف، مجلة لواء الإسلام، العدد الثاني، السنة الخامسة: 1370هـ-1951م، ص85، 86.

2 سورة: البلد، الآية: 10.

3 سورة: الإنسان، الآية: 03.

4 الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، ج19، ص122 (مرجع سابق).

5 سورة: الليل، الآية: 12.

المطلب الخامس: حفظ الكرامة الإنسانية هو المعنى الجامع للضروريات.

إن مظاهر التكريم الإلهي للإنسان، السابق ذكرها في المطلب السابق من إسجاد الملائكة لآدم، واختيار الإنسان ليكون خليفة الله في أرضه، وتسخير جميع ما في الكون لخدمته... جميع ذلك يجعل الإنسان يشعر بعمق أنه ذا قيمة رفيعة على سائر الموجودات، وأنَّ له كرامة تميّزه عنها. وهذا الشعور يشكل أحد العناصر الأساسية المكونة لمعنى الإنسانية في الإنسان، ومن ثمَّ فإنَّ هذا الإحساس بالكرامة يشكل أحد العناصر الرئيسة التي على أساسها ابتلي الإنسان بالتكليف، وأن أداء التكليف متوقف على وجودها إلى حد كبير.

فالإنسان متى أحسَّ أن كرامته أهينت أو أُسيء لها جرأاً تحقير أو اذلال فإنه يصبح مكسور الإرادة، الأمر الذي يُعيقه عن أداء المهمة التي كُلفَ بها، فيغدو غير قادر على البناء والتعمير على الوجه المطلوب.¹ لأجل هذا جاءت أحكام كثيرة جداً في الشريعة الإسلامية تدعو إلى تحقيق الكرامة الإنسانية وحفظها، وتدرء عن المرء كل ما يُشعره بالمذلة والهوان والضعف.

ولما كانت حقوق الإنسان الأساسية متمثلة في حفظ الضروريات، فإن هذه الحقوق ذات ارتباط قوي بالدين وأخلاقه الإنسانية، بل هو أساسها.

وبتتبع نصوص الدين الإسلامي يجد الناظر أن هذه النصوص جميعها أتت لإقامة الضروريات وتحقيقها، ومن ثمَّ تحفظ كرامة الإنسان وتصان. وبذا يمكنني القول: أن الأحكام التي جاءت لتحقيق حفظ الكرامة الإنسانية هي نفسها تلك الأحكام التي جاءت لحفظ الضروريات، وبالتالي فإن جميع أحكام الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق حفظ هذه الكرامة، وتدفع ما قد يهددها من أضرار وأخطار بشكل مباشر أو غير مباشر. ولمزيد من البيان أمثل لكل قسم بالآتي:

1 ينظر: مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، د/عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط01: 2006م، ص98.

القسم الأول: النصوص المباشرة في حفظ الكرامة الإنسانية.

وأقصد بها تلك النصوص التي يظهر فيها بوضوح معنى الدعوة لحفظ كرامة الإنسان، كالنصوص الداعية إلى إقامة الحرية والعدل والمساواة. وسأتناول كل منها على حدة، لبيان كيف أنها جاءت لحفظ الكرامة الإنسانية.

01: الحرية. وتعني "الخلوص من الشوائب أو الرِّق أو اللؤم".¹ وقد جاء الإسلام يدعو إلى حفظ الحريات على اختلافها، ويدفع كل شائبة أو نقيصة تحُول دون تحقيق ذلك، وفق ضوابط لئلا تتحول هذه الحريات إلى جلب الضرر دون جلب الصلاح. وأيضاً سأكتفي في هذه المسألة بالإشارة إلى بعض النماذج من تلك الحريات، لأن الحديث فيها جميعاً يستغرق تصنيف مجلدات تطول.

- لقد أسس الإسلام لحرية التدين (حرية العقيدة)، قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.² وقال عز من قائل سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾.³ وأوجب الإسلام الدفاع عن حرية التدين، كما في الحديث: ((من بدل دينه فاقتلوه)).⁴

- كما أسس الإسلام لحرية العمل. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.⁵ وقال صلى الله عليه وسلم: ((ما أكل أحد طعاماً قط، خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده)).⁶ وروي عنه أنه قال: ((لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعهها،

1 المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون، دار الدعوة، (د.ط)، (د.ت)، ص 165.

2 سورة: البقرة، الآية: 255.

3 سورة: الكهف، الآية: 29.

4 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، ج4، ص61 (3017).

5 سورة: الملك، الآية: 16.

6 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ج3، ص57 (2072).

فَيْكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ)).¹

02: العدل. ويعني فيما يعنيه "الإنصاف، وهو ضد الجور".² وقد دعا الإسلام إلى إقامة العدل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾.³ وفي الحديث: ((إن الله أعطى كل ذي حق حقه، ولا وصية لوارث)).⁴

03: المساواة. وتعني المماثلة، و"ساواة مساواة: ماثله".⁵ والإسلام قد أرسى دعائم المساواة في نصوص كثيرة، منها قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ بِتَفْوَأٍ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.⁶ وكما في التوجيه النبوي الشريف: ((بأيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمري على أسود، ولا أسود على أحمري، إلا بالتقوى)).⁷

والإسلام حين شرع يؤسس للحرية والعدل والمساواة كان يؤسس لحفظ الكرامة الإنسانية من أن تُهان أو يُساءَ إليها. وهذا معنى ظاهر في المبادئ الثلاث، حيث أن العدوان على حرية الإنسان يجعله يشعر بانكسار النفس، والإحساس بالضالة والانتقاص، وهذا الشعور هو عينه مصادرة الكرامة. وكذا

1 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة، ج2، ص123 (1471).

2 القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، د/سعدى أبو حبيب، ص244 (مرجع سابق).

3 سورة: النحل، الآية: 90.

4 الحديث: رواه الترمذي في سننه، كتاب الوصايا، باب ما جاء لا وصية لوارث، ج3، ص505 (2121)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

5 القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، د/سعدى أبو حبيب، ص188 (مرجع سابق).

6 سورة: النساء، الآية: 01.

7 الحديث: رواه أحمد في مسنده، حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ج38، ص474 (23489)؛ وقال الألباني في الصحيحة: هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير من سمع خطبته... وذلك مما لا يضر، لأنه صحابي، والصحابة كلهم عدول كما هو مقرر. ج6، ص450 (2700).

الحال بالنسبة للعدل، والمساواة.

القسم الثاني: النصوص غير المباشرة في حفظ الكرامة الإنسانية.

وأريدُ بها تلك النصوص الشرعية التي لا يُفهم منها مباشرة أنها تقصد إلى تحقيق حفظ الكرامة الإنسانية، بل يُفهم منها أن المراد بها تحقيق أمرٍ آخر. ومثال ذلك: قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.¹ فهذا النص القرآني أفهم منه أن إعمار المساجد مطلوب كي يكون علماً وعنواناً على تمسك المسلمين بدينهم، وبالتالي إعمار المساجد من أجل مقصد حفظ الدين. لكن أيضاً لو امتنع المسلمون عن بناء هذه المساجد أو الصلاة فيها، فضلاً عن هدمها من طرف الغير، لَشعروا بأن كرامتهم أُهينت واعتُديَ عليها.

إذن إعمار المساجد يحقق معنى حفظ كرامة الإنسان المسلم، على الرغم من أنّ المعنى المباشر الملتبس من إعمار المساجد وإقامة الشعائر هو قصد حفظ الدين الإسلامي. ويدور حول المعنى المستفاد من هذا المثال، أمثلة أخرى أذكرها لمزيد من البيان.

قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.² فظاهر الآية يوحي بأن أمر الله تعالى عباده بالأكل والشرب هو لأجل حفظ النفس. لكن هذا لا يمنع من حصول معنى آخر يستفاد من أن لو مُنِعَ الإنسان وحُجِسَ عن أن يتناول الطعام أو يشرب الشراب إلى الحد الذي معه يموت الإنسان، لشعر دون أدنى شك بإهانة كرامته. وبذا أفهم أن أمر الله سبحانه عباده بالأكل والشرب أتى لحفظ النفس، وحفظ الكرامة الإنسانية معاً.

1 سورة: التوبة، الآية: 18.

2 سورة: الأعراف، الآية: 29.

- وفي قوله صلى الله عليه وسلم: ((تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم)).¹ يفهم من ظاهره أن الأمر باختيار المرأة الودود الولود عند الرغبة في الزواج هو لأجل حفظ النسل. لكن العدوان على الإنسان بمنعه من الإنجاب المفطور عليه، دون أي مسوغ مقبول يجعله يشعر بانتقاص كرامته وإذلالها، ومن ثمَّ فإن هذا النص النبوي هو دعوة لحفظ الكرامة الإنسانية بطريق غير مباشر.

- وكما يفهم من قوله تعالى: ﴿أَبَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٢٠﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٢١﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٢٢﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٣﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۗ﴾² الدعوة إلى إعمال الفكر من أجل حفظ العقل، فإنه أيضاً لو تعرض الإنسان لسطوة خارجية تمنعه من إعمال عقله (كالعادات والتقاليد الفاسدة التي تمنع الفتاة مثلاً من التعلّم، أو الإدلاء برأيها) لشعر بأن كرامته مهانة، وبالتالي فإن هذا المبدأ القرآني جاء لحفظ العقل، وحفظ الكرامة الإنسانية من أن تُهان.

- وكذا بالنسبة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ)).³ فالدعوة إلى حفظ المال ظاهرة في الحديث النبوي، إلا أن حفظ الكرامة الإنسانية أيضاً مقصود الحديث، فلو اعتُدي على إنسان وأُتلف ماله بغير وجه حق لأحسَّ المعتدى عليه بإهانة كرامته.

وانطلاقاً مما سبق بيانه أقول: إن جميع أحكام الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق الكرامة الإنسانية، بطريق مباشر أو غير مباشر. وأنَّ حفظ الكرامة الإنسانية هو المعنى الجامع للضروريات، ولا أدلَّ على ذلك من أن الإساءة أو الاعتداء على مقصد من المقاصد الضرورية (التي مثلت لها ولم أحصرها في

1 الحديث: رواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، ج2، ص220 (2050)؛

وقال الحاكم في المستدرک: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرِّجه بهذه السياقة. ج2، ص176 (2685).

2 سورة: الغاشية، الآيات: 17-21.

3 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: {لا يسألون الناس إلهافاً}، ج2، ص124 (1477).

الخمس) هو اعتداء على كرامة الإنسان بشكل أو بآخر، ومصادرة لها.

المطلب السادس: علاقة حرية التعبير بمقصد حفظ الكرامة الإنسانية من خلال الإساءة للمقدسات الإسلامية.

لما كانت حقوق الإنسان وحرياته، بما فيها حرية التعبير تدور حول حفظ الكرامة الإنسانية كما بينت في مطلب سابق، فإن الأمر يحتم أن تكون حرية التعبير مقيدة بما يحقق هذه الكرامة، منضبطة به، باعتبار أن حرية التعبير مسلك من مسالك تحقيق حفظ الكرامة الإنسانية.

في حين يتذرع المسيء للمقدسات الإسلامية بأن حرية التعبير المطلقة (العارية عن الضوابط) هي التي من شأنها تحقيق الكرامة الإنسانية!.

وما أرى حرية التعبير العارية عن الضوابط سوى معولاً يأتي على الكرامة من أساسها، ليهدمها. وبيان ذلك أن الإساءة للمقدسات الإسلامية بدعوى حرية التعبير المطلقة هي عدوان على الكرامة الإنسانية، حيث أن المسيء للمقدسات الإسلامية اعتدى على المسلمين بإهانة كرامتهم في عقيدتهم التي يبغون ويرتضون ويقدمون، وإهانة أيضاً لكرامة المسيء الذي يُعرض نفسه للإهانة من طرف المُساء لهم، كما هو مُعاین واقعاً إزاء بعض ردود أفعال المسلمين تجاه المسيء، ومن ثمَّ فإن المسيء قد تسبب في إهانة كرامته بنفسه، بل وإهانة المجتمع الذي ينتمي إليه.

فكيف يكون الاعتداء والإساءة لهذه الكرامة حقاً من حقوق الإنسان، محتفياً تحت مسمى حرية الرأي والتعبير؟! أم كيف يكون العدوان على هذه الكرامة رمزاً للتحضر والرقى؟!.

ومن هنا أقول: ما فائدة أن يُعبّر مسيء إلى ربع سكان العالم، مقابل إهدار كرامة المسلمين والغريبيين. وبذا فإن حرية التعبير المطلقة هي حرية منفلثة من عقالها، لا يُنتظر منها سوى جني الضرر والفساد وإهانة الكرامة الإنسانية، وذلك ليس في صالح الإنسانية من شيء.

المطلب السابع: دور الشعارات في تشويه حقائق الإسلام.

لم يعد خافياً أن الغرب قد أنهى منذ زمن بعيد حرب السلاح والنار، ليبدلها بحرب الفكر والعقيدة. لكن الأمر الذي لا يزال خافياً عن كثير من المسلمين هو الكشف عن أحابيل الغزو الفكري ومقاصده الخطيرة، فكان أن أنتج هذا الجهل تسلل أفكار الغزو الفكري إلى أذهانهم، لتنمو فيها وتترعرع وإن على أوهام، ثم تولد الشكوك والشبهات والتناقضات. والمآل كطبيعة حتمية التبعية الفكرية للغزاة الذين كانت هذه الشعارات زادهم وعدتهم، ثم إلى ما تقول إليه هذه التبعية الفكرية من تبعية اقتصادية وسياسية...

وها أنا ذي أتناول بعض النماذج من تلك الشعارات التي كان تعويل الغرب عليها، ليشوه الإسلام وحقائقه المشرقة الجميلة.

الفرع الأول: شعار التقاليد الإسلامية.

إستعمل المستعمر الحديث هذا الشعار للدلالة على معظم الأحكام الإجتماعية للإسلام، والغريب في الأمر أن هذا الشعار وجد صداه في بعض البحوث والحوارات، فضلاً عن أن يجد له صدئاً في الصحف والمجلات والأوساط الإجتماعية. ودون أن يجد الطاقات الكافية التي تكشف عن هويته وحقيقته وما وراءه من أهداف ومقاصد¹، لكن لا بأس أن اعرض بعض ما كشف اللثام عنه بعض علماء الإسلام. إن كلمة تقاليد تعني في وضع اللغة العربية: "عادة متوارثة يقلد فيها الخلف السلف"²، ومعلوم أنه كلما ازداد ارتباط أمة ما بقيود هذه العادات والتقاليد واشتد كلما ضعفت قدرتها على التحرر والإبداع والتقدم، باعتبار أن التأثير والتأثير متعارضان، وأن قوة أحدهما مظهراً للضعف في الثاني.

1 ينظر: الظلاميون والنورانيون محاولة لمعرفة من خلال سُلّم العلم فالدين فالأخلاق ، د/ محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر - دمشق ، ط02: 1432-2011م ، ص 109 - 111.

2 معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد، ج3، ص1850 (مرجع سابق).

وإذا عَلِمنا أن من أكبر شعارات العصر الحديث شعار الحرية على تنوعها، وإنما تعني الحرية الإعتاق والتحرر من هذه التقاليد، أدركنا أن شعار التقاليد الإسلامية أوتيَ به لينفذ في نحره سهام الفكر التنويري التحرري، والمدنية الحديثة. ليصلوا إلى مقصدهم الخبيث الذي ييغون من ذبح الإسلام تحت ستار سمّوه (التقاليد الإسلامية)، وهكذا يستفيق المسلمون ومعظم تعاليم دينهم وأحكامه قد أُسدِلَ عليها ستار التقاليد.¹

فحجاب المرأة بهذا المنظور لا يعدو أن يكون واحداً من تلك التقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد، مختزلين المسافة بذلك على آخرين يصرّحون بأن الحجاب لا يعدو أن يكون عرفاً عرفته العرب في زمن قد ولى مدبراً. الأمر الذي يبيح، بل ويفرض على المرأة المعاصرة أن تتخلى عنه متى نشدت الرقي والتقدم والعصرنة.

وما قيل عن حكم الحجاب يقال عن حكم قتل المرتد، ويقال عن حكم التحريم في الإسلام، حيث يوصف الأول أنه في غاية الجفاء والقسوة التي لا تتناسب ومعطيات العصر الحديث، المنادي بحقوق الإنسان. ويوصف الثاني بأنه يتنافى والحرية الفردية التي جعلتها الأمم الغربية على رأس سُلّم القيم التي بنت عليها حضارتها.

وبذا أرى أن الغازي الغربي يحاول أن يشوّه حقائق الإسلام وأحكامه، في المسائل الثلاث (والتي سأفصل فيها في مبحث من مباحث الفصل التطبيقي) وفي غيرها من خلال دسّه في عقول من يغزوهم أن هذه الأحكام لا تعدو أن تكون تقاليد، قد آن الأوان، بل وأصبح ضرورياً التخلص منها والثور عليها من أجل الوصول إلى التحرر والإبداع والرقي والتحضر.

وإنَّ الفرق شاسع بين أن ينظر إلى أحكام الإسلام على أنها تشريع رباني مبنيٌّ على وفق ما يقتضيه العقل والمصلحة، وإن اختلفت العصور والأقطار، وبين أن يُنظر إليها على أنها تقاليد كانت تصلح

1 ينظر: الظلاميون والنورانين...، د/محمد سعيد رمضان البوطي، ص112(مرجع سابق).

لعصر من العصور، ولم تعد كذلك في عصر آخر.

لقد أخذت هذه الأزمة تستفحل وتعظم منذ أن سُمِحَ لمثل هذا الشعار المدسوس الظالم أن يتسلل إلى البحوث الإسلامية، دون تفحصه والبحث عن هويته ومقصوده، وما قد ينتج عنه من آثار.

وعموماً فإنه لا يخفى على مسلم أن دين الإسلام جاء لهدم التقاليد الفاسدة، وللتشجيع على الإبداع والابتكار.¹ وقد ذكرت في مطلب مسلك حفظ الدين بالإجتهد ما فيه كفاية من أدلة على حث الإسلام على الإبداع والاجتهاد، ونعيه للمقلدين دون تفكر أو تدبر، فكيف تكون أحكامه في حد ذاتها تقاليد؟!!!! وهكذا يستعمل المستعمر الجديد الشعارات التي تميل إليها الفطرة الإنسانية وتتوق لها، ثم يزيّفها عساه يصل مقصوده من تمييع مفاهيم هذه الشعارات، ليستبيح الجريمة بأنواعها، ثم يتفنن فيها، مستبعداً الأحكام والآداب المرعية في الشريعة الإسلامية. والنتيجة والمآل حتماً تعقيد الجرائم الإنسانية وآثارها، وصعوبة إيجاد الحلول لها.²

وإلى مثل هذا الشعار اتخذت أمريكا شعار الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان، لتحتل بعض البلاد الإسلامية وتسلب إرادتها، وتنهب خيراتها، وتفرض سيطرتها عليها.³ وعبر هذا الشعار احتلت أمريكا بمساعدة حلفائها العراق، ونهبت ثرواته، وغرست الفتنة بين أهله، وكان لها ما أرادت.

الفرع الثاني: شعار الوطنية.

إنَّ شعار الوطنية والإشادة به يبدو في الظاهر أنه يخاطب الفطرة، باعتبار أنَّ الإنسان مفطور

1 ينظر: الظلاميون والنورانين...، د/محمد سعيد رمضان البوطي، ص114 (مرجع سابق).

2 ينظر: العالم الإسلامي في مواجهة التحديات الغربية، د/ وهبة الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط01: 1431هـ-2010م، ص88.

3 ينظر: الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم، يوسف الطويل، صوت القلم العربي - مصر، ط02: 1431هـ - 2010م، ج03، ص7.

على حب وطنه. إلا أن هذا الشعار في الحقيقة له سلبيات خطيرة، تجلت من خلال ما نجم عنه من آثار. حيث غدت بذلك العاطفة الأولى في النفس هي حب الوطن، وقد أمر المسلمون أن يجعلوها دوماً حب الله تعالى. وأصبحت المقدسات هي حدود الوطن ومصالحه، وقد أمر المسلمون أن يجعلوها حدود الله ومحارمه ومكارم الأخلاق.

إذن الشعار الذي استورده المسلمون في زي يبرق لونه قد جاء لأُسْر المسلمين من مكان صادق في نفوسهم، عبارة عن حنين فطري للوطن. ليتحولوا بهذه العاطفة الجديدة نحو معبودٍ جديد، ألا وهو الوطن ومصالحه. فالوطنية التي تمخضت عن مادية الغرب أصبحت هي المعبود، والمعبود هنا مادي. وغفل أو تغافل المسلمون أن معبودهم الذي خلقهم أمرهم بتحرير عواطفهم له وحده لا شريك له، ففرطوا في التمسك بدينهم، فكان مآلهم التمزق والتفرق والضياع.¹

ولعل السر في تخلفهم عن نصرته إخوانهم المستضعفين في فلسطين راجع إلى ذلك، حيث اقتنع الكثير من المسلمين أن نصرتهم هذه ستؤول إلى المساس بمصالح أوطانهم. وجعلوا أن أرض فلسطين هي جزء لا يتجزأ من أرض الإسلام، وأن شعبها هو جزء من الشعب المسلم. ناهيك عن كون أرض فلسطين قد ثبت قداستها، وأنها تضم مقدسات يجب الدفاع عنها كما بينت في المبحث التمهيدي (أنواع المقدسات الإسلامية).

ومن هنا تبين أن هذا الشعار يلعب دوراً خطيراً في تشويه الإسلام، وتشويه حقائقه. ورحم الله ابن القيم لَمَّا قال: "الأمر المحتال به على المحرم صورته صورة الحلال، وحقيقته ومقصوده حقيقة الحرام، فلا يكون حلالاً فلا يترتب عليه أحكام الحلال فيقع باطلاً، والأمر المحتال عليه حقيقته حقيقة الأمر الحرام وإن لم تكن صورته صورته، فيجب أن يكون حراماً لمشاركته للحرام في الحقيقة".²

1 ينظر: شرح وتحليل الأصول العشرين للإمام الشهيد حسن البنا، محمد عبد الحكيم خيال، مكتبة رحاب - الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص22، 23.

2 إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، قرأه وقدم له وخرَّج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية، ط1: 1423هـ، مج5، ص102، 103.

إن الغرس الثقافي عن طريق الشعارات الكاذبة، والخادعة يمثل مرحلة خطيرة في إطار عملية تنشأة الأجيال والمجتمعات. وبذا بات متعيناً الإنتباه إلى حجم خطورة هذا الأمر، الذي يقتضي تكاتف الجهود لمواجهة هذا الغزو.

الفرع الثالث: شعار العلمانية.

تحت شعار العلمانية يختفي الغرب ليشوه الإسلام ويبعد الناس عنه، وبيان ذلك: أن مصطلح العلمانية يُوهَّمُ أن المقصود منه رفع شعار العلم، ومن ثمَّ يقبله الناس، خصوصاً المسلمون منهم الذين تقوم ثقافتهم على توائم العلم والإيمان. إلا أن المصطلح في الواقع يعني العكس تماماً، حيث يعني البُعد عن الدين والإيمان الحق، وما ذلك إلا غاية الجهالة. ففي لغة الغرب السائدة (الإنجليزية) يعني مصطلح العلمانية فيها: لا ديني، أو غير عقيدي. وبذا فإن شعار العلمانية مقصود لهدم الدين دون صدم للأحاسيس والمشاعر! ¹والحق أن يقال العلمانية (بفتح العين) نسبةً للعالم المادي المحسوس. ²ثم للقارئ أن يتصور حجم الفارق بين دولة اسمها إسلامية، لكنها تحكم بنظام علماني، وبين دولة تحكم بنظام إسلامي ليفهم حبت هذا الشعار المدسوس.

هذا وإن كانت العلمانية الناشئة عن الصراع بين العلم والكنيسة، لينتهي بإعلان العلمانية الداعية لفصل الدين عن الدولة لها مبررها ومسوغها، حيث صورة وواقع الدين المسيحي أنذاك محرّفاً باطلاً، فإنه لا يوجد أدنى مسوغ لتطبيق نظام علماني في بلد إسلامي. وذلك ببساطة لأنه لا مفسد ولا انتهاك لحقوق الإنسان ينتج عن تطبيق دين الإسلام، بل الإسلام يحميها، هذا من جهة.

ومن أخرى، فإن واقع الدين المسيحي المحرّف، الذي تمخضت عنه العلمانية يختلف تماماً مع الدين

1 ينظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشه، محمد شريف الزبيق، دار الوفاء، ط03: 1399هـ-1979م، ص59.

2 ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط04: 1420هـ، ج02، ص684.

الإسلامي المحال تحريفه، ومن أصدق من الله قيلاً إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.¹ وهو القائل أيضاً: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَلْطَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾.²

وهكذا حرص الغزو الفكري على اتخاذ شعار العلمانية جسراً يعبر به الطريق للوصول إلى مقاصده، وستاراً يستتر به وهو يهدم الإسلام من أساسه. ويكفي لإبراز هذه الحقيقة "ما قرره مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي من تكفير (العلمانية)"³.

1 سورة: الحجر، الآية: 09.

2 سورة: فصلت، الآية: 41.

3 الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، شحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي، (د.ط)، (د.ت)، ص83.

الفصل الرابع

مسائل حفظ حرمة السفر والحج والإسلامية:

• البحث الأول:

المسائل الرفائية:

• البحث الثاني:

المسائل السلوكية:

الفصل الرابع: مسالك حفظ حرمة المقدسات الإسلامية.

وبعد أن تبين حجم خطورة الحملات المسيئة للمقدسات الإسلامية من خلال ما يهدف إليه المسيء، أصبح لزاماً أن يتم التعامل مع هذه الحملات بعقلانية وتبصّرٍ وروية من أجل الوصول لأفضل النتائج، والخروج بأكبر قدرٍ ممكن من المكاسب في دفاع المسلمين عن أنفسهم في حقيقة الأمر، وليس عن دينهم. فالدين محفوظ بعناية ربانية، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمِّمٌ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾¹. وقال أيضاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾². وهو القائل: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾³.

وتتمثل تلك الحلول من وجهة نظري في الحفاظ على مسالك مقصد حفظ الدين، الوارد ذكرها في الفصل الأول، إلى جانب نقاط أخرى أعزم على تفصيلها في هذا الفصل بحول الله وقوته. حيث حفاظ المسلمين على دينهم الذي فيه خلاص البشرية من أسقامها، ومجابهة الإساءة لمقدساته تتطلب تكاتف الجهود من أجل بلوغ المقصد.

المبحث الأول: المسالك الوقائية.

وأقصد بها تلك السبل المباشرة التي رسمها الشارع للمسلمين، وحثهم على اتباعها من أجل حفظ دينهم، والتي تحول دون الإساءة للمقدسات الإسلامية في مراحل سابقة.

المطلب الأول: غرس العقيدة الصحيحة.

لقد وفر المولى تبارك وتعالى للدعوة إليه إمكانات تنبع أساساً من مصدر واحد وأساسي، يتمثل في عقيدة التوحيد. وعقيدة التوحيد في الواقع ثورة فكرية أنهى بها الإسلام تقديس المظاهر الكونية من شمس ورياح و نجوم وكواكب...، لينفتح للإنسان درب تسخير الكون أو ما يسمى في العصر الحالي (بالعلوم الحديثة)، وبذلك أحدث الإسلام تغييراً جذرياً في الفكر الإنساني.

ومن هنا يمكن القول: إن عقيدة التوحيد هي التي وفرت للإنسان الحالة النفسية الدافعة، لتسخير ما

1 سورة: الصف، الآية: 08.

2 سورة: الحجر، الآية: 09.

3 سورة: يوسف، الآية: 21.

في الطبيعة واستغلاله. فلا عجب بعد ذلك إن قيل أن من أهم النتائج التي جادت بها عقيدة التوحيد على علماء الإسلام أنها أوجدت لديهم العقلية العلمية الباحثة المدققة، لينعكس ذلك في ظهور حضارة عظيمة قادة العالم أجمع.

فنظراً لأهمية العقيدة في الحياة، إعتنى المعلم الأول عليه الصلاة والسلام بغرس عقيدة صافية سهلة نقية، تحفز الهمم، وتبعث على الحياة، وتكسر قيود الخوف والوجل من نواميس الطبيعة. عقيدة تجعل صاحبها يعلم يقيناً أنه لا نافع ولا ضار إلا الله وحده، وأنه وحده الكفيل لحاجات البشر ومتطلباتهم. فغيّر عليه الصلاة والسلام بهذه العقيدة نظرة الإنسان للعالم، واستطاع أن يوجد الإنسان الذي يعرف قيمة نفسه وأنه أشرف مخلوق على الأرض، بل والسيد وخليفة الله فيها بطاعته لخالقه وحده لا شريك له. كما استطاع بغرسها في نفوس أتباعه صيانة الإنسان عن كل رق و عبودية لغير الله، وعن كل خوف ورجاء من المخلوق.

وبهذه العقيدة التي ربى عليها المعلم الأول أتباعه، عرفت البشرية العظمة الإنسانية الخالدة التي حرمتها منذ زمن بعيد.¹ فوحدت بين القلوب وألفت بينها، وجمعت الأمة على هدف واحد تمثل في محاربة الكفر والضلال، ونشر العدل بين الناس.

ولا أدل على ذلك من عصر فجر الإسلام الذي ضرب فيه الصحابة عليهم الرضوان أروع الأمثلة في الفداء والتضحية، والعمل على نشر العقيدة، والدفاع عنها. لأن العقيدة كانت صافية في نفوسهم، فلم تؤثر فيها الشهوات، ولم تتسرب إليها الشبهات.²

وأن مكمن الخلل الذي بدأ يتسرب إلى جسد الأمة الإسلامية، راجع أساساً إلى الانحراف العقائدي الذي تبنته بعض الجماعات والفرق، والتي حاولت بدورها إلقاء هذا الانحراف على المسار المستقيم الحاضر ومستقبل الأمة الإسلامية. ومن هنا فإن الانحراف في العقيدة يمثل انحرافاً عن مقومات الحياة الكريمة برمتها.³ لذا استلزم الأمر أن يتم غرس العقيدة الصحيحة على أوسع نطاق، وبالأخص في

1 ينظر: رسالة التوحيد، إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، تر: أبو الحسن علي الندوي، إعتنى بها: سيد عبد الماجد الغوري، دار وحي القلم - دمشق، ط01: 2003م، ص77.

2 ينظر: التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أي بكر محمد بن خزيمة، تح: د/عبد العزيز الشهوان، مكتبة الرشد - الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع - الرياض، ط6: 1418هـ - 1997م، ج1، ص12، 13.

3 ينظر: التصوير في الدين، أي المظفر شاهفور الاسفراييني، تح: د/مجيد الخليفة، دار ابن حزم - لبنان، ط01: 1429هـ - 2008م، ص07، 08.

المناهج والمقررات الدراسية، وتوجه توجيهاً عقائدياً سليماً. ليقتنع الناس "اقتناعاً راسخاً أن ماضيها وحاضرنا ومستقبلنا رهن هذا الخيط الحريري اللين الدقيق المسمى بالدين".¹

إن غرس عقيدة التوحيد في نفوس الأفراد هي في الحقيقة بمثابة حجر الزاوية في صنع حضارة إسلامية رائدة، تقود العالم. ذلك لأن تقدم الحضارات يتم وفق عملية متوازنة بين إمكانيات العقل وما وصل إليه من نتائج، وبين عطاء الإيمان الذي يمثل شحنات الدفع نحو الأمام في مسيرة الحضارة. وهذا يعني أن الرؤية العقلية المحضة تمثل نظرة أحادية الجانب لا تفي بالمقصود من ملائمة طبيعة الإنسان، واحترام خصائصه. فهذه النظرة تعامل الإنسان بالمقاييس الآلية المنتسبة للعالم الطبيعي، وهي بذلك لا تلائم فطرة الإنسان وقيمه الروحية والأخلاقية.

فالحضارة التي تقوم على هذه النظرة الأحادية حضارة تعيش أزمة واضحة، نتيجة إهمال البعد الروحي فيها. أضف إلى ذلك أن رسالة الإنسان في هذه الحياة لا تتحدد من خلال حاجاته المادية الاستهلاكية الإنمائية فقط، بل لا بد من عقيدة إيمانية متأصلة في النفوس، تردّ في نهاية المطاف إلى حاجة الإنسان الأبدية العميقة إلى قوة أكبر من قوته الزائلة متى ادّعى أن له قوة، لتكون له سنداً صوب نشاطه الحضاري. وعقيدة التوحيد هي بحق تمثل الأساس في بناء حضارة رائدة لجميع الأمم.²

وعموماً يعترف المؤرخون المنصفون بأن السبب الأول وراء النهضة الأوربية هو تأثير البطولات العلمية التي قام بها المسلمون في الأندلس، قال بعضهم: "لا يوجد أي جانب في النهضة الأوربية يخلو من التأثير الحاسم للحضارة الإسلامية، وكان من الممكن جداً ألا تقوم الحضارة الصناعية أبداً، لولا العرب".³ فإمكان انبعاث حضارة إسلامية تقود الأمم إذن يرتبط بغرس العقيدة في صفاء ونقاء مما علق بها من شوائب وأكدار. وبذا تجدنا أمام مقدمة هامة وضرورية لبلوغ الغاية المقصودة، من حفظ الدين الإسلامي الحنيف وحفظ مقدساته.

1 محمد صلى الله عليه وسلم المثال الأسمى، أحمد ديدات، ترجمة وتعليق: محمد مختار، دار الهدى - الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص31.

2 ينظر: أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، سليمان الخطيب، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص71، 72.

3 نقلاً عن: ثورة التوحيد معجزة كل العصور، وحيد الدين خان، المختار الإسلامي، العدد الأول، السنة الأولى: 15 شعبان 1399هـ. يوليو 1979م، ج1، ص25.

لذا كانت "أول وسيلة سلكها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لدفع غربة الإسلام الأولى هي إقامة التوحيد لله (عز وجل)، وذلك من خلال تصحيح وتنقية العقيدة في قلوب المسلمين... فالإسلام عقيدة تنبثق منها الحياة ولا يقبل الله من قوم شريعتهم حتى تصح عقيدتهم... فالتوحيد منهج حياة وهو أصل الأصول".¹ منهج يحوّل ميادين الحياة المختلفة إلى واقع يشهد شهادة عملية للإسلام والمسلمين، ويعيد المسلمين لهويتهم وانتمائهم لهذا الدين العظيم، لأن "الإسلام عقيدة ونظام، والنظام - في ديننا - يتبع العقيدة على خدمتها، أو هو امتداد مطلق لآثارها وفضائلها، فهو تابع لها أبداً".² لذا فإن العقيدة هي أول الأولويات التي ينبغي وضعها اليوم وأبداً بعين الاعتبار متى أرادت الأمة الإسلامية مواجهة الحملات المسيئة للدين.

ومتى تجاهلت الأمة هذه الحقيقة، فستجدها حتماً ماضية نحو المذلة والخسران. كيف لا وقد نبّه المولى تبارك وتعالى إلى خطورة الإذعان والخضوع لغيره سبحانه لما وصف الخاضعين لفرعون بالفسق، قال تعالى: ﴿بَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، بِأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيفِينَ﴾³. حيث لا يمكن للطاغية مهما بلغ في الطغيان أن يفعل بقوم ما فعله ظالمة إلا وهم فاسقون، لا يزنون بميزان الإيمان ولا يتمسكون بجبل الله المتين، فسهل اللعب بهم كاللعب بالريشة في مهب الريح. أما أولئك الذين غرست العقيدة الصحيحة في قلوبهم، وتمكنت من نفوسهم فإنهم لا يقبلون المذلة والخضوع لغير الله، وإن عظم شأن الطاغية واستكبر وتجبّر.

إذن رسوخ معاني عقيدة الإيمان في نفس المرء من شأنها أن تحول بين المرء والتجبّر والطغيان، لتشعر بالذل والخضوع لله وحده. فتدفع نحو السعي في تحصيل المنافع، والقلب مفعم إيماناً بالله، وثقة به، ورجاء لفضله ومننه. وبذا تحرر عقيدة الإيمان بالله تعالى المرء من القلق والخوف، وتحطم قيودهما⁴، ولسان حال صاحبها يردد قوله: ﴿فَل لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلِينَا وَعَلَى اللَّهِ

1 نصائح للمرأة المسلمة، محمود المصري أبو عمار، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، ط1: 1431هـ - 2010م، ص37.

2 الإسلام المفترى عليه، محمد الغزالي، دار الهناء للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص18.

3 سورة: الزخرف، الآية: 54.

4 ينظر: مقاصد الشريعة عند ابن عاشور (رسالة ماجستير)، سواحة مخلوف، إشراف: إسماعيل يحي رضوان، جامعة الأمير عبد

القادر - قسنطينة - قسم الكتاب والسنة، سنة: 1417هـ - 1996م، ص 169، 170.

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾¹. لأن صاحب هذه العقيدة عرف ربه، وعرف نفسه، وعرف قيمة وجوده في هذا الكون الفسيح، والغاية التي لأجلها وجد، وإلى ما سيصير. فغرس العقيدة وتثبيتها في القلوب بإمكانه حفظ الدين، وتأمين الدعوة إليه من الاعتداء عليها، ومن وضع العقبات في طريقها. لأن الإسلام قد غدا بذلك ديناً له جذور ضاربة في أعماق كيان المسلم. ومن هنا "يكون العلاج استئصالاً للمرض، وليس مجرد أقراص تسكن الألم إلى حين، أو مراهم تداوي السطح"². ولما كان الإنسان ليس مجرد جسم في بعده المادي يأكل ويشرب كباقي الدواب، إنما الإنسان مركب من بعدين مادي ومعنوي، وهذا الأخير هو الذي ميز الإنسان عن باقي الدواب، وجعله أهلاً للتكريم الذي خصّه الله تعالى به، يظهر هذا في قوله سبحانه: ﴿بِإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَبَّحْتُمْ بِهِ مِنْ رُوحِي فَفَعُوا لَهُ سَلْجِدِينَ﴾³. وكما أن البعد المادي في الإنسان يتطلب الأكل والشرب كغذاء لقيامته، فكذلك البعد المعنوي والروحي في الإنسان يتطلب غذاءً يلائمه لينمو ويثمر بإذن ربه، وغذاؤه هو الإيمان الصادق بالدرجة الأولى.

ومتى أدركنا هذا المعنى أدركنا ضرورة إحياء المعاني الإيمانية بالله تعالى وتوحيده في أسمائه وصفاته، ونبد تشبيهه تعالى بمخلوقاته، الذي يُصَدَّرُ لنا كمسلمين في عقر دارنا، وما يتضمنه من معاني تهدم عقيدة الإسلام وتسيء لها (مما أعزم على التفصيل فيه في الفصل التطبيقي). الأمر الذي يستدعي ضرورة عمل المسلمين على غرس العقيدة الصحيحة وتثبيتها وحمايتها، بمختلف الوسائل والأساليب العقلية والعاطفية والنظرية والتطبيقية، وعامة وخاصة، من أجل محاربة نزعات الإلحاد والشرك بكل صوره وألوانه، حتى لا يعبد في الأرض غيره سبحانه. كل ذلك انطلاقاً من المرجعية الصافية - أعني كتاب الله وسنة نبيه المصطفى عليه السلام - بعيداً عما يعكر صفاء هذه العقيدة، أو يشوهها من غلو الغالين، وانتحال المبطلين، وتحريف المحرفين الزائعين السبيل. وحرص بعد ذلك الغرس الطيب على الاعتزاز بهذا الدين، باعتباره عقيدة ومنهج حياة، فدين المسلم أعلى ما يعتز به، وفي سبيله عليه أن يضحي بالغالي والنفيس من أجل المحافظة عليه لما أودع الله فيه من كمال و توازن ووضوح ومصالح.⁴ فالكلام

1 سورة: التوبة، الآية: 51.

2 ينظر: الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، د/يوسف القرضاوي، (د.ط)، 1408هـ - 1988م، ص101.

3 سورة: الحجر، الآية: 29.

4 ينظر: الحل الإسلامي...، د/يوسف القرضاوي، ص46-48 (مرجع سابق).

عن غرس عقيدة صحيحة صافية أهم ما يمكن أن يقال لتوجيه أمة باتت تشكو تنكر غيرها لها في ظل حملات التشكيك والتشويه المتكررة على الدين ومقدساته. تشكيك المسلمين بأنفسهم وصحة انتسابهم لهذا الدين الحنيف، وإخلاصهم لرب العالمين لا شريك له، وتشكيكهم بصدق رسالتهم. فانطلاقاً من هذه العقيدة تترى النفوس، وتحيا القلوب، وتوقظ الضمائر التي تشكل الرادع القوي عن الشر والفساد، والحافظ الأكبر على الخير وصلاح. وبذا توصل صاحبها وتدفع به نحو الحقائق الصحيحة. ولعل ما جاء في الأثر: ((إن أكيس الكيس التقوى))¹ إشارة إلى هذا المعنى، لأن المؤمن المتقي الممثل أوامر الله، المجتنب نواهيه، المنطلق من عقيدة صحيحة راسخة يبرز في شخصه الإيزان الفكري والنفسي لينعكس على سلوكه.

ذلك أن الاعتقاد هو الأصل، والسلوك هو الثمرة، ولا فائدة لاعتقاد لا يثمر سلوكاً إيجابياً يجلب النفع لصاحبه وللإنسانية. ولأجل هذا بُعث الأنبياء والرسل بدءاً من آدم عليه السلام ونهاية بمن أرسل فينا محمد صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا أَطْلَاقًا بِمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَفَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾². ومن هنا فإن عقيدة التوحيد هي الأساس في بناء حضارة إسلامية تقود الأمم.

ومتى أدركنا هذه المعاني أدركنا السر في البداية بالعقيدة في المرحلة المكية التي بلغت ثلاث عشرة سنة، لأن العقيدة ضرورة حتمية في النهضة، لا بد من إعطاءها الأولوية قبل كل شيء. وبدون هذه العقيدة سيظل المرء تائهاً لا يعرف ذاته ولا المقصد من وجوده.

فكم من التساؤلات التي ترد على العقل الإنساني فتحيره، كنحو: من أين جئت؟ وهل هناك قوة أوجدتني؟ وإذا كانت هناك قوة موجد، فما اسم هذا الموجد أو أسمائه؟ وما صفاته؟ وما المقصد من إيجادني؟ وما المقصد من إيجاد هذا الكون الفسح؟.

لن يجد الإنسان من يهديه السبيل لمعرفة الإجابة عن تساؤلاته هذه وغيرها سوى العقيدة الإسلامية الصحيحة الصادقة المقنعة، وكل من لم يهتدي إليها فلن يختلف حاله عن حال إيليا أبو ماضي لما

1 الأثر: سبق تخريجه في ص 128.

2 سورة: النحل، الآية: 36.

أنشد قصيدته الطلاسم قائلاً فيها.

"جئت ، لا أعلم من أين، ولكني أتيتُ
ولقد أبصرتُ قُدّامي طريقاً فمشيت
وسأبقى ماشياً إن شئتُ هذا أم أبيتُ
كيف جئت ؟ كيف أبصرتُ طريقتي ؟
لستُ أدري !
أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود
هل أنا حرٌّ طليق أم أسيرٌ في قيود
هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود
أتمنى أنني أدري ولكن
لست أدري !"¹

إن الإنسان الذي عرف عقيدة التوحيد يعلم يقيناً من أين جاء، وإلى أين يكون مصيره. كما يعلم المقصد الذي لأجله وُجد...ومن هنا ينطلق في الكون يستثمر ما سخره الله له من نعم، يبني حياته على ما يتوافق ومقصود الموجد، يرجو ثوابه ويخشى عقابه، عكس من لم يعرف عقيدة التوحيد، فحتماً نظرته للحياة خاطئة وإن علا واستكبر وتجبّر، فهو جسم بلا روح وإن سُمي إنسان. وهكذا تجد أثر غرس العقيدة الصحيحة بارزاً في التوجه نحو تحقيق القيم الفاضلة، والمبادئ الداعية لما فيه صلاح البشرية. يقول ابن القيم رحمه الله: "ولا تزال هذه الشجرة (أي شجرة التوحيد) تثمر الأعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها، فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها، واتصف قلبه بها وانصبغ بها بصبغة الله التي لا أحسن صبغة منها، فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه وتصديقها جوارحه، ونفي تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله، وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن يشهد له بالوحدانية صائغة سالكة سبل ربه ذللاً غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلاً... فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على

1 شرح ديوان ايليا أبو ماضي، تقديم ودراسة: حجر عاصي، دار الفكر العربي - بيروت، ط01: 1999م، ص95.

هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرها من العمل الصالح الصاعد إلى الرب تعالى".¹ ومتى نشد المسلمين النهضة بالأمة والتحصن من الإساءة المتوالية على مقدسات دينهم فإن في غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأفراد أفضل ضمان للوقوف في وجه مثل هذه التداعيات، وأرشد سبيل يهتدى به في عملية تأسيس البناء الحضاري الإسلامي، باعتبار أن غرس العقيدة الصحيحة في النفوس ينفذ إلى الروح والجوهر، ولا يقف عند الشكل والمظهر. وعلى هذا النفاذ للداخل يمكن ضمان التوجه الصحيح في الفكر والمشاعر والأهداف، ومن ثم في السلوك والمعاملة. وبهذا يصبح غرس العقيدة الصحيحة ضرورة اجتماعية، وفريضة شرعية، فهي المعول عليها في نهضة الأمة ورفيها. كيف لا وتاريخ حضارة المسلمين ونهضتهم في العهد الأول للإسلام لدليل على أن الإيمان هو الذي صنع من قبائل العرب المتفرقة والممزقة خير أمة أخرجت للناس. ذلك أن الإيمان النافذ لقلوبهم ظهر صداه جلياً على سلوكهم، فبعثهم في أرجاء الأرض يبلغون الحق وينشرونه، ويدعون لحرية الإنسان ورفع الظلم عنه، والسعي في إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

فبغرس العقيدة الصحيحة يتحدد الطريق عند المسلم الذي تشبعت نفسه وروحه بمبادئ هذه العقيدة، وتشكل عنده الثوابت التي لا يمكن الإقتراب منها، ولا الاجتهاد في تغييرها. لأنها عقائد لا تقبل التبديل ولا التحويل.² الأمر الذي بإمكانه التضييق على أعداء الإسلام، والحيلولة بينهم وبين تشويهه أو الإساءة لمقدساته. لأن من غرست فيه هذه العقيدة لن يرضى بالدنية في دينه، أو أن تهان مقدساته. ولن يغريه تهجم المعتدين المبطلين، ولن يشوه الدين في نظره رسم الرسامين الجاهلين، أو تحريف الظالمين المضلين السبيل.

المطلب الثاني: الحث على الأخلاق وإحياء الضمير.

إن الناظر في أوساط إجتماعية إسلامية يرى أن هنالك انحرافاً أخلاقياً أصبح مستساغاً لدى كثير من الأفراد، وهذا أمر ينذر بشدة الخطر المحقق بالأمة الإسلامية. والأخطر من هذا تخدير العقل المسلم وعدم اعتبار هذه الانحرافات أخطاراً، لتسود وتروج.

1 إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، مج02، ص 299، 300(مرجع سابق) .

2 ينظر: قراءة في ركائز المشروع الحضاري الإسلامي، جمعة أمين عبد العزيز، دار الدعوة - الإسكندرية، ط01: 1424هـ -

2003م، ص65.

وإذا كان من البداهة أنه كلما انتشرت الأمراض العضوية زادت حاجة الناس إلى علم الطب لإنقاذ الناس من مخاطرها، فكذلك كلما انتشرت الأمراض الأخلاقية زادت الحاجة إلى علم الأخلاق لإنقاذ الناس من مفاسدها ومهالكها.

ومن أمعن النظر في تاريخ الأمم وجد أن رقيها ذروة التحضر، إنما بسبب الأخلاق والعلوم. فالأخلاق الحميدة هي سر سعادة الأمم وريقها، والأخلاق الرذيلة هي سر فناء الأمم واضمحلالها. لذا اتخذها الأنبياء والمصلحون مقصداً أسمى يُرمى إليه. فهاهو خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم يجعل المقصد من بعثته تتميم مكارم الأخلاق في قوله: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)).¹ فقد بين عليه السلام أن المقصد من إرساله، ووظيفة رسالته تكمن في تتميم الأخلاق الفاضلة الكريمة، التي جاءت بها الشرائع السماوية السابقة والأعراف والنظم على مر العصور.

لذا جعل عليه السلام القيم الخلقية في أسمى الدرجات وأعلاها، قائلاً: ((إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً)).² وقال في موضع آخر: ((ما شيءٌ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلقٍ حسن)).³ ولما سُئلت أمنا عائشة عليها الرضوان عن خلقه عليه السلام أجابت قائلة: ((كان خلقه القرآن)).⁴ فهو صلى الله عليه وسلم جامع لكل خلق حميد فاضل، وصدق الشاعر إذ يقول:

"أبعدَ ثناءً خالقنا تعالى *** على طه ثناءً للورى لا

فما أبقت (على خلق عظيم) *** مؤكدة لمخلوقٍ مقالا

هذا ثناء الله الخالق *** فلا يُبقي ذلك لمخلوقٍ مقالا.⁵

1 الحديث: رواه البيهقي في سننه الكبرى، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقاً بها...، ج10، ص323 (20782)؛ والبخاري في مسنده، مسند أبي حمزة أنس بن مالك، ج15، ص364 (8949)؛ وحسنه الألباني في الصحيحة، ج1، ص112 (45).

2 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء...، ج8، ص13 (6035).

3 الحديث: رواه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ماجاء في حسن الخلق، ج3، ص430 (2002)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

4 الحديث: رواه أحمد في مسنده، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، ج42، ص183 (25302)؛ والطبراني في الأوسط، باب الألف، من اسمه أحمد، ج1، ص30 (72)؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج2، ص872 (4811).

5 محبة الرسول، محمد الحسن الشنقيطي، إعتنى به: د/علي بن حمزة العمري، دار ابن حزم - لبنان، ط01: 1429هـ - 2008م، ص57.

ولما علم أعداء الإسلام أن هذا الدين قائم على الأخلاق انطلاقاً من الإيمان لم يجدوا موضعاً فيه لعمل معولهم الهدام إلا الأخلاق، فراحوا ييثون سمومهم من أجل حل الفضائل والأخلاق الإسلامية. والعجيب في الأمر أنهم استطاعوا وصول مرادهم.

فالناظر لواقع المسلمين يرى أنهم تخلوا على كثيرٍ من الأخلاق الحميدة التي أوصى بها دينهم الحنيف، فكان أن جنت الأمة الإسلامية كثيراً من المشكلات والويلات إثر بعدها عن التمسك بالدين وأخلاقه الفاضلة. لأن عقيدة الإسلام- وأصلها معرفة الله تعالى- هي التي من شأنها أن تعكس آثاراً قوية في سلوك الإنسان، فتحدد سيره نحو الأخلاق الإنسانية الفاضلة، وتوجهه إلى ما فيه صلاحه في العاجل والأجل. فعلاقة الإيمان بالأخلاق كعلاقة البذرة بالشجرة، إذ أنه حيث كان الإيمان الحق كان لزاماً أن ينعكس على الحياة العملية والأخلاق.

إن تثبيت القيم الأخلاقية الأصيلة التي جاء بها كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى عليه السلام، وإزالة ما لحق بها من رواسب الجاهلية ضروري لتطهير المجتمع من الرذائل الدخيلة الوافدة إلينا من الغرب، من اتباع الشهوات واستغراق في الملذات وميوعة وتحلل وغيرها من الرذائل التي تنهش في جسد الأمة الإسلامية نهش الكلب المسعور في جسم إنسان، بل هو أشد. يجب تطهير المجتمع من كل هذه الرذائل، واستبدالها بالأخلاق الفاضلة الأصيلة، والتي يجب أن تعمق جذورها، وتمتد فروعها، وتسود وتبقى.¹

والإنسان الذي له فطرة نقية لم تنتكس نحو الغي والضلال، يلاحظ أن هناك قوة في أعماق نفسه تحذره من فعل الشر وتصده عنه. وإذا قام بعملٍ شر أحس بقلق وعدم اطمئنان لهذا العمل، ووجد قوة من داخله تؤنبه وتوجهه، وأخذ يندم على فعلته لعصيانه هذه القوة الداخلية. وفي الوقت نفسه يجد أن هذه القوة تأمره بأداء الواجب، فإذا شرع في أداء الواجب شجعتة على الاستمرار والمضي فيه، فإذا ما أتم وأدى الواجب شعر بسرور واطمئنان.

تلك القوة الباطنة الآمرة الناهية المريحة الموجحة هي الضمير، أو هي ما يطلق عليها بعضهم (الغريزة الدينية). وهذا الشعور هو سرّ الشريعة، ومنبع الديانة. فإن الدين إنما بني على محاسبة النفس، حيث يفضي المرء ببصره إلى أعماق سريره فيرى ما هنالك من صراع بين الروح والمادة فيغدو من أمر نفسه

1 ينظر: الحل الإسلامي فريضة وضرورة، د/يوسف القرضاوي، (د.ط)، 1394هـ-1974م، ص 47، 48.

على بيّنة، ثم تفضي به معرفة نفسه إلى معرفة خالقه عز وجل. وبذا يستطيع التمييز بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، ومن هنا تقع عليه المسؤولية. قال تعالى: ﴿وَتَنفَسِ وَمَا سَوَّيْهَا ۗ قَالَ لَهَا ۖ فَجُورَهَا وَتَفْوِيْهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَن رَّكَبَهَا ۗ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّيْهَا ۗ﴾¹. وفي الحديث: ((استفتت نفسك، البرُّ ما اطمانَّ إليه القلب، واطمأنت إليه النفس، والإثمُّ ما حاك في القلب، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك)).² دلالة على الرجوع لسلطان الضمير، والاحتكام إلى نور الوجدان الباطني.

لذا على المصلحين الاجتماعيين أن يعملوا على إيقاظ ضمائر المسلمين، للإسهام في مجابهة الحملات المسيئة للمقدسات الإسلامية متى نشدوا احترام الحرية الدينية. باعتبار أن المسلم لن يتمتع بأشرف أنواع الحرية الروحانية إلا إذا كان له ضمير يقظ، يشعره بمسؤوليته تجاه دينه، فيسعى جاهداً للدفاع عنه.³

ومتى نشد المسلمون احترام مقدساتهم فإن في إقامة سلطان الشريعة في ضمير المسلمين أفراداً وجماعات الأمل والمخرج، بحيث يكون المجتمع المسلم صورة حية تجسد قيم الدين الإسلامي، وتعكس حقائقه المشرقة الجميلة. وعلى هذا النحو يكون مظهر المجتمع المسلم بطاقة تعريفية للدين لمن لا يعرفه، فيتبعه ويعتقه.

إننا في أمس الحاجة إلى دعوة العقل الإنساني نحو المبادئ الصحيحة والثبات عليها في عصر تبدلت فيه المعايير، وانحرفت فيه الضمائر، وشوهت فيه القيم. في أمس الحاجة إلى إعادة الإعتبار إلى الأخلاق الحميدة، باعتبار أن ما يفشو بين الأفراد من إجرام واعتداء على حريات الآخرين منشؤه نقص الأخلاق.

1 سورة: الشمس، الآيات: 7 - 10 .

2 الحديث: رواه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، حديث وابصة بن معبد الأسدي، ج 29، ص 528 (18001)؛ والدارمي في سننه، ومن كتاب البيوع، باب: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، ج 3، ص 1649 (2575)؛ وابن أبي شيبة في مسنده، ما رواه وابصة بن معبد رضي الله عنه، ج 2، ص 259 (753)؛ وقال الألباني في الترغيب والترهيب: حسن لغيره. مج 2، ص 705 (1734).

3 ينظر: سلطان الضمير، عبد الوهاب حمودة، مجلة لواء الإسلام، العدد الثالث، السنة الخامسة: 1370 هـ-1951 م، ص 152، 153.

ولو بحثنا في أكبر المعضلات والأزمات التي تعاني منها البشرية اليوم كالأزمة الاقتصادية لوجدنا أنها ترتبط بأزمة أخرى أكثر عمقاً وخطورةً، ألا وهي الأزمة الأخلاقية. وخلاصتها بكل بساطة خلو أعمال الناس من الإخلاص، وضمائرهم من الإحساس بالمسؤولية، ونواياهم من الطيبة. حيث كثرت الأخطاء والتجاوزات إلى درجة تجعل من حماقة إرجاع أسبابها إلى الجهل أو تبريرها بالظروف المحيطة، بقدر ما ترجع أساساً إلى قلة الأخلاق الحميدة، وغلبة الأخلاق الرديئة وسيادتها. فالأنانية والتحايل والسرقة والربا أصبحت هي المسيطرة على مسيرة مجتمعات عدة، وبها يطبع سلوك الكثير من أفراد هذه المجتمعات.¹

وإن الحث على الأخلاق الفاضلة والامتنال بها من شأنه المساهمة في النهوض والتقدم والرقي، كيف لا وقد أثبت التاريخ أن المسلمين لما نهجوا نهج الأخلاق الحميدة فاقوا جميع الأمم، وأنشأوا حضارة عظيمة باهرة، حضارة نهضت بالعرب من تلك الجاهلية الجهلاء التي كانوا يتخبطون فيها إلى علم تجسد في سلوكٍ وأخلاقٍ حميدة. فكيف يقال بعد ذلك عن دين يدعو للأخلاق الحميدة ويحث ويرغب فيها أنه هو السبب في انحطاط معتنقيه؟! والحق أن يقال أن هذا الانحطاط نشأ من مخالفة هذا الدين فيما أمر به وحض عنه، كالأخلاق الحميدة.

ولو كانت دعوى المسيئين للإسلام حقاً من أن الإسلام هو سر تخلف المسلمين، وأن انحطاطهم آتياً من طبيعة دينهم، ما كان من دخل فيه من أجناس البشر الأولين مثلاً يحتذى بهم في ثقب الأذهان وصدق العزائم وعلو الهمم. ولو كان الدين يضعف النفوس ما فتح أهله ما فتحوا من البلدان في الشرق والغرب. ولو كان إيمانهم بالقضاء والقدر على ما وصف به الواصفون، وموه به الموهون ما باعوا نفوسهم في سبيل الله تعالى، فجمعوا بين السعادتين الدنيوية والأخروية.² وفي هذا يقول ابن باديس رحمه الله: "لا يجذب الأمم المغلوبة إلى الأمم الغالبة مثل ما تشاهده فيها من خلق الإيمان وما تعاملها به من عدل وإحسان... فينجذبون إليهم فيدخلون في دينهم؛ ويتكلمون بلغتهم، ويتأدبون بآدابهم بين الأمم المختلفة وفي الأقطار الشاسعة؛ بدون حاجة إلى إرساليات تبشيرية؛ ولا أساطيل

1 ينظر: الخطاب الأخلاقي في الحضارة الإسلامية بين الماضي والحاضر، د/حامد طاهر، نخضة مصر للطباعة والتوزيع، ط01:

2006م، ص153.

2 ينظر: فكر محمد كرد علي ودعوته الإصلاحية، ونس الحراشنة، دار اليازوري العلمية - الأردن، (د.ط)، 2006م، ص176،

177.

حربية، ولا معاهدات سياسية؛ ولا إرهاقات ومعاكسات إدارية".¹ وإلى نفس المعنى يذهب المؤرخ (ويليام ديورانت) بقوله: "ولابد من التسليم بأن السمو الخلقي في المجتمع العثماني كان له دخل كبير في هذا التحول إلى الإسلام".² ومن هنا أصبح ضرورياً أن تكون الأخلاق الحميدة معكوسة في التعامل مع الناس، خصوصاً مع أفراد الشعوب الغربية ونحن نعيش أيام شوه فيها الإسلام وأسيء إلى مقدساته.

المطلب الثالث: إعادة النظر في البرامج التربوية للبلدان الإسلامية.

إن التربية العشوائية غالباً ما تخلق الإضطرابات العقلية والنفسية والسلوكية، وتخرّف الأهداف، وتبدّد الطاقات. ومن هنا أصبحت الحاجة إلى منهج تربوي ثابت الأصول واضح الأبعاد، محدد المقاصد ضرورة ملحة.

ولن أبالغ أن قلت أن السبب المباشر الذي أوصل المسلمون إلى ما هم عليه من انحرافٍ مجتمعي في كثير من الأحيان، كما الاعتداء الحاصل عليهم من طرف غيرهم وإساءته لمقدساتهم يعود أساساً إلى ضعف المناهج التربوية في البلاد الإسلامية. حيث أخذت هذه المناهج من مجتمعات بعيدة عن الإسلام في الأطر المرجعية و الثوابت القيمة على حساب المنهج الإيماني الأصيل. فكان أن جعلت المناهج الغربية هي الأساس والركن الركيز، وأضيف إليها رشاً خفيفاً من القيم الإسلامية لتبدو ملائمةً للمجتمع المسلم.

ومن هنا فإني أرى ضرورة صياغة المنهج التربوي انطلاقاً من الإيمان، وأن يكون الإيمان هو المصدر الأول والأخير لتربية أجيالٍ مسلمة تحفظ دينها، وتغار على حرمة مقدساته. باعتبار أن المنهج التربوي المبني على أساس الإيمان يقصد بالأساس الحفاظ على السلوك في إطار العقيدة الصحيحة والثوابت الأصيلة، والقضاء على ما يهدم الدين، ويتسبب في انهيار المجتمعات.

ومما لاشك فيه أن صياغة المنهج التربوي على هذا الأساس، سيغرس بذور الشعور بالمسؤولية في ذهن الأمة الإسلامية تجاه دينها. وعليه فلا بد من إعادة صياغة المناهج التربوية، وفق ما يحقق الغايات

1 الفكرة الإسلامية، عبد الحميد بن باديس، جمع وتقديم: د/أحمد الرفاعي شرفي، دار الهدى - الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص25.

2 قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورانت، تقديم: د/محيي الدين صابر، تر: د/زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل - لبنان،

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس، (د.ط)، 1408هـ - 1988م، ج30، ص137.

والمقاصد التي جاء الإسلام لإيجادها والحفاظ عليها.¹ حيث أن المجتمع عماده أجيال صالحة، والصالح قاعدته تربية نابعة من تعاليم الدين، تؤمن أشخاصاً ينهضون لتحقيق مجتمع أرقى، متقدماً في مختلف المجالات. وحينها تكون الأمة الإسلامية مرهوبة الجانب، مسموعة الكلمة بين الشعوب و الأمم.

هذا وأن انضواء البرامج العلمية والتربوية على قيمة الإهتمام بالمقدسات الإسلامية وتعظيمها وبث الإحترام الحقيقي لشعائر الإسلام داخل المجتمع المسلم، من شأنه الإسهام في حفظ الدين وحفظ مقدساته من أن تهان.

وبالرغم من أن النفوس لها قابلية فطرية قوية للإيمان بعقيدة التوحيد وما يتعلق بها من حرمة المقدسات الإسلامية، إلا أن العبء الكبير ملقى على المسؤولين القائمين على المستوى التربوي والتعليمي في إدخال وسائل عصرية لتثبيت العقيدة في نفوس المتعلمين وإعزازها في قلوبهم. تعرّفهم بمعنى الحرمات، وقيمة المقدسات، وواجبهم تجاهها، وتنتشر فيهم ثقافة رفض الإساءة للمقدسات والاجترأ عليها. ليغدو هؤلاء المتربون والمتعلمون قائمون مقام حائط الصد لمحاولات الإساءة للمقدسات الإسلامية، رافضين لتزاهات العلمانية ومناهجها.²

المطلب الرابع: الوحدة الإسلامية.

إذا كانت رسالة المسلمين رسالة عالمية تؤهلهم إلى قيادة العالم الإنساني، فإن تحقيق ذلك يستلزم تماسك المسلمين ووحدهم من أجل الهدف الذي يجمعهم. والصلابة من أجله مهما كلفهم من ثمن باهض، أو ضريبة فادحة.

لأن وحدة المسلمين هي الشهادة التي تسمح لهم بعبور دور المراهقة إلى فترة النضج والرشد، وهي الشهادة المعول عليها لتأهيل المسلمين لأن يخرجوا من دور التلمذة والمحاكاة والتقليد إلى دور الأصالة والإبداع والإشراف على مسيرة الإنسانية، التي لطالما عانت من العذاب النفسي، والإنتحار

1 ينظر: المناهج التربوية والحماية من الإساءة لحرمات الله، خالد روشه: www.almoslim.net، لوحظ بتاريخ: 2013/06/06م، سا: 20:47.

2 ينظر: دور العلماء والدعاة في صد ظاهرة الاجترأ على الحرمات والإساءة للمقدسات، خالد روشه، www.almoslim.net، لوحظ بتاريخ: 2013/04/14م، سا: 22:00.

الإجتماعي، والشذوذ الفكري.¹ كيف لا والإسلام يدعوهم إلى الوحدة وينبهم إلى خطورة الفرقة في مواضع عدة، منها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.² وقوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.³ وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يرتكض)).⁴ وقوله أيضاً: ((من أراد بجبوحه الجنة، فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد)).⁵ وقوله: ((من فارق الجماعة شبراً فمات، إلا مات ميتة جاهلية)).⁶ وقد فهم خليفة المسلمين الأول (أبي بكر رضي الله عنه) هذا المعنى، فحارب المرتدين حتى أرجعهم إلى الصف الواحد. والنصوص الداعية لوحدة المسلمين كثيرة جداً، كثرة توحى للناظر فيها أن الوحدة مقصد عالٍ في الإسلام.

ولما كانت الوحدة الإسلامية قائمة على روابط وحدة العقيدة، ووحدة القيم والأخلاق المتفرعة عنها، ووحدة المقصد، فإن هذه الروابط كفيلة لتماسك المسلمين، ليؤدوا وظيفتهم الحضارية في هذه الحياة، وأن يكونوا أمة متقدمة يرغم الجميع على احترامها وعدم الإساءة لمقدساتها.

كما أن المتأمل لإمكانات الأمة الإسلامية يجدها إمكانات تؤهل المسلمين لإحراز السبق والرقي الحضاري، متى أجمع المسلمون على كلمة سواء. كيف بنا ونحن "نزيد على ألف مليون من البشر، ونسكن أرضاً تمتد بين المحيطين الأطلسي والهادي، وتحتوي على معازل الممرات العالمية، وتملك ثلث ثروات العالم السائلة والجامدة، وهذه إمكانات تجعل منا أمة طليعة لا أمة ذئباً".⁷

1 ينظر: الطريق إلى القيادة العالمية، محمد الحسيني، مجلة المختار الإسلامي، العدد الثاني، السنة الأولى: 1399هـ - 1979م، ص48.

2 سورة: آل عمران، الآية: 103.

3 سورة: المائدة، الآية: 03.

4 الحديث: رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب السير، باب طاعة الأئمة، ج10، ص438(4577)؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج1، ص677(3621).

5 الحديث: رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب إخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته من الفتن والحوادث، ج15، ص122 (6728)؛ وأحمد في مسنده، مسند الخلفاء الراشدين، مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج1، ص310 (177)؛ وصححه الألباني في الصحيحة، ج1، ص793.

6 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي سترون بعدي أموراً تنكرونها، ج9، ص47(7054).

7 هموم داعية، محمد الغزالي، ص10(مرجع سابق).

على أن المتأمل للواقع يجد أن المسيئين للإسلام على الرغم من الخلاف الشديد الموجود بينهم، إلا أنهم اجتمعوا على كلمة واحدة من أجل الحفاظ على مصالحهم. الأمر الذي يقتضي في نظرهم تشتيت المسلمين، وزرع الفجوات التي تضمن بقائهم على هذا الحال.

وهنا يجدر التنبيه على أن واقع المسلمين الذي يشهد على تشتيتهم ليس منشؤه دين الإسلام، إنما هو انقسامٌ أثمره بعدهم عن الإسلام، الذي دعاهم إلى الأخوة والوحدة، ونبههم إلى خطورة الفرقة. فهم بهذا الحال يتعدون عن الإسلام وفهم حقائقه.

تلك الحقائق الداعية إلى رابطة قوية تجمع المسلمين، تُستبعد فيها جميع الفوارق العنصرية والمادية، لتسمنحو تحقيق مقصود الواحد الأحد في هذا الكون.

ولا تكاد تجد دين دعا إلى الوحدة ونبذ الفرقة كالإسلام في قرآنه وسنته، ذلك لأن الوحدة تحقق أمرين:

أولها: أن الإتحاد يقوي الضعفاء، فالمسلم وحده مهما قويت متانته هو ضعيف، والمسلمين وإن كثر عددهم في تفرق وتشتت ضعفاء، كاللبنات المتفرقة ضعيفة بتفرقها مهما كثر عددها. ولكن بتراصها في جدار تصبح قوة يصعب تحطيمها، وهذا الذي نبّه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: ((إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)) وشبك أصابعه.¹

ثانيها: أن الإتحاد يعصم من الهلكة، والمرء محمي بجماعته لا يجراً عدوه على النيل منه. حاله كحال الشاة في وسط القطيع، لا يجراً الذئب على النيل منها. لأنها محمية بالقطيع كله، ولو تشردت عن جماعتها وانفردت بنفسها لوجد الذئب ضالته وهجم عليها.² يستفاد هذا المعنى من قول الصادق المصدوق عليه السلام: ((إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة و العامة والمسجد)).³ فبالوحدة يؤيد سلطان المسلمين، ويرهب أعداؤهم المسيئين لمقدساتهم.

1 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ج1، ص103(481).

2 ينظر: الصحوة الإسلامية بين الإختلاف المشروع، والتفرق المذموم، د/يوسف القرضاوي، (د.ط)، 1410هـ - 1989م، ص40، 41.

3 الحديث: رواه أحمد في مسنده، تنمة مسند الأنصار، حديث معاذ بن جبل، ج36، ص358(22029)، وقال محققوا المسند: حسن لغيره.

وبذا غدت الوحدة ضرورة حتمية، باعتبارها أكبر قوة يمكن التعويل عليها لنهضة شاملة في مختلف ميادين الحياة، والوقوف صفاً واحداً في وجه المعتدين، تردّ فساد عدوها عنها. كيف لا وقد جرب أزمنة عديدة جمع فيها شمل الأمة، ووقوفها في وجه عدوها تصدّ إساءته وتردّ عدوانه، معتزة مفتخرة بانتمائها الفكري واللغوي والتاريخي والحضاري وبكل محتوياتها الثقافية، متقنة الربط بين مشروعها الحضاري وبين ذات أمتها، موائمة بين الماضي والحاضر، متخطية مهانة التبعية والانبهار، معلنة ذاتها الثقافية، مصححة لأخطائها، ترفض التناحر، وتسعى للنهضة وبناء حضارة رائدة.¹ وفي هذا يقول الشاطبي: "اتفق علماء الاجتماع و السياسة والمؤرخون من الأمم المختلفة على أن العرب ما نفضوا نفضتهم الأخيرة بالمدنية وال عمران إلا بتأثير الإسلام في جمع كلمتهم وإصلاح شؤونهم النفسية والعملية".²

وإلى نفس المعنى من أن سبب ضعف الأمة ناتج عن انعدام الوحدة يذهب بعض المفكرين المعاصرين، بقولهم: "إن الانقسامات التي نشهدها الآن لطاقات الفكر وفعالياته... في صفوف الإسلاميين... إنما تعجز طاقات الأمة عن الفعل المناسب عند تقسمها بين المتنازعين الذين يتجادون حبال الطاقات والفعاليات محولين إياها إلى: (الثبات عند نقطة الصفر)؟!".³ والشريعة الإسلامية تنبذ هذا التنازع، وتعتبر الرابط المقدس بين جماعة المسلمين هو أخوتهم ووحدهم التي تمثل علامة عن حقيقة إيمانهم. فهدف واحد يعيشون له، ورسالة واحدة يعملون معاً لأجلها، تتمثل في دعوة الناس إلى الخير والصالح الذي جاء الإسلام لتحقيقه.

وإن تفعيل الارتباط بكتاب الله تعالى وبسنة نبيه الأمين من شأنه أن يعيد جمع شمل الأمة الإسلامية، وأن يلّم شتاتها. ولن تستطع أي دولة إسلامية وهي في تشتت وإن كانت ذا حظ عظيم من مال أن تواجه موجات الإساءة للمقدسات الإسلامية المتواليّة، لكن أمكنها ذلك متى التفت واجتمعت على عقيدة واحدة وهدف واحد.

1 ينظر: الثقافة وتحديات العولمة، د/حسن بن فهد الهويمل، ندوة مستقبل الثقافة في العالم العربي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة - الرياض، (د.ط)، 1423هـ - 2002م، ص 539 - 545.

2 الإعتصام، أبي إسحاق إبراهيم الشاطبي، تح: محمد رشيد رضا، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، (د.ط)، (د.ت)، ج 01، ص 03.

3 معالم المنهج الإسلامي، د/محمد عمارة، دار الشروق - مصر، ط 02: 2009م، ص 16.

يقول أحد المؤرخين العالمين: "إن القرآن هو عروة الإسلام الوثقى، أو على الأقل وسيلة يحسن استخدامها في تحقيق الوحدة الإسلامية، وإن وحدة أي أمة من الأمم مفيدة لها ولغيرها، فالوحدة تعيد إليها كرامتها، وتوجب عليها القيام بعهودها، أما الإسلام اليوم فمشتت الشمل، مبدد القوى، ولو لم يكن لدى المسلمين واسطة إلى الإتحاد لوجب عليهم اختراعها، ولكن كتابهم خير واسطة".¹ إذن وحدة المسلمين سلاح قوي، من خلاله تستأصل جرثومة التخادل، ويسلك المسلمون طريق الرشاد الذي لا ضلال بعده أبداً.

وما على المسلمين إلا حزم أمرهم في قوة تتكاتف فيها الجهود وتوحد فيها الطاقات من أجل بناء صرح إسلامي عتيد يقي المسلمين اعتداء غيرهم عليهم، وإساءته لهم. صرح تبرز فيه شخصية أمة إسلامية متميزة، وبهوية متميزة. تقدم للإنسانية بديلاً لواقع عالم اليوم المشتت في الحضارة الغربية المادية التي أبعدت الإنسان عن إنسانيته، وألقت به في مهاوي الشقاء والضلال. فكانت بحق حضارة بعيدة عن التوازن في أصولها ومبادئها، فلاغرو إذن فيما جنته وتجنهه الإنسانية عنها من مفاسد وأضرار. لقد أصبحت الوحدة الإسلامية ضرورية أكثر من أي وقت مضى، باعتبارها تشكل هذا الصرح العتيد الذي يعكس شخصية وهوية المسلمين ووزنهم الحضاري، ويقدم الخير والصلاح للإنسانية جمعاء. كيف لا والإسلام يحمل طاقات متجددة تشكل معيناً لا ينضب من شأنه الإجابة على الإشكالات والتساؤلات التي يطرحها العالم اليوم في معترك الحياة، وفي خضم الضغوط والتحديات. وبذا باتت الوحدة الإسلامية مسؤولية هامة وخطيرة على المسلمين أن يتحملوها كاملة ومهما كان الثمن²، خصوصاً في هذا الظرف الذي تكالب فيه الأعداء على المسلمين وتداعوا كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.

وعلى الرغم من الحملات المثيرة للنزاع والخلاف بين المسلمين، فإن الوحدة الإسلامية ممكنة، لتوافر أسبابها وعدم استحالة انتفاء موانعها. فبالإيمان والجد والعمل قصد الفلاح في العاجل والآجل معاً يتحقق الأمل من وحدة المسلمين، وعدم الإساءة لمقدساتهم.

1 نقلاً عن: على طريق الله في مطالع القرن الخامس عشر الهجري، أنور الجندي، مجلة الأمة، العدد الأول، السنة الأولى:

محرم 1401 هـ - نوفمبر 1980م، ج 1، ص 37.

2 ينظر: الصحوة الإسلامية، عبد الهادي بوطالب، ص 12، 13 (مرجع سابق).

المطلب الخامس: ثورة إقتصادية إسلامية.

يساهم الإقتصاد في توجيه الحدث التاريخي ضمن إطار سنن الله تعالى في الكون. وقد اهتم الإسلام بالعامل الإقتصادي، وعدّه شكلاً من أشكال العبادة، حيث ينبغي تسخيره لخدمة العامل العقائدي.

هكذا علم المعلم الأول محمد عليه الصلاة والسلام أتباعه من خلال المؤاخاة بين المسلمين، والعطاء، وتحريك غزواته عليه السلام، ليبين أن الإقتصاد في الإسلام خاضع وتابع للعقيدة. وبذا تجد الإقتصاد في الإسلام هو اقتصادٌ دعوي، أو اقتصاد عقائدي عكس ما عليه الأنظمة الاقتصادية الوضعية. والمسلم المؤمن بالغيب وبالدرجة الأساس بوجود الله سبحانه والعبودية له، يوجّه جزئيات حياته المادية لخدمة هذه العقيدة. كل ذلك في إطار النظرة الشمولية التي تخضع فيها المادة للروح فتخدم العقيدة، عكس الإنسان الذي لا يؤمن إلا باللموس، ويرى أن المادة في حد ذاتها مقصداً لا وسيلة.¹ ومعلوم أن الأمة الإسلامية تملك مواد خام في السوق لا يستهان بها، حيث تمثل الرصيد الإقتصادي الذي لو وظفه المسلمون أحسن توظيف، واستثمروه استثماراً أفضل في إنعاش اقتصادهم لتحوّل العمل المتوقع إلى عمل واقع حتماً.

وإذا كانت هذه المواد الخام تصدرها البلدان الإسلامية بثمن بخس، نظراً لضعف عملات هذه الدول الإسلامية إذا ما قورنت بقيمة عملات البلدان الغربية المستوردة لهذه المواد، وفي ذلك خسارة للبلدان الإسلامية. فإنه من الممكن تخطي هذه الأزمة في نطاق سياسة اقتصادية موحدة بين الدول الإسلامية، كي لا يكون لهؤلاء المستوردين حجة أو ذريعة لتنافسهم في التلاعب بأسعار مواد الخام التي تصدرها البلاد الإسلامية، أو الحط من القيمة الشرائية لهذه المواد. فلا يبقى مجال للتمييز بين أسعار أرز بورما وأرز مصر، أو أسعار بترول الكويت وبترول العراق، أو غيرها من المواد. وبذا تضمن الحصانة من حط القيمة الشرائية لجميع مواد الخام المصدرة من قِبَل البلاد الإسلامية نحو البلاد الغربية، ومواجهة مثل هذه المعوقات والتحديات.²

1 ينظر: دور العامل الإقتصادي في الدعوة الإسلامية في زمن الرسالة، صبحي الكبيسي، مجلة الحكمة، العدد الحادي والعشرون، (د.س)، 1421هـ، ص 413، 414.

2 ينظر: بين الرشاد والتهيه، مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر - لبنان، دار الفكر - سورية، (د.ط)، 1423هـ - 2002م، ص 172 - 175.

كما أن إبداع المسلمين في المجال الإقتصادي أصبح ضرورياً أكثر من أي وقت مضى، لتخطي الهيمنة الاقتصادية الغربية، التي أصبحت ثغرة يتسلل منها الغرب لفرض فكرة أنه السيد الأمر المطاع، ومن ثم التدخل في الحياة الاجتماعية والسياسية... للأمم والشعوب.

والمسلم الساعي في حفظ دينه عليه أن يبدع ليس بغرض الإبداع لحد ذاته فحسب، بل عليه أن يدرك حقيقة أن من أنعم عليه بالعقل لأجل أن يستثمر ما سخره له في الكون وابتكر ويبدع في ذلك، ليحقق المكلف قصد الشارع، المتمثل في استخلاف الله في أرضه.

فعلى المسلمين مخاطبة الغرب باللغة التي يفهمونها وهي لغة المادة والريح والخسارة، لأن الغرب ليس من ديدنهم القيام بأي عمل مجاني، ولا وجود للكرم والمرؤة في قاموسهم، ولا ينتظر منهم القيام بعمل لا يتوافق وعقليتهم، خصوصاً وأن معطيات الثورة الاقتصادية متوفرة وموجودة لدى العالم الإسلامي، "فالعالم الإسلامي يتوفر على إمكانات اقتصادية لا تعارض بينها بل إنها متكاملة، قابلة لاستغلال مشترك أو منسق كفيل لتحقيق قوة ذاتية يمكن أن تكون قاعدة أخرى لانسجام هذا العالم وتضامنه السياسي... وبدون تنمية اقتصادية لن يتمكن (العالم الإسلامي) من حشد طاقاته بما يجعل منها قوة ذاتية... وبدون تنمية اقتصادية سيظل عالم الإسلام مجرد سوق كبرى لاستهلاك اقتصاد الآخرين أي أداة لتنمية قوتهم الاقتصادية على حساب مصالحه الذاتية".¹

ومعلوم "أن ثقافة الإستهلاك قد تستحوذ على الأمم التي أدلت بقسط وافر من الإنتاج والتحضر والعمران، وهي مرحلة بسيطة في دورة الحضارة كما رآها ابن خلدون، ومن بعده مالك بن نبي وعلماء الاجتماع، حيث تبدأ الحضارة بجيل التضحيات والعطاء والانتاج، ثم تسترخي في أيدي الجيل الوسيط الذي يستهلك ما ينتجه، ثم تبدأ بالسقوط كلما رجحت كفة استهلاكها على كفة إنتاجها".² وهذه سنة الله تعالى التي بينها لعباده في قوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَفُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَّهَا الْقَوْلُ فَبَدَّرْنَا تَدْمِيرًا﴾.³ فبين المولى عز وجل أن الترف والتراخي والاكتفاء بالاستهلاك والاستيراد، قد يكون السبب وحده في هلاك أمة ودمارها.

1 الصحوة الإسلامية، عبد الهادي بوطالب، ص 81 - 83 (مرجع سابق).

2 مشكلات في طريق النهوض، محمد سعيد رمضان البوطي وآخرون، دار الفكر - لبنان، دار الفكر - سورية، ط 01: 1423 هـ - 2002 م، ص 213.

3 سورة: الإسراء، الآية: 16.

المبحث الثاني: المسالك العلاجية.

وأقصد بها تلك السبل التي ينبغي سلوكها بعد وقوع الإساءة، تفادياً لإساءاتٍ أحر. وقد تمثلت من وجهة نظري في الآتي:

المطلب الأول: المقاطعة الإقتصادية.

كان الإقتصاد ولا يزال ذا تأثير بالغ على سياسات الدول والشعوب، وموافقها إزاء القضايا والأحداث. وإذا كان الجهاد واجباً لرفع راية الإسلام متى استدعى الأمر ذلك، فإن المقاطعة الإقتصادية تعدُّ نوعاً من أنواع الجهاد، المستمد مشروعيته من نصوص الإسلام. باعتبارها تحقق المقصد من الجهاد، والمتمثل في إعزاز الدين ونصرته عن طريق ضرب العدو في اقتصاده، من أجل زجره وردعه عن الاعتداء والإساءة للدين.

وفي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشهد لذلك، حيث أرسل عليه السلام بعض أصحابه عليهم الرضوان لاعتراض قافلة قريش، الأمر الذي كان سبباً في حصول غزوة بدر الكبرى¹. وإلى المقاطعة الإقتصادية والحصار عمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عظم حقد المشركين، واشتد طغيانهم، وازداد استفزازهم وخطرستهم بالمسلمين، فعلى إثر ذلك حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لمدة خمسة عشر يوماً في بني قينقاع. وما كان من هؤلاء المشركين المحاصرين إلا أن نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنفسهم وأهليهم وأموالهم². وبذا تبين أن المقاطعة الإقتصادية وسيلة يتحقق بها ردع وزجر المسيء للمقدسات الإسلامية. والقاعدة الأصولية المفصلة هنا: [ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب]³.

وإذا تقرر هذا فإن المسلمين مطالبون بالمقاطعة الإقتصادية إعزازاً لدينهم، ودفاعاً عن حرمت مقدساته، وإلا كانوا موالين للمسيئين المعتدين. قال الحق جل جلاله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ

1 ينظر: هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يامحب، أبي بكر جابر الجزائري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط01: 1995م، ص139.

2 ينظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمان المباركفوري، دار ابن حزم - لبنان، ط01: 1423 هـ - 2002م، ص230.

3 البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد الزركشي، تح: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية - لبنان، ط1: 1421 هـ - 2000م، ج04، ص385.

مِنْهُمْ¹ فَبَيْنَ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ الْوَلَاءَ سَبَبًا يَلْحَقُ الْمَوْلَى بِمَنْ وَالَى، يأخذ حكمه، ويعتبر جزء منه.² ومن هنا دعا علماء الإسلام إلى مقاطعة المسيء للمقدسات الإسلامية. قال الدكتور يوسف القرضاوي: "المفروض أن المسلم إذا لم يستطع أن يجاهد أعداءه بالسيف، فعلى الأقل يجاهدهم بالمقاطعة، لا يتسبب في أن ينفعهم اقتصادياً أو مادياً أو تجارياً، لأن كل دينار أو كل ريال أو كل قرش أو كل روبية تذهب إلى العدو".³ وإلى نفس المطلب يذهب الدكتور سلمان بن فهد العودة بقوله: "إن المقاطعة هي مطلب شرعي إلى جانب كونها ضرورة وطنية".⁴

هذا وأن المقاطعة الاقتصادية أمر مشروع دولياً، وللشعوب الحق في إعلان المقاطعة الاقتصادية في وجه من يسيء إليها، والقوانين الدولية لا تمنع ذلك، ولا تحمل الجهات الرسمية مسؤولية دولية متى تبنت ذلك. ثم إن السوابق الدولية تؤكد حق الشعوب في المقاطعة الاقتصادية، بل وحق الحكومات في حال الإعتداء عليها.⁵ وهل يوجد اعتداء على المسلمين هو أشد من الاعتداء على دينهم؟! هذا وإن الواقع لخير شاهد على أن المقاطعة الاقتصادية تؤتي أكلها، باعتبارها تلحق أضرار بالغة بمن قوطع، الأمر الذي يكره المسيء استمراره وبقائه.

المطلب الثاني: جمع شبهات الغزو الفكري ودراستها، والرد عليها.

ومن ضمن الحلول المقترحة لمجابهة حملات الإساءة للمقدسات الإسلامية جمع الشبهات التي يطرحها الغزو الفكري، ودراستها، وبيان ضعفها وتفنيدها بالأدلة النقلية والعقلية ليزول غبش الشبه والتضليل بها.

وقد اعتمد القرآن الكريم مسلك الرد على الشبهات في مواضع عدة، كما في قول الحق تعالى: ﴿وَقَالُوا ابْتِئْزِلْهُ مِنَ الرَّحْمَنِ وَلَهُ سُبْحَانَهُ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٥٣﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ

1 سورة: المائدة، الآية: 53.

2 ينظر: أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الحصاص أبو بكر، تح: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ط)، 1405هـ، ج04، ص286.

3 القضاء الهولندي يؤيد المسيئين، www.lahona.com، لوحظ بتاريخ: 2013/06/02م، سا 20:04.

4 القضاء الهولندي... (ع.ن)، (ت.ن)، (و.ن) (مقال سابق).

5 ينظر: الدمارك تجمع بين نقيضي التدين والتطرف اللاديني، د/سعد العتيبي، www.saaid.net، لوحظ بتاريخ:

2013/06/02م، سا 21:10.

بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾¹. فتبين رد الحق تبارك وتعالى على "خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله فزعه ذاته عن ذلك ثم أخبر عنهم بأنهم عباد بقوله {بل عباد مكرمون} أي بل هم عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا بأولاد إذ العبودية تنافي الولادة... وأنهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم قوله... وعملهم أيضا مبني على أمره لا يعملون عملاً لم يؤمروا به"².

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنهِئُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾³. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "قد ردَّ الله عز وجل، عليهم ما قالوه، وقبلهم فيما اختلقوه وافتروه وائتفكوه، فقال {غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا}... ثم قال تعالى: {بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء} أي: بل هو الواسع الفضل، الجزيل العطاء، الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه، وهو الذي ما بخلقه من نعمة فمنه وحده لا شريك له، الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه، في ليلنا ونهارنا، وحضرنا وسفرنا، وفي جميع أحوالنا"⁴.

فجمع الشبهات ودراستها والرد عليها مسلك وجيه ينبغي أن يكون باعتماد منهج الحوار الذي دعا إليه القرآن، محددًا ضوابطه في قول العزيز الحكيم: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾⁵.

المطلب الثالث: دور هيئة الأمم المتحدة من خلال الموقف المشترك للدول الإسلامية. إن هذا العصر عصر الشعوب، أما الحكومات فليست إلا ناطقة باسم هذه الشعوب، وممثلة لها. لذا تخصص جميع الحكومات - بغض النظر عن مدى قوتها وضعفها - جزءاً من ميزانياتها للدعاية بين

1 سورة: الأنبياء، الآيتان: 26، 27.

2 تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تح: مروان محمد الشعار، دار النفائس - بيروت، (د.ط)، 2005م، ج 3، ص 68.

3 سورة: المائدة، الآية: 66.

4 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 03، ص 146 (مرجع سابق).

5 سورة: العنكبوت، الآية: 46.

الشعوب، لما فيه من مصالحها المعنوية والمادية.¹

وإن مطالبة جماهير الشعوب الإسلامية حكامها بالوحدة من أجل تحقيق مقصد واحد، والذي يكمن في مقامنا هذا في حفظ الدين الإسلامي ودفع الإساءة عن مقدساته، لهو أنجع الحلول. لأن هذه المطالبة الجماهيرية متى صدرت عن عقيدة وإيمان بالمسؤولية، فإن ذلك يعني القضاء على التجزئة التي تعاني منها الأمة الإسلامية حالياً.

فقوة الجماهير هي سلاح قوي، يمكن استثماره لكسب القضية. على أن الذي يقصد الإستعمار بإساءته، وليس في مصلحته أن يكسب المسلمين القضية يدرك هذا المعنى جيداً. لذا يعمل جاهداً لتشتيت وإضعاف قوة الجماهير، واضعاً أمامها العقبات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. هذا وأن قوة الجماهير إنما تواجه قوى عديدة متلونة تتمثل في: الإستعمار، الإنتهازيين، أصحاب المصالح الشخصية، إلى غير ذلك من أطراف وأشكال لا ترى مصلحتها في وعي الشعوب الإسلامية واتحادها من أجل تحقيق مقصدها وغرضها النبيل.

والوحدة حين تكون مطلباً شعبياً ناتجاً عن وعي المسلمين بالمصلحة المشتركة، فإنما تعني وجود روابط بين الدول الإسلامية تؤهلها للسير نحو تحقيق هذه المصلحة المشتركة. ومتى استندت إلى المصلحة المشتركة، فإن بقاؤها رهين بقاء ما استندت وقامت عليه من مصلحة مشتركة.² وهذا يعني أن الوحدة تدور وجوداً وعدمياً مع المصلحة المشتركة، فكيف إن كانت هذه المصلحة ضروري حفظها بالتمام وعلى الدوام. ولأجل إيجادها قامت السماوات والأرض، وأنزلت الكتب وأرسلت الرسل.

أقصد ببساطة أن تحقيق خلافة الله في أرضه وعبادته، يقتضي السير على النهج الذي بيّنه الخالق المعبود. وكيف يتم السير على هذا النهج دون الحفاظ على الدين وأتباع تعاليمه وحدوده المرسومة بإحكام ودقة، أم كيف يتم السير على هذا النهج دون احترام واستشعار عظمة مقدسات هذا الدين؟! وبأسلوب آخر لن يحفظ الدين ويعبد الله في أرضه دون استشعار حرمة المقدسات الإسلامية والدفاع عنها.

1 ينظر: الطريق الصحيح لحل مشكلاتنا، مصطفى السباعي، مجلة حضارة الإسلام، العدد الثالث، السنة الخامسة: 1384هـ - 1964م، ص 249.

2 ينظر: الوحدة العربية في مسيرتها النضالية والفكرية، د/محمد أحمد خلف الله، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد السادس، (د.س)، 1975م، ص 291، 292.

لأن "الإنتماء النظري إلى الإسلام لا يكفي، لابد من الإرتفاع إلى مستوى الدين في جميع المجالات العلمية و العملية، إن الحكومة جسم روحه الشعب، وفي أقطار الدنيا ترى الروح والجسم مقترنين في كيان الدولة وكأنهما قلب وقالب!. أما في كثير من أجزاء أمتنا المترامية الأطراف، فالحكم جسد بلا روح، لأن ولاء الشعوب للإسلام واتجاه بعض الحكومات إلى قبلة أخرى، وهذا في ميدان الحياة الخاصة والعامة معناه الموت!!".¹ وبذا فإن قادة المسلمين مسؤولون عن تحقيق مصالح شعوبهم ودفع العدوان المسلط على مقدساتهم، وعليهم العمل بجدٍ وحزم على إيجاد حلٍ للحد من هذا العدوان، كي تنجلي الغمة ويفرح المؤمنون بنصر الله.

كيف لا وهم مأمورون بذلك، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: ((ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٍ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة)).² وفي رواية: ((ما من عبد استرعاه الله رعيةً، فلم يخطها بنصيحةٍ، إلا لم يجد رائحة الجنة)).³ فحكام المسلمين الذين يتصدرون القيادة والتوجيه، يحملون على أعناقهم مسؤولية عظيمة أمام رب العالمين، ثم أمام الناس تجاه القضايا التي تمهم المسلمين، وعلى رأسها حفظ دين المسلمين والدفاع عنه. وبذا تجدهم أمام مرحلة فاصلة من تاريخ الأمة الإسلامية، التي شرفّت على باقي الأمم بحمل الإسلام، وجعله رسالةً لها في الحياة. إن أمام حكام المسلمين وقادتهم الفرصة السانحة لدخول التاريخ من أوسع أبوابه إلى جانب الأسلاف العظام الذين قدموا لقومهم وشعوبهم، بل وللإنسانية جمعاء تراثاً يزخر بالعلم والهدى والخير. وبذا يمكن لحكام اليوم أن يصلوا مستقبل هذه الأمة بماضيها المشرق، ويربطوا بينها وبين أسباب منعتهما وعزتها.⁴

إنه لابد من إعادة النظر عند حكام المسلمين، وأن يتبصروا الواقع ليعلموا أن جميع الحكام الذين نكسوا راية الدين في بلادهم لم يجنوا سوى تخلف شعوبهم، وتفاقم المشاكل والأزمات في جميع المجالات، وهذا الذي حرم بلدانهم الإحترام والتقدير بين الدول.

1 هموم داعية، محمد الغزالي، ص78 (مرجع سابق).

2 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إستحقاق الوالي الغاشٍ لرعيته النار، ج 01، ص125 (227).

3 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، ج09، ص64 (7150).

4 ينظر: قضايا تمهم الرأي العام، رسالة رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة إلى مؤتمر القمة العربي الثاني، مجلة حضارة الإسلام،

ومتى نشد حكام المسلمين اليوم النهضة بشعوبهم، والحفاظ على دولهم من الإستعمار، فإن ذلك رهينٌ لا محالة بالتمسك بالدين الإسلامي والدفاع عن مقدساته، ورفع رايته. لأن الدولة القائمة على الدين لا يمكن أن يهددها أي خطر كان.

"ولقد كان القادة الذين درؤوا أخطار الأمس البعيد يؤمنون بالإسلام ديناً يحل المشكلات، وبالمسلمين أمة واحدة تجمعهم المصائب، وبالإيمان بالله واللجوء إليه والاعتصام بالأخلاق المحاربة أقوى وسيلة من وسائل النصر".¹

وإذا كان ينبغي على كل مسلم أن يدرك أنه مسؤول عن الدفاع عن المقدسات الإسلامية، كلٌّ في ميدان عمله، ومجال تخصصه، وأن يعلم أنه موقوف للجزء والحساب عن هذا الأمر، فإن على حكام المسلمين من الواجب أكثر. لأنهم حملوا أمانة رعي ما فيه مصلحة شعوبهم، ودرء الفساد عنهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. وأيُّ مصلحة أعلى وأعظم من أن يحفظوا عليهم دينهم؟!، وأيُّ مفسدة أقوى تأثيراً وأشد خطراً من أن يقفوا صامتين عن الإهانة والاستهزاء بمعتقدات شعوبهم?!.

وعموماً على المسلمين (شعوباً وحكاماً) أن يؤمنوا إيماناً عميقاً بقوة بالغة من وراء تحقيق مقصد حفظ الدين، ودفع ما قد يهدده من أخطار. وعلى حكام المسلمين خصوصاً أن يدركوا مدى أهمية هذا المقصد، وخطورة المساس به، باعتبار أن الغاية أو المقصد له الأثر البالغ على مشروعية العلاقات الدولية. فالباعث على إبرام المعاهدات والمواثيق وما يقصد تحقيقه منها، ينبغي أن يكون مشروعاً. والمشروعية تعني وجوب إقامتها على أساس العدل والمساواة، دون تمييز بلغة أو لون أو اختلاف دين. فالمشروعية إذن تعني سيادة القيم الإنسانية العليا للناس كافة.²

ولما كانت الأمم المتحدة توافق على هذا وتصريح به في المحافل الدولية، وتنشد أن مواثيق حقوق الإنسان عندها تقوم على هذه الفكرة، فإن على حكام المسلمين الإلتفات إلى سؤال مفاده: مادامت الأمم المتحدة تعترف بهذا وتقره نظرياً، لم لا تنفذه عملياً على أرض الواقع، وتعتبر الإساءة للمقدسات الإسلامية كالإساءة تماماً للسامية اليهودية انطلاقاً من العدل والمساواة التي تقول أنهما

1 الطريق الصحيح لحل مشكلتنا، مصطفى السباعي، مجلة حضارة الإسلام، العدد الثالث، السنة الخامسة: 1384هـ -

1964م، ص248.

2 ينظر: الإسلام وأصول تشريعه التي تحدد ذاتيته، ومفهوم العدل فيه، وطبيعة هدفه العام، د/محمد فتحي الدريني، مجلة كلية

الدعوة الإسلامية، العدد الثالث، (د.س)، 1396هـ-1986م، ص99.

من مبادئها. أم أن حرية التعبير عندها لا تعدو أن تكون كلمة حق أريد بها باطل، الأمر الذي يفسر إزدواجية المعايير عندها في حماية حقوق الإنسان؟!!!.

ومن هنا على ولاية أمور المسلمين حزم أمرهم والعمل بجد للضغط على هذه الهيئة لأنّ تسن قانون يجرم الإساءة للمقدسات الإسلامية، في ضوء العدل والمساواة. وهذه هي أفضل وأرقى وسيلة علاجية في نظري تجابه بها حملات الإساءة للمقدسات الإسلامية، وما ينتج عنها من آثار سلبية. باعتبار أن القانون الواضح الملزم هو الذي من شأنه أن يضمن الإحترام المتبادل بين أتباع الأديان جميعها، الأمر الذي من شأنه تحقيق نوعٍ من التقارب الحضاري القائم على الأسس الإنسانية (التعاون، العدل...)، المساهم في تحقيق السلام العالمي المنشود.

لاشك أنها مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتق قادة المسلمين، فمن ذا الذي بإمكانه الوقوف في وجه هؤلاء المعتدين ويجابه عدوانهم بمثل وسائلهم غير قادة المسلمين وأصحاب السلطان والقوة فيهم؟! نعم، للشعوب الإسلامية الدور الكبير في صدّ هذا العدوان، لكن لا بد أن يكون هذا بواسطة حكاهم وأولي الأمر فيهم، فهم المعوّل عليهم ليكونوا أداة اتصال بين الشعوب المسلمة التي أسيء إليها وبين هيئة الأمم المتحدة التي تدّعي أنها تكافح من أجل حقوق الإنسان. عليهم بذل كل الجهود من أجل إعزاز الإسلام وأهله، ضمن حدود الوسائل المتاحة. كما عليهم أن يعملوا جادين على امتلاك ناصية الوسائل والأسباب، والمضي بها في طريق خدمة الدين وإعلائه وترسيخ سلطانه ورفع مناره.¹

لقد كان الفساد السياسي سبباً مباشراً في الإطاحة بالدولة الإسلامية (العثمانية) خلال قرون مضت، حيث كان بعض حكام المسلمين ثغرة تسلل منها المفسدون في الأرض للإطاحة بحضارة المسلمين. ومطلوب اليوم إزاء ما تعانيه الأمة الإسلامية الجريحة من عدوان على دينها ومقدساتها، أن يجتمع عمل حكاهم من أجل حفظ دينها ومن ثم حفظ استقلالها وحضارتها.

ولا سبيل إلى قوة الأمة الإسلامية ونصرتها، وتحقيق الدور الريادي الذي كلفت به من قبل ربها من إرشاد الناس للخير والصلاح إلا بوحدة الشعوب ووحدة حكاهم وتماسكهم وتعاونهم على جلب الصلاح ودفع الفساد. "وإذا كنا لم نتعظ بالأمس، ولم نأخذ العبرة بما يجري بين ظهرائي العالم من

1 ينظر: على طريق العودة إلى الإسلام، د/محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة رحاب - الجزائر، ط08: 1408هـ - 1987م،

أحداث، فما أجدنا في هذه الأيام التي قام الدليل فيها على أن لا حياة لأمة إلا بالوحدة، ولا قوام لشعبٍ إلا باجتماع الكلمة. ما أجدنا في هذه الظروف العصيبة، والمحنة القاسية... أن تتحد الشعوب الإسلامية قاطبة على رأي واحد، وتجتمع على كلمة واحدة، وقيادة واحدة، وأن تتخذ لها شعاراً، هو العمل بكتاب الله، وشرعة رسول الله.

إن المسلمين إن فعلوا هذا... سيصبحون قوةً يخشى بأسها، ويحسب ألف حساب لخطرها، ويرغم الجميع على احترامها، وتعود لهم مكانتهم التي كانوا عليها في أيامهم الخوالي. فليذكر المسلمون - وبخاصة قادتهم وزعماءهم - هذا كله¹. وليذكروا وليفهموا أن الاستقلال الذي وصلت إليه أكثر البلدان الإسلامية سياسياً لا يمكن أن يستمر ويضمن بقاؤه إلا إذا ارتكز على استقلال فكري، وتخطيط اجتماعي يحفظ على المسلمين تاريخهم ودينهم وحرمة مقدساتهم.

وعلى القادة المسلمين أن يعلموا أن قضية الإساءة للمقدسات الإسلامية هي قضية شديدة الخطورة، تأثيرها أعظم من جميع القضايا السياسية التي تشغل فكرهم وأذهانهم، باعتبارها تشكل خطة أجنبية هامة في طريق استعباد المسلمين والسيطرة عليهم كلياً.

إن الوصول إلى سن قانون ملزم يجرم الإساءة للمقدسات الإسلامية ويعاقب عليها غاية ومقصد يستطيع المسلمون أن يصلوا إليه واقعاً، وليس منهم ببعيد، ولا يحتاج سوى عزائم قوية جادة من حكام المسلمين. ومتى صدر هذا القانون من طرف الأمم المتحدة أمكن ملاحقة المسيء للإسلام، إما عن طريق القضاء داخل الدولة التي يتواجد فيها المسيء، أو عبر المحاكم الدولية.

إنها نقطة تاريخية فاصلة وحاسمة تتوارى فيها الأحزاب والقوميات والوطنيات، من أجل إعزاز دين الإسلام وحفظه. فلا بد من وقفة حازمة من أجل حماية الثوابت الدينية من عبث العابثين، كيف لا وحفظ الدين أهم ضرورات الدولة الإسلامية، وأول واجباتها. والوصول إلى ذلك يتطلب وحدثهم، على الأقل في قضية خطيرة وحساسة كقضيتنا هذه.

نعم، هناك موثيق دولية تحظر التعرض لحرية العقيدة، وتقيّد من حرية التعبير، كالعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، الذي نص على "أنه يجب على كل دولة أن تلتزم بتوفير الحماية التشريعية

1 الوحدة الإسلامية، أحمد حمزة، مجلة لواء الإسلام، العدد العاشر، السنة الخامسة: 1371هـ - 1952م، ص 596.

والقضائية لكل فرد لحماية حقوقه وحرياته طبقاً للعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية.¹ وكما في المادة 18 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في ديسمبر 1948م، التي تنص على أن لكل شخص حق في حرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحق حرته في تغيير دينه أو معتقده، وحرته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حده.² والمادة 19 من الإعلان السابق، التي نصت على أن لكل شخص حق التمتع بحرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرته في اعتناق الآراء دون مضايقة، وفي التماس الأنباء والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين، بأية وسيلة ودونما اعتبار للحدود.³

وعموماً فبالرغم مما نص عليه العهد الدولي سابقاً من إقرار للحريات الإنسانية ودعوته الدول لتشريع ما يضمن هذه الحريات (وحرية العقيدة إحداها) قضائياً، إلا أن هذا النص كباقي نصوص العهد الدولي يفتقر للإلزام. ومعلوم أنه متى افتقر الإلزام فلتسُن البشرية ما شاءت من نصوص، ولتسميها قوانين تجوزاً إن شاءت، فلن يكون لها صدقٌ إيجابياً كافٍ على أرض الواقع، لأنها تفتقر لوجود قوة تفرض احترامها.

والكلام نفسه يقال عن نصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ناهيك عن أن المادة 19 السالف ذكرها أراها قد جاءت لهدم الحرية، لا لإقرارها، حيث لم تضبط حرية التعبير بما يحقق حفظ حريات الآخرين. وبالتالي قد جلبت هذه المادة المفاصد لا المصالح، خصوصاً وأن حرية التعبير تمثل العمود الفقري للكثير من الحريات.

ومن هنا أناشد حكام المسلمين إلى ضرورة تنسيق العمل فيما بينهم من أجل تشريع قانون ملزم يعاقب المسيء للمقدسات الإسلامية، عقوبة تفي بالمقصود وتحققه، متى أرادوا نصر قضيتهم العادلة المشتركة. كيف لا وهم مأمورون بذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّغْذُوبِ﴾⁴ وفي قول نبيه عليه الصلاة والسلام: ((المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن،

1 الإلتزام الدولي باحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، د/إبراهيم أحمد خليفة، دار الجامعة الجديدة - الأزاريطة، (د.ط)، 2007م، ص 87.

2 الإلتزام الدولي باحترام حقوق الإنسان...، د/إبراهيم أحمد خليفة، ص 151 (مرجع سابق).

3 الإلتزام الدولي باحترام حقوق الإنسان...، د/إبراهيم أحمد خليفة، ص 152 (مرجع سابق).

4 سورة: المائدة، الآية: 03.

يكف عليه ضيعته، ويجوطه من ورائه))¹.

وفي قصة ضغط إسرائيل لعبرة، حيث أنه" في نهاية عام 2003م، أعلن أرييل شارون رئيس الوزراء الإسرائيلي، في ذلك الوقت خلال زيارته إلى بريطانيا، أن اليهود في العالم يواجهون حملة معاداة موجهة... فجاءت الإجابة من فرنسا، الرئيس جاك شيراك يعلن عن اتخاذ حكومته سياسة جديدة ضد معاداة اليهود في فرنسا، التي تطبقها حتى على الباحثين، في مجال ما يسمى بالحرقة (الهولوكوست)! وفي العام التالي مباشرة، جاء التحرك الأمريكي، من خلال إقرار الكونجرس(قانون معاداة السامية) الذي يلزم وزارة الخارجية برصد وإحصاء الأعمال المعادية للسامية في العالم وتقويم مواقف الدول من هذه الأعمال... وصدّق عليه الرئيس جورج بوش الابن فور صدوره، وراحت العديد من الدول الأوروبية تحذو حذو الولايات المتحدة، وتسبباً بقوانين مشابهة... والنتيجة أنه أصبح هناك حصانة لإسرائيل، وظّفتها لتحقيق أهدافها التوسعية والعدوانية، وإرهاب كل من يقف ضد سياستها الإجرامية مع العالم العربي".² فما على المسلمين سوى حزم أمرهم من أجل نصرّة قضيتهم العادلة.

1 الحديث: رواه البخاري في الأدب المفرد، باب مالا يجوز من اللعب والمزاح، ج1، ص126(239)؛ وأبو داود في سننه،

كتاب الأدب، باب في النصيحة والحيطة، ج4، ص280(4918)؛ وحسنه الألباني في الصحيحة، ج02، ص596.

2 التحالف الإمبريالي - الإسلامي... والإساءة للنبي وللإسلام!، مصطفى قطي، thakafamag.com، لوحظ

بتاريخ: 2013/04/18م، سا21:45.

النص

نماذج طبيقية من الإساءة للسفر صاخ الإسلاميه.

• البعث الأول:

الإساءة إلى الزوار الإسلاميه العلينه.

• البعث الثاني:

الإساءة إلى الشرآه الكسريه.

• البعث الثالث:

تبهان آخر في الإساءة للسفر صاخ الإسلاميه، والروو

عليها.

الفصل الخامس: نماذج تطبيقية من الإساءة للمقدسات الإسلامية.

تنوعت أوجه الإساءة للمقدسات الإسلامية وتعددت أساليبها، فمنها ما وجّه للذات العلية، ومنها ما دون ذلك من مقدسات، وفيما يلي عرض لنماذج منها بإذن الله.

المبحث الأول: الإساءة إلى الذات الإلهية العلية.

حين تضع لغة العقل، ومنهج العلم، وتنتكس الفطرة، يبرز الإنحراف الفكري والأخلاقي في أشنع الصور ضلالاً، لينكر القوة الموحدة، والنموذجان الآتيان إحداها.

المطلب الأول: الإساءة إلى ذات الله وصفاته (فيديو الإله الإسلامي كما ورد في الحديث والقرآن أنموذجاً).

الفرع الأول: وصف فيديو الإله الإسلامي كما ورد في الحديث والقرآن.

حاول بعض المستشرقين الإساءة للذات العلية عن طريق التجسيم والتمثيل لها، والتكليف لأفعاله تعالى، وإثارة الشبهات حول عقيدة التوحيد في فيديو يحمل عنوان: الإله الإسلامي (كما ورد في الحديث والقرآن).¹ وقد نُشرت هذه الإساءة عبر مواقع التواصل الاجتماعي: اليوتيوب، وإسلاميات، ودائلي موتيو. تدور فكرة الفيديو حول إبطال عقيدة أن الله تعالى مخالفٌ لخلقه، وأن القائل بخلاف ذلك هو مؤمن بالخرافات والأساطير الباطلة. ووسيلة المسيء في ذلك استخدام النصوص الحديثية، ومحاولة تفسيرها وتأويلها تأويلاً يخدم دعواه.

أفتتح الفيديو بتكذيب عقيدة أن الله مطلقٌ في ذاته وصفاته، مستنداً فاعله إلى ما استطاع سبيلاً من

1 تنبيه: أشار المسيء من خلال العنوان الذي ارتضاه لإساءته بأنه سين صفات الله وذاته العلية استناداً للنصوص النبوية والقرآنية معاً، غير أن المتتبع للفيديو لا يقف على نص قرآني واحد فجميعها نصوص حديثية.

تحريف معاني ومقاصد بعض النصوص النبوية، ليوهم الناس أن الله محدود في مكان ويحتاج إلى مساعدين وأنه يضحك ويغضب ويحزن كباقي البشر (صفات النقص).

وقد كان من نهج المسيء بعد عرضه الشبهة وتأويله النص بما يتوافق ومقصوده، يعمد إلى رسم صورة يمثل من خلالها ما تأوله ويُكَيِّفه. ومن تلك النصوص التي عمد إليها المسيء النصوص التي ورد فيها ذكر لبعض صفات الله تعالى، وبعض الغيبيات الأخرى كذكر أوصاف الملائكة، والكرسي، والعرش.

وقد حاول المسيء إثارة شبهة عدة منها: أن الله عينان كخلقه، وأن له يد وأصابع وأنامل تشبههم، وأيضاً قدمان وساق مثلهم. كما حاول المسيء تكيف بعض أفعال الله تعالى.

هذا وقد حاول المسيء اتهام الإسلام بأنه يتعارض مع العقل والعلم، وأن تعاليمه مجرد أساطير وخرافات. ليختتم المسيء هذا الفيديو بدعوى أن المؤمنين ما آمنوا بالإسلام وعقائده إلا وهم في سباتٍ عقلي، وفي المقابل يدعوهم للصحة العقلية (أي الردة).

الفرع الثاني: الرد على فيديو الإله الإسلامي كما ورد في الحديث والقرآن.

وفي البداية أنه إلى أي في توثيق الأحاديث التي تعرض إليها الفيديو قد عزوتها إلى المظان التي اقتبس منها المسيء هذه النصوص، كي لا يكون للمسيء حجة بفتحه ذريعة أي حرّفت النصوص أو استبدلتها حين الرد عليه. وأيضاً لبيان أن نقوله كان يتخللها أحياناً إسقاط أجزاء من متون الأحاديث، ناهيك عن أخطائه في نقل الألفاظ، ثم أقول:

أما الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا يقولن أحدكم لأحد: قبح الله وجهك، ووجهاً أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته)).¹ كما رواية أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً: ((إذا قاتل أحدكم أخاه، فليجنب الوجه، فإن الله خلق آدم على

1 الحديث: رواه ابن خزيمة في كتابه التوحيد، باب ذكر أخبار ربه عن النبي صلى الله عليه وسلم، ج 01، ص 81.

صورتها))¹، واللذان أولهما المسيء بأن القصد منهما إفادة أن صورة الله تعالى تشبه صورة بني آدم. فيجاب عن هذا: بأن في تأويل لفظة صورته الواردة في الروايتين خلاف بين العلماء، فقد ذهب بعضهم إلى أن الضمير فيها عائد على آدم عليه السلام، وأن المقصود "أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام منذ اللحظة الأولى التي أوجده فيها على صورته وهيئته التي كان يتمتع بها فيما بعد فلم يتطور من شكل إلى آخر".² فأؤله بمعنى ابتداء خلق آدم بشراً تاماً، ولم يكن خلقه كبنية نطفة فعلاقة فمضعة... ويدعم هذا الرأي قول الحق تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.³

وذهب بعضهم إلى أن في ذلك إشارة إلى رحمة الله بآدم وتكريمه له، حيث لم يغيّر صورة آدم بالرغم من عصيانه، وإنزاله من الجنة، على عكس ما حصل مع إبليس الذي غير صورته. ومنهم من رأى أن الضمير عائد إلى المضروب، وأن المضروب خلقت صورته على صورة آدم عليه السلام، وخصّ آدم بالذكر لأنه أول من صُوّر على هذه الصورة.⁴

أما عن الرواية التي وردت فيها الزيادة، فقد جاء في سندها أن يوسف بن موسى حدث فقال: ثنا جرير عن، الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)).⁵

1 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر و الصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه، ج4، ص2017 (115).

2 إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، أبو عبد الله محمد الحموي الشافعي، تح: وهي سليمان، دار السلام للطباعة والنشر- مصر، ط01: 1410هـ-1990م، ص56.

3 سورة: آل عمران، الآية: 58.

4 ينظر: إيضاح الدليل...، أبو عبد الله الحموي، ص153، 154 (مرجع سابق).

5 الحديث: ذكره عبد العزيز بن باز في مجموع فتاوى ابن باز، (د.ر)، (د.ط)، (د.ت)، ج4، ص226.

وفي لفظ آخر على صورة الرحمن.¹ فقد أعلَّ الأولى ابن خزيمة بعلل، منها: " أن الأعمش مدلس، لم يذكر أنه سمعه، من حبيب بن أبي ثابت

وأن حبيب بن أبي ثابت: أيضاً مدلس، لم يُعلم أنه سمعه من عطاء، سمعت... ومثل هذا الخبر، لا يكاد يحتج به علماؤنا من أهل الأثر".²

كما نُقل عن المازري تضعيفه للحديث بقوله: "ورواه بعضهم أن الله خلق آدم على صورة الرحمن وليس بثابت عند أهل الحديث وكأن من نقله رواه بالمعنى الذي وقع له وغلط في ذلك".³ كما ضعفه الألباني أيضاً وقال: "إن الحديث ضعيف بلفظيه (يقصد لفظ: ((إن الله خلق آدم على صورة وجه الرحمن))، ولفظ ((...فإنما صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن)) وطريقيه، وأنه إلى ذلك مخالف للأحاديث الصحيحة بألفاظ متقاربة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: ((خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً...))".⁴ وهو ضعيف (أي حديث... خلق آدم على صورة الرحمن)) من طريقه، ومثله منكر لمخالفته للأحاديث الصحيحة".⁵ ومتى ثبت ضعف الحديث بطل الإستلال به، حيث لا يستدل بالضعيف في أمور العقيدة، بل لا بد في ذلك من الصحيح.⁶

1 الحديث: رواه أبو بكر بن أبي عاصم في السنة، المكتب الإسلامي، ط1: 1400هـ-1980م، باب حديث ((إذا قاتل أحدكم))، ج01، ص 229 (517)، وقال: إسناده ضعيف ورجاله ثقات كلهم رجال البخاري وعلته عنعنة حبيب بن أبي ثابت فإنه كان يدلس وكذلك الأعمش وقد خولف في إسناده.

2 كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر محمد بن خزيمة، تح: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد-السعودية، ط05: 1414هـ-1994م، ج01، ص86.

3 المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين النووي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط02: 1392، ج16، ص166.

4 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، ج08، ص50 (6227).

5 سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف - المملكة العربية السعودية، ط01: 1412هـ-1992م، ج3، ص319 - 322.

6 ينظر: موسوعة الألباني في العقيدة، محمد ناصر الدين الألباني، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة- اليمن، ط01: 1431هـ-2010م، ج07، ص782.

وعلى افتراض صحة الحديث فإن الكلام في هذا مشهور، فمذهب السلف الإيمان به كما ثبت في النصوص الصحيحة وإمراره من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكيف، مع تفويض علم معرفة حقيقة جميع ذلك للعلم سبحانه¹، هذا جميعه من جهة.

ومن أخرى: فإن المسيء الذي أورد هذه الشبهة في الفيديو ليبرر التجسيم الذي باء به، ذكر أنه اقتبس الحديث من مجموع فتاوى ابن باز، وتغاضى عن ذكر كلام ابن باز حول هذا الحديث، بالرغم من أنه لم يفصل بين ما ذكره المسيء وما تغاضى عنه فاصل كطول كلام أو نحوه، علّة يتخذ ذلك ذريعة بأنه لم يطلع عليه. فقد جاء في سياق كلام ابن باز: "وفي لفظ آخر: على صورة الرحمن. وهذا لا يلزم منه التشبيه والتمثيل"²، وبذا نجد ابن باز ينفي صراحة كون هذه النصوص تفيد التمثيل. مما يدل دلالة قوية على أن المسيء قصده الطعن في عقائد الإسلام والتشكيك فيها، لا البحث عن الحقيقة وبيانها.

أما عن تلك النصوص التي عمد إليها المسيء، وزعم بأنها تضيف تفاصيل أكثر تفيد في الوقوف على الشكل الحقيقي لإله الإسلام، فبدوري أرجع الكلام فيها لأهل التخصص من علماء الحديث للقول الفصل في المسألة، باعتبار أن الخوض في النصوص بلا علم جهل وضلال.

فمن قوله عليه السلام: ((رأيت ربي في صورة شابٍ أمرّد، له وفرة جعدٌ قططٌ في روضة خضراء)).³ قد اقتبسه المسيء من كلام لابن تيمية وظلم، حيث ذكر أن الحديث حدّث به ابن تيمية، ولم يذكر ما قاله ابن تيمية حول الحديث وما ساقه من كلامٍ فيه. وهذا وقفٌ قبيح، كونه يوهم بذلك أن ابن تيمية يستدل بهذا الحديث ويقويه. في حين يجد المتتبع لسياق كلام ابن تيمية أنه أورد الحديث وهو

1 ينظر: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، محمد بن محمد أبو شُهبة، مكتبة السنة، ط01: 1989م، ص130.

2 مجموع فتاوى ابن باز، عبد العزيز بن باز، ج04، ص226 (مرجع سابق).

3 الحديث: ذكره ابن تيمية في كتابه بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط01: 1426هـ، ج07، ص224.

ينكر على القائلين بجواز رؤية الله تعالى في اليقظة، انطلاقاً من الأدلة التي استندوا إليها ومذهبهم في تأويلها.

فحديث الشاب الأمر...عرضه على لسان من ينكر عليهم ويخالفهم، ثم بعد ذلك فنَدَّ الحديث وأبطله صراحة كما فهمت من قوله: "إني أستنكره جداً لأنه يعارضه حديث أبي ذر أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هل رأيت ربك فقال نور أنى أراه)). ويعارضه قول عائشة رضي الله عنها: ((من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية وتلت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. - ثم أضاف ابن تيمية - فهذا هو الوجه عندنا فيه والتأويل والله أعلم"¹ وعلاوة على هذا فقد أنكر آخرون من أهل العلم هذا الحديث، قال الإمام الذهبي: "خبر منكر"² وقال الإمام السبكي: "حديث في صورة شاب أمرد موضوع مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم"³.

ومن الأحاديث التي عمد إليها المسيء ليبرر التحسيم ما رواه محمد بن إسحاق، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، عن عبد الله بن أبي سلمة، أن عبد الله بن عمر بن الخطاب، بعث إلى عبد الله بن العباس يسأله: هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟ فأرسل إليه عبد الله بن العباس: أن نعم: فردَّ عليه عبد الله بن عمر رسوله أن كيف رآه؟ فأرسل إليه أنه ((رآه في روضة خضراء دونه فراش من ذهب على كرسي من ذهب تحمله أربعة من الملائكة ملك في صورة

1 بيان تلبس الجهمية... ابن تيمية، ج07، ص239، 240 (مرجع سابق).

2 شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط03: 1405هـ-1985م، ج10، ص113.

3 تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح: د/محمود محمد الطناحي، د/عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط02: 1413هـ، ج02، ص312.

رجل، وملك في صورة ثور، وملك في صورة نسر، وملك في صورة أسد)).¹ ويجاب عن هذا الحديث: بأن في سنده مقال، فقد أعله بعض أهل العلم بعلل ثلاث.

الأولى: أن من بين رواة السند محمد بن إسحاق، وقد ضعف مروياته البيهقي إذا لم يبين سماعه فيه. والثانية: هي الإنقطاع بين ابن عباس رضي الله عنهما وبين الراوي عنه.

والثالثة: أن الروايات الصحيحة التي رويت عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس فيها ألفاظ هذا المتن.² كما ضعف هذا الإسناد آخرون من أهل العلم، كابن أبي شيبة. قال مصرحاً: "إسناده ضعيف".³ ناهيك عن أن الرواية واردة في التكييف للذات والصفات، الأمر الذي ينكره السلف الصالح بشدة، ويعدونّه بدعة.

أما عن الحديث الذي لجأ إليه المسيء ليوهم الناس أن الله تعالى عينان تشبه أعين خلقه، هو ما روته أمنا جويرية رضي الله عنها، عن نافع، عن عبد الله، قال: ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ((إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور - وأشار بيده إلى عينه - وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى)).⁴ ويجاب عن ذلك: بأن النص إن كان في صحيح البخاري، فقد أجاب شارح صحيح البخاري (ابن بطال) بجواب أوجز فيه وأقنع لما قال: "استدلّاه (أراه يقصد الجسّم) من... الحديث على أن الله صفة سماها عيناً... وليست كالجوارح المعقولة بيننا؛ لقيام الدليل

1 الحديث: ذكره ابن خزيمة في كتابه التوحيد، باب ذكر الأخبار المأثورة في إثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم خالقه، ج2، ص483.

2 ينظر: الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين البيهقي، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي - المملكة العربية السعودية، ط01: 1413هـ-1993م، ج2، ص361.

3 العرش وما روي فيه، أبو جعفر محمد بن أبي شيبة، تح: محمد بن خليفة التميمي، مكتبة الرشد - المملكة العربية السعودية، ط01: 1418هـ-1998م، ص393.

4 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {ولتصنع على عيني} طه، ج09، ص121) 7407.

على استحالة وصفه بأنه ذو جوارح وأعضاء".¹

وقال الأصبهاني: "أن المراد به نفي النقص عن الله عز وجل لا إثبات الجارحة".² وقال النووي: "معناه أن الله تعالى منزّه عن سمات الحدّث وعن جميع النقائص وأن الدجال مخلوق من خلق الله تعالى ناقصُ الصورة فينبغي لكم أن تَعَلِّمُوا هذا وتُعَلِّمُوهُ الناس لئلا يغتر بالدجال من يرى تخيّلاته وما معه من الفتنة وما أعور عين اليمنى فهو... عند البصريين يُقدّر فيه محذوف كما يُقدّر في نظائره فالتقدير أعور عين صفحة وجهه اليمنى والله أعلم".³

وعن النص الذي عمد إليه المسيء ليوهم أن للخالق سبحانه كف وأنامل كمخلوقاته ما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه: ((أتاني ربي في أحسن صورة فقال: يا محمد، فيم يختصم الملاء الأعلى؟ فقلت: لا أدري يارب، فوضع كفه بين كتفي، حتى وجدت برد أنامله بين ثديي)).⁴ فقد قال بعض أهل العلم: "وأعلم أن الذي يقتضي التأويل من هذا الخبر قوله صلى الله عليه وسلم فوضع كفه بين كتفي وقد روي كنتي فأما تأويل الكف فقد تأوله الناس على وجهين: أحدهما أن يكون بمعنى القدرة، كما قال القائل (هوّن عليك فإن الأمور... بكف الإله مقاديرها) يعني قي قدرته تقديرها وتديبيرها.

والوجه الثاني أن يكون المراد بالكف النعمة والمنّة والرحمة، وقد استعملت العرب لفظ اليد والإصبع والكف في معنى النعمة وذلك سائغ كثيراً في اللغة".⁵ وقال البعض الآخر: "هي رؤيا منامية كما يُشعر

1 شرح صحيح البخاري لابن بطلال، ابن بطلال أبو الحسن علي، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، ط02: 1423هـ-2003م، ج10، ص432.

2 مشكل الحديث وبيانه، محمد بن الحسن الأصبهاني، تح: موسى محمد علي، عالم الكتب - بيروت، ط02: 1985، ص424.

3 المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين النووي، ج2، ص236 (مرجع سابق).

4 عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، أحمد شاكر، أعده: أنور الباز، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، ط2: 1426هـ - 2005م، ج01، ص790.

5 مشكل الحديث وبيانه، محمد الأصبهاني، ص79 (مرجع سابق).

به بعض ألفاظه".¹

وإني أرى أن رواية معاذ بن جبل الآتية تثبت ذلك، قال عليه السلام: ((إني رأيت ربي عزَّ وجلَّ في منامي، فرأيتَه في أحسن صورة، فقال لي: يا محمد، قلت: لبيك ربي، قال: فيم يختصم فيه الملائ الأعلَى؟ قلت: لا أدري ربي...)) فذكر الحديث.²

وعن شبهة أن الله أصابع كخلقه من تأويل الحديث ((ان قلوب بني آدم كُلُّهَا بين إصْبَعَيْنِ من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يُصْرَفُهُ حيث يشاء)).³ قال البيهقي: "وقوله: ((بين إصْبَعَيْنِ من أصابع الرحمن)) أراد به أن القلوب كلها تحت قدرته".⁴ وقال بعض آخر: "فيه بيان أن العبد ليس إليه شيء من أمر سعادته أو شقاوته".⁵ وقد نُقِلَ عن سفيان بن عيينة لما سُئِلَ عن هذا الحديث قوله: "هي كما جاءت نقرُّ بها ونُحَدِّثُ بلا كيف".⁶

وعن شبهة أن الله خنصر كخلقه انطلاقاً مما رواه أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية { فلما تجلَى ربه للجبل جعله دكاً } قال هكذا، وأشار بإصبعيه ووضع طرف إبهامه على

1 السنة، ابن أبي عاصم، ج1، ص189 (مرجع سابق).

2 الحديث: رواه الدارقطني في رؤية الله، تح: إبراهيم محمد العلي، أحمد فخري الرفاعي، مكتبة المنار - الأردن، (د.ط)، 1411هـ، ص 308 (227)؛ وابن مندّه في الرد على الجهمية، تح: علي الفقيهي، المكتبة الأثرية - باكستان، (د.ط)، (د.ت)، ص47 (28)؛ وجمال الدين الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، ط01: 1414هـ، ج2، ص127 (596).

3 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب القَدَر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، ج4، ص2045 (17).

4 القضاء والقدر، أحمد أبو بكر البيهقي، تح: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان - السعودية، ط01: 1421هـ-2000م، ص240.

5 شرح السنة، أبو محمد الحسين البغوي، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط2: 1403هـ-1983م، ج1، ص167.

6 إبطال التأويلات لأخبار الصفات، القاضي أبو يعلى ابن الفراء، تح: محمد النجدي، دار إيلاف الدولية - الكويت، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص47.

أَمَلَةُ الْخَنْصَرِ، وفي لفظ على الْمُفْصِلِ الْأَعْلَى من الخنصر، فَسَاحَ الْجَبَلِ وخر موسى صعقاً.¹ فقد فُسرَّ الحديث بأنه: "لَمَّا ظَهَرَ من نور الله قدر نصف أَمَلَةِ الْخَنْصَرِ إندك الجبل وتفتت وسقط موسى مغشياً عليه من هول ما رأى، قال ابن عباس: ما تجلى منه سبحانه للجبل إلا قدر الخنصر فصار تراباً وخر موسى مغشياً عليه... فلما صَحَا من غشيته قال تنزيهاً لك يارب وتبرئة أن يراك أحد في الدنيا تُبْتُ إِلَيْكَ من سؤال رؤيتك في الدنيا وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك".² وأكد هذا المعنى بعض آخر بقوله: "فلما تجلى ربه انكشف وظهر نوره، قدر نصف أَمَلَةِ الْخَنْصَرِ".³ فاتضح أن من نور الله تعالى ظهر قدر أَمَلَةِ الْخَنْصَرِ أو بعضها، وفي ذلك دليل على عظمته وإعجازه سبحانه، لا أن الله خنصر، فبطل الزعم.

وعن زعم المسيء أن لله يداً كخلقه يكتب بها، وتمثله ذلك في صورة من صور الفيديو استناداً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده...)).⁴ فأقول: نعم، يجب إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه على لسان نبيه هنا، لكن من دون تشبيه ولا تكييف، بدليل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.⁵ فليس يشبهه شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله أيضاً. وكتابته التوراة لموسى لا يشبه فعل الكتابة لدى خلقه، المسلمتم استحضر أدوات الكتابة. كما لا يجوز تكييف كتابته تعالى ألواح التوراة بكيفية كتابة خلقه من إمساك القلم وإمراره على اللوح وما إلى ذلك، فينبغي إذن تنزيه أفعاله عن أمران: التمثيل والتكييف.

1 فتح القدير، محمد الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط01: 1414هـ، ج02، ص280.

2 صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط01: 1417هـ-1997م، ص435.

3 التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط2: 1418هـ، ج09، ص82.

4 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ج4، ص2042 (13).

5 سورة: الشورى، الآية: 9.

وعن النص الذي قال المسيء أنه دليل على أن الله قدم كخلقه هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، بعزتكم وكرمكم...)).¹ والجواب عن هذه الفرية "أن مذهب جمهور السلف فيها الإيمان بها من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تحريف ولا تمثيل، وإمرارها على ظاهرها، وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه".² وهذا جواب في الوقت نفسه على استكبار المسيء ودعواه أن الله قدمين كخلقه تأويلاً لقوله صلى الله عليه وسلم، لَمَّا سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.³ قال: ((كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره إلا الله)).⁴

أما عن استهزاء المسيء بالغيبيات كرؤية الله يوم القيامة، كما في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: ((هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟)) قلنا: لا،⁵ فيُجاب عن ذلك: بأنه ثبت بأدلة متضافرة أن محمد هو رسول من عند الله، مبلغ عنه، لا يأتي بهذه الغيبيات من تلقاء نفسه. منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَفَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَفَاوِيلِ ﴿١٦﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ لَفَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿١٨﴾ بَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَلِيزِينَ ﴿١٩﴾﴾.⁶

ومتى ثبت ذلك ثبت لزماً مصداقية ما جاء به من إخبار بالغيبيات، ورؤية الله يوم القيامة واحدة

1 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ج4، ص 2188 (38).

2 فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، (د.ط)، 1412هـ - 1992م، ج13، ص177.

3 سورة: البقرة، الآية: 254.

4 عمدة التفسير، أحمد شاكر، ج01، ص312 (مرجع سابق).

5 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: { وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة }، ج9، ص129 (7439).

6 سورة: الحاقة، الآيات: 44-47.

منها، وذاك أمرٌ مصرَّحٌ به في هذا الحديث الذي ذكر المسيء بعضه وأغفل البعض الآخر، الذي هو جواب لسؤال الصحابة عليهم الرضوان، الوارد في الحديث السابق: ((يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: ((هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوًا؟))، قلنا: لا))، قال: ((فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ، إلا كما تضارون في رؤيتهما)).¹ فأثبت عليه السلام تحقق رؤية الناس لله تعالى يوم القيامة.

والمؤمن يؤمن بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كانت غيبات أو غيرها، ولا يقول أؤمن ببعض وأكفر ببعض. على عكس حال الملحدين الذين يقولون نؤمن بالمادة ونكفر بما وراءها، ويصرحون بالمحسوس في الحديث ويخفون ما عداه.

وعن النص الذي لجأ إليه المسيء ليثبت أن الله تعالى ساق كخلقه هو جزء من الحديث السابق، الذي صح عن البخاري، الوارد في رؤية الله يوم القيامة. قال: ((فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونها؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه)).² ويجاب عنه بما ورد من إجابة جمهور السلف الوارد ذكرها سابقاً، التي تُثبت ما ثبت في مثل هذه النصوص الصحيحة، من غير تمثيل ولا تكييف.

أما عن تناول المسيء على الحديث الذي رواه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة، شاحصة أبصارهم إلى السماء، ينظرون إلى فصل القضاء فينزل الله من العرش إلى الكرسي في ظلل من الغمام)).³ وإدعائه إن هذا

1 الحديث: سبق تخريجه في ص 219.

2 الحديث: سبق تخريجه في ص 219.

3 الحديث: أورده شمس الدين الذهبي في العرش، تح: محمد التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المملكة العربية

إلا أساطير، وأن نزول الله تعالى وصعوده نقص.

أقول: أن الذهبي الذي أورد الحديث هو من قال في التعليق عليه: "فيه انقطاع محتمل".¹ وقال آخر: "هذا حديث غريب من حديث زيد عن المنهال لم أكتبه إلا من هذا الوجه"²، هذا من جهة.

ومن أخرى فإنه متى ثبت بالأدلة القاطعة أن الذات الإلهية ليست بجسم ثبت لزوماً أن النزول ليس بنقص، حيث نزوله من العرش إلى الكرسي لا يعني خلو العرش منه، بل هذه صفة كمال ليست في مقدور أحدٍ من الخلق، وقد تفرد بها سبحانه.

وعن شبهة المسيء التي يكذب فيها بنزول الله تعالى إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، ويتهّم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه مدعي أتى بأخطاءٍ علمية، مستهزئاً بقول الصادق المصدوق: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له من يسألني فأعطيته)).³ وعارض المسيء الذي يزعم العلم بأنه لا يوجد وقت محدد تدخل فيه الأرض الثلث الأخير، حيث دوران الأرض باستمرار حول المحور يتسبب ببقاء ثلث الليل على الأرض، وأن الليل في القطبين يستمر لمدة ستة أشهر متواصلة، لذا يتوجب على الإله أن يبقى دائماً في السماء الدنيا.

فيجاب عنه: بأن نعم، شاء الله أن لا يوجد وقت محدد تدخل فيه جميع بلاد الأرض ثلث الليل الآخر (في وقتٍ واحد). كما شاء أن يكون لكل بلدٍ على حدة وقت محدد يدخل فيه ثلث الليل الآخر، أو يشترك في جزء منه مع بلدٍ آخر، لما أراده الخالق تعالى من خلق الأرض في حركة تدور

1 العلو للعلي الغفاري في إيضاح صحيح الأخبار وسقيهما، شمس الدين الذهبي، تح: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، ط1: 1416هـ-1995م، ص65.

2 اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الأعراف، محمد بن عمر الأصبهاني، تح: محمد علي سمك، دار الكتب العلمية، ط1: 1420هـ-1999م، ص464.

3 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، ج2، ص53 (1145).

فيها حول المحور، أو قُل لِمَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلَىٰ هَذَا النُّحُو. قال تعالى: ﴿وَعَايَةٌ لَهُمُ الْأَيْلُ نَسَلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ بِيَاذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَالِكَ تَفْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٧﴾ وَالْقَمَرَ فَدَرَنَّهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٨﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْأَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٩﴾¹. ولو اراد سبحانه أن تدخل جميع بلاد الأرض في وقت محدد للثلث الأخير من الليل لَفَعَلَ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَرَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾².

وعلاوة على هذا، فإن اختلاف البلدان في وقت دخول ثلث الليل الأخير، واستمرارية هذا الثلث لا يتعارض أبداً مع نزول الله تعالى. لِمَا ثَبِتَ مِنْ أَدْلَةٍ أُخْرَى أَنَّ الْخَالِقَ سَبْحَانَهُ لَيْسَ بِجَسْمٍ وَلَا بِعَرَضٍ فِي جَسْمٍ، وَمِنْهُ أَنَّهُ لَيْسَ كَالْأَجْسَامِ الْمَحْدَثَاتِ.

وأنت أيها المسيء انطلقت من فاسدٍ تمثل في التجسيم للذات العلية، ومن الطبيعي والمنطقي أن توصلت إلى فاسدٍ تمثل في التعارض الذي حصل لديك، من أن استمرارية ثلث الليل الأخير تستلزم بقاء الله في السماء الدنيا، وأن لفظ النزول في الحديث يقتضي خلوق السماء الدنيا منه في أوقاتٍ أُخْرَى، فهما متعارضان.

والحق الذي غاب عنك أن نزوله إلى السماء الدنيا لا يقتضي خلوق غيرها منه، كخلوق العرش مثلاً، كما لا يقتضي خلوقها منه في أوقاتٍ أُخْرَى. ولعلَّ هذا الذي ذهب إليه ابن تيمية بقوله: "إذا كان لكل بلد ثلث غير الثلث الآخر... وكذلك آخر ثلث ليل البلد الشرقي ينقضي قبل انقضاء ثلث ليل البلد الغربي... فلا بد أن يدوم النزول على كل بلد ثلث ليلهم إلى طلوع فجرهم... فيختلف مقداره بمقادير الليل في الشمال والجنوب، كما يختلف في المشرق والمغرب... وأما النزول الذي لا يكون من

1 سورة: يس، الآيات: 36-39 .

2 سورة: الأعراف، الآية: 53.

جنس نزول أجسام العباد فهذا لا يُمتنع أن يكون في وقت واحد لخلق كثير... وهذا كما أن حسابه لعباده يوم القيامة يحاسبهم كلهم في ساعة واحدة، وكل منهم يخلو به كما يخلو الرجل بالقمر ليلة البدر فيقرره بذنوبه، وذلك المحاسب لا يرى أنه يحاسب غيره".¹ وهذا يوافق مذهب السلف الذين يؤمنون بنزول المولى تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل نزولاً حقيقياً يليق به تعالى لا يشبه نزول خلقه في شيء.²

وعن سؤالك أيها المسيء عن كيفية هذا النزول، أقول: سؤالك الفاسد هذا نتجت عنه آثاراً فاسدة، تمثلت في الرسومات التي عمدت إليها وأنت تحاول تكيف النزول. وجهلت أن الله نهي عن التكيف لأن العقل البشري قاصرٌ عن إدراك كنه الذات العلية وكيفية أفعاله تعالى.

وعن إساءتك بقولك يتوجب على الله البقاء دوماً في السماء الدنيا أقول: لا يجب على الله شيء إذ الإيجاب يقتضي وجود من هو أعلى من الله ليوجب عليه، ولا يوجد من هو أعلى منه، فلا يجب عليه شيء. وبذا تبين أن المسيء هو الجاهل بالحقائق لا رسول الله صلى الله عليه وسلم معلّم البشرية الحق ومرشدها للمصالح، وما تدرء به المفاسد.

كما انطلق المسيء يستهزأ بالمؤمنين لتصديقهم أن إلههم مطلق، معيهم أن إلههم له كرسي يصدر منه أطيظ (صوتا)، وكذا عرشه، مستنداً لما أخرجه أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان الثوري، عن أبي إسحاق السبيعي، عن عبد الله ابن خليفة، عن عمر رضي الله عنه، ولفظه: ((إذا جلس الرب على الكرسي، سمع له أطيظ كأطيظ الرجل (الجديد)).³ والحديث الذي روي عن أبي موسى رضي الله عنه قال: ((الكرسي موضع القدمين وله

1 شرح حديث النزول، تقي الدين ابن تيمية، المكتب الإسلامي - لبنان، ط05: 1397هـ - 1977م، ص112-114.

2 ينظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط1: 1422هـ، ص61.

3 الأثر: أوردته الذهبي في العرش، ج2، ص154 (99) (مرجع سابق).

أطيطُ كأطيط الرحل)).¹

وقد جاء في سند الرواية التي عمد إليها المسيء ليبين أن للعرش أطيط، حدثنا محمد بن بشار، ثنا وهب يعني ابن جرير، قال: ثنا أبي قال: سمعت محمد بن إسحاق، يُحدِّث عن يعقوب بن عُتبة، عن خُبَيْر بن محمد بن خُبَيْر بن مُطْعِمٍ، عن أبيه، عن جده، قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي، فقال: يا رسول الله، جُهدت الأنفس... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((...أتدري ما الله؟ إن الله على عرشه، وعرشُهُ على سماواته، وسماواتُهُ على أرضه، هكذا)) وقال بأصابعه مثل القبة، وإنه لِيَحِطُّ به مثل أطيط الرَّحْلِ بالراكب".²

وأجيب عن ذلك بالآتي: أمَّا الأثر الأول: فإن كان الذهبي قد ذكره، فإن من اختصر علو الذهبي قال فيه: "هذا إسنادٌ ضعيف".³ ثم إن ابن حجر العسقلاني قال في عبد الله بن خليفة الهمداني (أحد رواة السند): "لا يكاد يُعرف".⁴ وذهب البعض الآخر إلى أن هذا الحديث "لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده مضطرب جداً وعبد الله بن خليفة ليس من الصحابة فيكون الحديث...مرسلاً".⁵

وعن الأثر الثاني: فقد أجيب عنه بأن "ليس للأطيط مدخل في الصفات أبداً بل هو كاهتزاز العرش لموت سعد وكتفطر السماء يوم القيامة ونحو ذلك".⁶ هذا واختار أهل الحديث أن يُروى ما أثبتته الشرع

1 الأثر: ذكره محمد ناصر الدين الألباني في مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي، المكتب الإسلامي، ط02: 1412هـ-1991م، ص123.

2 الحديث: ذكره ابن خزيمة في التوحيد، باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى، ج1، ص239.

3 مختصر العلو، الألباني، ص169 (مرجع سابق).

4 لسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني، تح: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط01: 2002م، ج09، ص338.

5 العلل المتناهية، ابن الجوزي، ج01، ص05 (مرجع سابق).

6 العلو، الذهبي، ص107 (مرجع سابق).

في مثل هذه المسائل، مع الإيمان بها، وأن يُتعد عن تأويلها وتفسيرها، وأن لا يقال كيف.¹

أما عن الحديث الذي جاء فيه أن للعرش أطيظ، فقد ضعفه بعض أهل العلم لضعف ابن إسحاق،² الذي تفرد بالحديث، وقد نُقل أن "مالك بن أنس لا يرضاه، ويحي بن سعيد القطان لا يروي عنه، ويحي بن معين يقول: ليس هو بحجة، وأحمد بن حنبل يقول: يكتب عنه هذه الأحاديث - يعني المغازي ونحوها. فإذا جاء الحلال والحرام أردنا قوماً هكذا. (قال المؤلف) يريد أقوى منه. فإذا كان لا يُحتج به في الحلال والحرام فأولى أن لا يحتج به في صفات الله سبحانه وتعالى، وإنما نقموا عليه في روايته عن أهل الكتاب، ثم عن ضعفاء الناس وتدليسه أساميهم".³

هذا وأجيب عن الأثر المروي عن عبد الله بن عمر، قال: ((إن العرش مطوق بحية، وإن الوحي لينزل في السلاسل)).⁴ بأن الذي قدّر على أن يخلق العرش في عِظْمٍ أكثر من حجم الكرة الأرضية أضعافاً مضاعفة، قادرٌ على أن يخلق حية عظيمة تحيط بالعرش وهو سبحانه على كل شيء قدير.

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾.⁵ بل أقول: ذلك حجة عليك أيها المسيء لا لك، حيث في ذلك دلالة على إعجاز الله تعالى بمخلوقاته وأنّ في قدرته الإتيان بما تعجز المخلوقات على إتيانه، ولا تدركه العقول وإن نبغت واكتشفت. قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَرَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾.⁶ وحق مذهب السلف الذي مرّ معنا من قبول الغيبات الثابتة بالنصوص الشرعية، والتصديق بها وإمرارها على ظاهرها، بلا تأويل أو قول كيف.

1 ينظر: سنن الترمذي، الترمذي، ج4، ص273 (مرجع سابق).

2 ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، الألباني، ج6، ص146 (مرجع سابق).

3 الأسماء والصفات، البيهقي، ج02، ص317 (مرجع سابق).

4 الأثر: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الأدب، باب عجائب المخلوقات، ج8، ص135 (13384).

5 سورة: فاطر، الآية: 45.

6 سورة: الأعراف، الآية: 53.

وعن ما ذهب إليه المسيء من التعارض بين ما زُوري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أذن لي أن أحدث عن ملك قد مرقت رجلاه الأرض السابعة، والعرش على منكبه، يقول: سبحانك أين كنت وأين تكون)).¹ وبين كون الأرض كروية الشكل، تدور باستمرار، الأمر الذي لا يساعد على تثبيت رجلي الملاك الحامل للعرش؟.

أقول: يجاب عن هذا بما أجبت به عن الشبهة التي قبله، وأن هيئة الملاك هذا وحملة العرش، بالرغم من دوران الأرض هي إعجاز لكم. حيث بقدرته سبحانه خلق ما لا تعلمون، ويتحدى بما لا تستطيعون، فهذا دليل على أن الله القدرة المطلقة، لا العكس.

أمّا عن شبهة المسيء من كلام الله مع الديك الذي لا عقل له، انطلاقاً مما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله جل ذكره أذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض، وعنقه مثني تحت العرش وهو يقول: سبحانك ما أعظمك ربنا. فيردّ عليه: ما علم ذلك من حلف بي كاذباً)).² فيجاب عن هذه الشبهة بما أجاب به ابن قيم الجوزية لمّا قال: "وبالجملة فكل أحاديث الديك كذبٌ إلا حديثاً واحداً: ((إذا سمعتم صياح الديكة فسالوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً))."³ وقال البعض الآخر: "هذا الحديث من قول كعب الأحرار".⁴ ونقل عن ابن الجوزي أيضاً حكمه على الحديث بالوضع.⁵ ومتى ثبت أن الحديث موضوع، بطل الاستدلال به.

1 الحديث: رواه ابن حجر العسقلاني في المطالب العلية بزوائد المسانيد الثمانية، دار العاصمة، دار الغيث - السعودية، ط1:

1419هـ، كتاب بدء الخلق، باب الملائكة عليهم السلام، ج14، ص191 (3436).

2 الحديث: رواه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، كتاب الدعاء، الترهيب من اليمين الكاذبة الغموس، مج02، ص741 (1839).

3 المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ابن قيم الجوزية، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، ط1: 1390هـ - 1970م، ص56.

4 الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة، عبد الرحمان المعلمي اليماني، المطبعة السلفية ومكتبتها، عالم الكتب - بيروت، (د.ط)، 1406هـ-1986م، ص183.

5 ينظر: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، محمد أبو شُهبة، ص126 (مرجع سابق).

وعلى فرض صحة الحديث أقول: ينبغي التسليم لما ثبت في الحديث، وردّ الشبهة لدليل آخر أراه، وهو قول الحق تبارك وتعالى عن نفسه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.¹ أضف إلى هذا أن الحديث حجة على المسيء، حيث يستفاد منه قدرة الله تعالى على إنطاق من ليس بناطق، ليقر بعظمة الخالق سبحانه، وفي هذه القدرة دلالة على ربوبيته، وهو ما لا يستطيع المخلوق إليه سبيلاً.

وعن تكذيب المسيء بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن مما خلق الله تبارك ديكاً برائته على الأرض السابعة وعرفه مُنطَوِّ تحت العرش قد أحاط جناحاه بالأفقين فإذا بقي ثلث الليل الآخر ضرب بجناحه...)).² وزعمه أن لو وضع الديك قدمه على الأرض السابعة لأحرقها الحديد المنصهر.

فأفند هذا وأقول: الله قادر على أن يضع قدم الديك على الأرض السابعة، دون أن تحترق رجلي الديك. أليس من خلق الأراضي السبع وجعل في باطنها معادن من حديد وغيره، وجعل من خصائص الحديد الإنصهار بسبب الضغط، هو هو قادر على أن يغيّر هذه الخاصية. كيف لا ولنا في قصة أبينا إبراهيم عليه السلام لعبرة، لَمَّا وضعه الكافرون في النار، فأوحى من خلق النار إليها ﴿يَنَارٌ كُؤُنِي بَرْدًا وَسَلْمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾.³ فتغيرت خاصية حرارة النار، وغدت معكوسة (برداً)، ولم يحترق أبينا إبراهيم. وكانت قدرة تغيير خاصية النار من حرارة إلى برودة إعجازاً للكافرين، وإذلالاً للمعاندين المستكبرين، ودليلاً على قدرته المطلقة سبحانه. وحق قول القادر: ﴿وَأَزَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾.⁴

وعن تكذيب المسيء برسول الله صلى الله عليه وسلم، واستهزائه به لَمَّا وصفه بالجاهل وهو يعرض قوله عليه السلام: ((...فينزل تبارك وتعالى، يحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعاً، أقدامهم على

1 سورة: الأنبياء، الآية: 23.

2 الحديث: ذكره جلال الدين السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1: 1417هـ-1996م، ج 1، ص 61.

3 سورة: الأنبياء، الآية: 68.

4 سورة: الأنبياء، الآية: 69.

تُحوم الأرض السفلى والسموات إلى حُجْزهم، والعرش على مناكبهم. فوضع الله عز وجل عرشه حيث شاء من الأرض...¹ واستكبر المسيء وقال: كيف يمكن وضع العرش والذي هو أكبر من السماء (مليارات السنوات الضوئية) على الأرض التي قطرها عدة كيلومترات!!، بل سيضعه على جزء من الأرض!!! .

ويجاب عن ذلك: أن بعض أهل العلم ضَعَّف الحديث، لوجود إسماعيل بن رافع في سند هذه الرواية. وقيل أن في سياقات الحديث اختلاف ونكارة، كأن إسماعيل جمع مختلف الطرق التي جاء بها الحديث وساقه من عنده سياقة واحدة.² وقال ابن كثير: "غريب جداً"³، فالضعف من الوجهان (السند، المتن).

وعلى فرض صحة الحديث، فإن الله قادر على أن يفعل ما يشاء، فله الخلق وإليه التدبير، وهو قادر على أن يمدّ في حجم الأرض، أو أن يطويها. وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الحقيقة، وهو يقص على أصحابه قصة رجل فيمن كان قبلهم، قال: ((كان في بني إسرائيل رجلٌ قتل تسعة وتسعين إنساناً، ثم خرج يسأل، فأتى راهباً فسأله فقال له: هل من توبة؟ قال: لا، فقتله فجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا، فأدرِكْ الموت، فناء بصدرة نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقرّبي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدتي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له))⁴.

ووجه الدلالة من الحديث: أن الله تعالى أوحى إلى أرض الطاعات وأمرها بأن تقترب، كما أمر أرض المعاصي أن تباعد، فقربت الأولى وتباعدت الأخرى، وتبين أن الله قادر على أن يمد الأرض وأن يطويها، وبطل زعم المسيء من أن وضع العرش على الأرض مجرد خرافة.

1 الحديث: ذكره الطبري في تفسيره، ج4، ص267 (مرجع سابق).

2 ينظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، (د.ط)، 1424هـ - 2003م، ج19، ص322، 323.

3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج03، ص287 (مرجع سابق).

4 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ج4، ص174 (3470).

وعن زعم المسيء من أن ليس لله مطلق القدرة، وأنه ليس بغني، حيث يحتاج إلى العرش وحملته، تأويلاً لقوله عليه السلام: ((... فينزل تبارك وتعالى، يحمل عرشه يومئذ ثمانية...)).¹

أقول: ثبت بالنص الصحيح الصريح أن للعرش حملة، وأنهم ثمانية ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾.² كما ثبت بالنص الصحيح الصريح أن الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.³ فإن كان يستفاد من جلوس مخلوق على كرسي يحمله آخرون، أن هذا المخلوق فقيرٌ لغيره، محتاج إليهم، وأنه عاجز، فذاك لا ينطبق على من لا نظير له.

كما أن من خلق لا يعقل أن يحتاج لهذا الذي خلق، ولو كان مفتقراً إليه لعجز عن أن يخلقه. فقياس عجز المخلوق المحمول على الله تعالى قياسٌ مع الفارق، إذ المخلوق عاجز ويحده المقدار وتحيط به الجهات، وتعتريه العوارض، وتنزه الله عن جميع ذلك.

ومما سبق يمكنني القول: أن ما حصل في هذا الفيديو من تجسيد الذات الإلهية وتشبيه صفات الخالق بصفات مخلوقاته، هو نفي صريح للصفات التي تفرد بها الخالق عز شأنه، وأثبتها لنفسه، وبيّنها لخلقه، وذلك ضلال مبین لا يحتاج لكشفٍ أو بيان. وأمرُ المسيء ظاهر من الدعوة للكفر والإلحاد في أقوى الوجوه دلالة.

فالكتابة والرسم المفيدان الاستهزاء والسخرية بالله، تعالى عن إفكهم علواً كبيراً، لهما مفسدتان بلغتا مبلغ الكفر الصريح. كيف لا وقد استهدفت الإساءة في هذا الفيديو العقيدة الرئيسية التي تتوقف عليها جميع أحكام الإسلام وتعاليمه، ألا وهي وحدانيته عز شأنه في ذاته وصفاته.

وإني أقول: أن الذات الإلهية أعظم من أن تصل إلى حقيقتها العقول أو تتوهمها القلوب بالتصوير، فإن قال المسيء المجسم للذات الإلهية إنه لا يمكن تصور الصفات إلا مقرونة بجسم.

1 الحديث: سبق تخريجه في ص 228.

2 سورة: الحاقة، الآية: 16.

3 سورة: الشورى، الآية: 9.

قلتُ: الجسم يستلزم ضرورة وجود صانع، وهذا محال في حق صانع لم يُصنع. كما أن المتأمل في السماء وامتدادها، وكيف أنها قائمة بغير عمد، وفي الأرض وانبساطها، وفي البحار وما فيها من مخلوقات تفوق عدد المخلوقات الموجودة على سطح الأرض يرزقها جميعاً في آن واحد بقدرته ورحمته يدرك بدهاءة أن خالق هذه المخلوقات هو أعظم منها، وأنه لم يكن يوماً جينياً فرضيعاً... فرجلاً كالذي جسده هذا الفيديو.

وإن كان كذلك، فمن كان يرعى العالم ويدبره لَمَّا كان هذه الإله شديد الضعف عاجزاً كحال الأجنَّة والرُّضع؟!، بل قل من كان يرعى هذا الإله الجنين الرضيع؟!، أم كيف سيغدو العالم عندما سيموت هذا الإله، بعد أن يصل به المطاف إلى آخر مرحلة عمرية من عمر الإنسان؟!.

إنه عمل ﴿يَكَادُ السَّمَوَاتِ يَتَّبَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ ^(١) ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ^(٢) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا^١. فالذي جسده الذات الإلهية على هيئة إنسان هو ضالٌّ جاهل لحقيقة أنه سبحانه بصير لكن من دون حدقة وأجفان، سميع لكن من دون آذان، متكلم لكن من دون شفة ولسان، وهو سبحانه منزه عن مقدار يحده أو جهة تحيطه، مقدس عن أن تحله الحوادث أو تعتريه العوارض. لذا ينبغي تنزيهه عن الجسمية المركبة من لحم وعظم، وتنزيهه وتقديسه عن مشابهة الأجسام وصفاتها.

كما أن النقل يثبت أن الله تعالى متفرد في صفاته، ولا يجوز منازعته سبحانه في شيء منها. من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما قالاً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((العزُّ إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عدبته)).² فلا يجوز للمخلوق منازعة المولى تبارك وتعالى في صفاته هذه، ولا في غيرها من الصفات. وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله: "التعالي والتكبر والثناء على النفس وأمر الناس بعبادته ودعائه والرغبة إليه ونحو ذلك مما هو من خصائص

1 سورة: مريم، الآيات: 91 - 93.

2 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، ج4، ص203 (136).

الربوبية هذا كمال محمود من الرب تبارك وتعالى وهو نقص مذموم من المخلوق...وجملة ذلك: أن الكمال المختص بالربوبية ليس لغيره فيه نصيب فهذا تحقيق اتصافه بالكمال الذي لا نصيب لغيره فيه. ومثل هذا الكمال لا يكون لغيره فادعائه منازعة للربوبية وفريّة على الله".¹

وعليه فإن منازعة الخالق تعالى في صفاته عن طريق التجسيم في هذا النموذج، انحراف عن الحق وكفر وإلحاد بصفات الخالق، ومغالطة للنفس بوصفها ما لا تستحق من الصفات، وإنزالها مقاماً لا يناسبها. والذي يناسبها مقام العبودية لله، والتذلل والخضوع له سبحانه، والتواضع مع خلقه كما أمر.²

وما قيل عن تنزيه صفاته جل جلاله يقال عن أفعاله أيضاً، فإن ثبت في الشرع على سبيل المثال أنه بنى السماء، فينبغي أن يُعلم أنّ فعله هذا ليس كفعل عباده في البناء المستلزم استحضار أدوات البناء والقيام بفعل البناء. وهكذا الحال بالنسبة لكتابه تعالى التوراة، بل الكمال المطلق منسوبٌ لأفعاله. وكيف تشبه ذاته العلية ذوات المخلوقات، وهو بنفسه مستغنٍ عن المخلوقات. أم كيف تشبه صفاته وأفعاله المقدسة صفات مخلوقاته وأفعالهم التي لا تنفك عن النقص والعِلل، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

لقد شهدت الفطر والعقول والنقول بأن الخالق لا يشبه مخلوقاته في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله من شيء. والمتأمل لجميع ذلك لن يجد إلا أن يردد قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ³ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. فهو مقدس عن الزوال والمثال.

1 مجموع الفتاوى، تقي الدين بن تيمية، تح: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المملكة العربية السعودية، (د.ط)، 1416هـ-1995م، ج6، 137 - 139.

2 ينظر: سد ذرائع القدح في التوحيد(دراسة حديثة موضوعية) (أطروحة دكتوراه)، بركة بنت مضيف بن علي الطلحي، إشراف: د/عاصم ابن عبد الله الخليلي، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين - قسم السنة وعلومها، 1431هـ - 1432هـ، مج: 01، ص311.

3 سورة: الإخلاص، الآيتان: 03، 04.

فواعجباً من كل جاحدٍ لما أثبتته الخالق لنفسه، وهو يرى الأدلة اليقينية في كل محدث تثبت أنّ الصانع مخالف للمحدثات، لا يشبهها في شيء، ثم يحاول إثارة الشبهات وإلباس الحق بالباطل ليقول بعد ذلك لا صانع، أو أنه يماثل المحدثات.

ولمّا كان سبحانه مستغني عن المخلوقات، فإن الإساءة لذاته المقدسة لا يرجع شيء من مفاسدها عليه تعالى. إنما ترجع مفاسدها على المسيء بالدرجة الأولى، لمّا جنى على نفسه جناية عظيمة، ولن يضر الله شيئاً. فهو سبحانه أعظم من أن ينال منه جهل جاهل، أو وهمٌ واهمٌ ما قدّر الله حق قدره. لذا على الإنسان أن يثبت لله سبحانه وتعالى تلك الصفات التي أثبتتها جلّ وعلا لنفسه، في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه الأمين، مما ورد به الشرع من غير تمثيل ولا تكييف. وفي الوقت ذاته ينفي صفات النقص عن الحق تعالى. وليعلم يقيناً أن كل ما خطر بباله فالله سبحانه بخلاف ذلك، تلك هي الخطة المثلى والحد الأقصى الذي يمكن للعقل البشري القاصر أن يصل إليه، في أشرف صفات الكمال له تعالى.

المطلب الثاني: الإساءة إلى أسماء الله الحسنى (مسلسل أبطال 99 أنموذجاً).

الفرع الأول: وصف مسلسل أبطال 99.

قام الرئيس التنفيذي لمؤسسة كومكس الكويتية الدكتور: نايف المطوع، الكويتي الجنسية بإنتاج مسلسل كرتوني للأطفال (رسوم متحركة)، بعنوان أبطال 99. تمّ ذلك بشراكة مع مؤسسة أنديمول البريطانية. وعن بداية الفكرة، يقول المطوع أنه انطلق من سؤال مفاده: هل يمكن لرجل واحد أن يمتلك حكمة ومعارف جميع البشر؟. كما يضيف قائلاً عن الأسباب التي دفعته لإنتاج هذا المسلسل أنها تتمثل في نقطتين:

أولها: واقع الإسلام المأخوذ كرهينة بالنسبة للمتطرفين، حيث أصبح الإسلام ملازماً لمعنى الإرهاب،

أو بعبارة أخرى بُعد المسلمين عن الإسلام.

وثانيها: أن صورة الإسلام مشوهة أمام الغرب، خصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م.

لذا فإن المقاصد من هذا الإنتاج على حدّ تعبير المطوع تكمن في:

01: إعادة نقل المسلمين إلى الإسلام.

02: تحسين صورة الإسلام أمام الغرب، من خلال شرح التسامح الموجود في الإسلام.

03: إشاعة ثقافة تقبل الغير مهما كان دينه، أو أصله، أو جنسه.

وعن فكرة المسلسل، فإنها تدور حول تصوير أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين في شكل شخصيات (ذكور وإناث) لإبطال خارقون من مختلف أنحاء العالم، يظهر مع كل بطل اسم من أسماء الله الحسنى، كميميت وباطن وجبار وصمد وجليل وفتاح، يحمل كل واحد منهم حجراً من الأحجار المفقودة، التي تختزن بداخلها المعرفة التي احتوتها كتب "دار الحكمة" بمدينة بغداد قبل أن يدمرها المغول إثر اجتياحهم لها. والجدير بالذكر أن هذه الأحجار التسعة والتسعين تمنح حاملها قوى خارقة تستند إلى أسماء الله الحسنى، فمجبية مثلاً تعلم بجميع الأمور ودقائقها.

ويواصل المسلسل في تصوير أبطاله الذين تتناقض أوصافهم مع أسمائهم في أحيانٍ عدة، كتصوير البطل عليم بأنه كذاب، ويبرر كذبه بقوله: أنا مجرد طفل.

كما يصور البطلين جبار وضار بأنهما يشعران بالغباء، ويصرّحان بهذا. أما عن البطل ضار، فيتعرض المسلسل لشرح اسمه بمعنى الإيذاء، وأن هذا البطل يضحك فرحاً لرغبته في الإيذاء.

وفي نهاية المسلسل يصطف الأبطال التسعة والتسعون الذين مثلوا أسماء الله الحسنى في صورة تجمعهم

لمقصد سيأتي بيانه. وبعضهم يظهر صراحةً رمز عبادة الشيطان الذي تعارف عليه الكفار، من رفع الإبهام والخنصر وثني باقي أصابع اليد.

هذا وقد صرح نايف المطوع بأن هذا العمل استغرق منه عشر سنوات تقريباً لإنتاجه، كان بدايتها سنة 2004 للميلاد. كما أثنى بدوره على عمله بقوله: "إن فكرة المسلسل أمسكت أذهان العالم بطريقة غير مسبوقة، ما أهل عملي هذا لأن يكون ضمن السلسلة الجديدة في شكل كتاب، التي تكلم عنها الرئيس الأمريكي أوباما، التي تحوي مسلسلات مشهورة كباتمان، وسوبرمان وغيرها. والتي نزلت في نيويورك، ووزعت في جميع مكتبات أمريكا".

أما عن آفاق المشروع يصرح صاحبه (المطوع) بأنه متحمس لبث الجزء الثاني من هذا العمل، ويدعو الجميع لأن يسيروا على خطاه بقوله: "إذا استطعت أن أنتج هذا في مكان أيّ أحد أن يعمل هذا". وقد بثت قناة آم بي سي 3 هذا المسلسل، ونُشرت بعض لقطاته على موقع التواصل الاجتماعي: يوتيوب.

الفرع الثاني: الرد على مسلسل أبطال 99.

يكشف نايف المطوع للعالم عن درجة الجهل والضلال التي وصل إليها لَمَّا انطلق من سؤال بني عليه مشروعه يعرف إجابته كل إنسان، لِمَا تُوصِلُهُ إليه فطرته قبل أن توصله الأدلة العقلية والنقلية إلى ذلك. فاتضح أن من يصفه كثير من الغربيين بالمبدع، والرئيس الأمريكي أوباما أحدهم، والذي خصص دقيقتين من وقته لشكر نايف المطوع على فعلته أمام ملاً من الناس ووصفه بأنه مبدع.

أقول: اتضح جهل المنتج من البداية والسؤال الذي انطلق منه إلى النهاية أين توصل لنتيجة مفادها أنه لا يمكن لقوة واحدة أن تجتمع فيها حكمة ومعارف جميع البشر، وهذه المعارف كما يُصرِّح بها المسلسل هي الأوصاف التي تدل عليها أسماء الله الحسنى التسعة والتسعون. حيث المطوع ينفي

اجتماع الصفات الإلهية في ذات واحدة (ذات الله العلية)، وما تمثل هذه الصفات مقرونة بعدة شخصيات سوى دليلاً على ذلك.

ولا غرابة في هذا، حيث أن العمل الفاسد لا ينتج عنه إلا آثاراً فاسدة كما يُقال. فهذا العمل هو عين الجهل لا الإبداع، إذ الإبداع ليس أن تخالف البديهيات الواضحات لتأتي بما لا يقبله عقل أو يُقرّه نقل. الإبداع أن تأتي بجديد مفيد فيه مصلحة للإنسانية، لا جديد اجتمعت فيه المفاصد والمضار.

أما عن مقاصد المطوع من هذا الإنتاج، التي صرح بها، فأفندتها بتحليل كل مقصد على حدة فيما يلي بإذن الله.

أ: **تفنيد المقصد الأول.** يذهب الدكتور نايف المطوع بأنه يقصد إلى إعادة نقل المسلمين إلى الإسلام، من خلال شرح قيم التسامح الديني التي يصورها المسلسل. وهذا الإدعاء ظهر بطلانه وعدم صدقه، وذلك من وجوه.

الوجه الأول: إبطال الوجدانية.

إن المتتبع لفصول المسلسل لا يجده يظهر القيم الإسلامية، بقدر ما يهدمها ابتداءً من إبطال وجدانيته تعالى في ذاته وصفاته وأسمائه. وسأركز على تفنيد دعوى المطوع من إبطال وجدانيته تعالى في أسمائه، لأن الحديث عن وجدانيته تعالى في ذاته وصفاته قد تعرضت لها في النموذج السابق (فيديو الإله الإسلامي...).

إن الدكتور المطوع أساء للذات العلية لَمَّا سَمَى أبطال مسلسله الخارقين بأسماء أثبتتها الله تعالى لنفسه، وبين أنه متفرد بها سبحانه. وبعمله هذا يكون قد نازع الله في أسمائه، التي لا تنبغي إلا له. بدليل قول الحق: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ¹. فأخبر الله تعالى أن الأسماء الحسنى هي التي له دون غيرها، ثم أمر المسلمين أن يدعوه بها: أي يعبدوه ويطلبوا منه بما قضاء حوائجهم، ثم حثهم على الإخلاص بنهيهم عن سلوك طريق الملحدن المائلين بها عن وجه الحق إلى أوجه الباطل، مخبراً عما ينتظرهم من جزاء يجزيهم ويسوؤهم. فيجب على المسلمين ألا يفعلوا كمثل صنيعهم². وقد تمّ بيان هذه الأسماء الحسنى في نصوص شرعية أخرى، فعلى سبيل التمثيل يستفاد من قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيلُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³ أن اسم الجبار الذي سمي به الدكتور المطوع أحد أبطاله هو من أسماء الله الحسنى، التي تفرد بها عز شأنه. كما شأن اسم الصمد، الذي أثبتته الله لنفسه، بقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾. وقد جعله المطوع اسم أحد أبطاله.

وكذا الحال بالنسبة لاسم الباطن، فقد ثبت أنه اسم من الأسماء الحسنى التي لا تنبغي إلا له جلّ وعلا، بدليل قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁵. أما عن كون اسم الفتح من أسماء الله الحسنى، ما ثبت في قول الحق: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾⁶. وعن اسم البطلة نورا المقتبس اسمها من اسم الله النور، الوارد في قوله

1 سورة: الأعراف، الآية: 180.

2 الأسماء الحسنى معانيها وآثارها والرد على المبتدعة فيها (أطروحة دكتوراه)، رفيع أوونلا بُصيرى الإحيوى، إشراف: د/صالح بن سعد السحيمي، المملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة، 1413هـ-1992م، ص108.

3 سورة: الحشر، الآيتان: 23، 24.

4 سورة: الإخلاص، الآيتان: 1، 2.

5 سورة: الحديد، الآية: 03.

6 سورة: سبأ، الآية: 26.

تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.¹ كما اسم مُجِيبَة المقتبس اسمها من اسم المجيب، الوارد معناه (حيث أن معاني الأسماء هي صفاتها) في قوله: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ بِهَا بِاسْتَعْمَرُوهُ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾.² واسم الله المميت، الوارد في قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾.³ هذا وقد ثبت أن اسم جليل وغيره من أسماء هؤلاء الأبطال هي من أسماء الله الحسنى، كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ لَهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةٌ غَيْرَ وَاحِدَةٍ، مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمَعزُ، الْمَذَلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيفُ، الْمُقِيتُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمَجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمُتِينُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْحَصِيُّ، الْمُبْدِئُ، الْمَعِيدُ، الْمَحْيِي، الْمَمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاجِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخَّرُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِي، الْمُتَعَالَى، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُتَّقِمُ، الْعَفْوُ، الرَّءُوفُ، مَالِكُ الْمَلِكِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمُقْسَطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمَغْنِيُّ، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ)).⁴ فتبين أن الأسماء التي سُمي بها الدكتور المطوع أبطاله هي أسماء خاصة بالله تعالى، لا يجوز منازعته فيها.

1 سورة: النور، الآية: 35.

2 سورة: هود، الآية: 60.

3 سورة: الأعراف، الآية: 158.

4 الحديث: رواه الترمذي في سننه، كتاب باب ما جاء في عقد التسييح باليد، ج05، ص411 (3507)، وقال: هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح: وهو ثقة عند أهل الحديث.

وعلى غرار ذلك فإن المطوع وقع في طامة كبرى أخرى، ألا وهي تمثيل المعاني والصفات التي دلت عليها هذه الأسماء، ليُبطل أن صفات الله تعالى كلها صفات كمال. فمثلاً حاول تفسير وتمثيل معنى الضار بالإيذاء، وهو وصف نقص.

وأقول: في الحقيقة هذا حجة عليه لا له، حيث هذا الوصف وصف نقص في حق بطله، ولا يكون وصف كمال إلا بإطلاق ما يقابله (النافع) مقروناً معه، لأنه من الأسماء المزدوجة. والمطوع لا يستطيع فعل ذلك طبعاً، لأنه جعل لكل اسمٍ ذات. فأثبت دون أن يشعر حقيقة أن هذه الصفات هي صفات كمال في حق الخالق تعالى وحده، وصفات نقص في حق المخلوق.

وكذا الحال بالنسبة لاسم المميت الذي سمي به أحد أبطاله، وقد أكد هذه الحقيقة كسابقه. ومتى ثبت أن صفات الله تعالى كلها صفات كمال، ثبت ضرورة أن أسماءه كلها حسنى. وحق على منتج هذا المسلسل قول الحق: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَهُ

وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.¹

الوجه الثاني: الدعوة للتناول والجرأة على الأحكام الشرعية والقيم الإسلامية.

كما يظهر بطلان دعوى الدكتور المطوع من قصده لإعادة نقل المسلمين إلى الإسلام في المقطع الذي يصور البطل عليم بأنه كذابٌ ومخادع، وعندما يكتشف بعض أصحابه كذبه يرد عليهم مبرراً فعله بأنه مجرد طفل. وبذا تجد المسلسل يغرس في الناشئة الأخلاق السيئة (الكذب)، ويعلمهم أن الطفولة هي مسوغ لاقتراف الخطايا، وبذا يزرع فيهم الجرأة على إتيانها، ويقربهم مما حذر منه الله على لسان نبيه الأمين: ((... وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)).² بل ويتعد بالمؤمنين عن وصف الإيمان، كما هو ظاهر من إجابة الصادق المصدوق عليه السلام لما سأله أصحابه عليهم

1 سورة: التوبة، الآية: 32.

2 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ }، ج8، ص25 (6094).

الرضوان: أيكون المؤمن جباناً؟ فقال: ((نعم))، فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ فقال: ((نعم))، فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال: ((لا)).¹

وتزيد الإساءة للذات المقدسة خُبثاً لَمَّا يُحاول المطوع إبطال معنى اسم العليم صراحة، ليصفه بالكذاب كما أفهمه من قول أصحاب البطل عليم له، وهو يبرر كذبه: "إنك أكثر من طفل يا عليم، بل من التسعة والتسعين"، وتعالى الله عن افكه علواً كبيراً. فأين القيم الإسلامية التي قال الدكتور المطوع أنه يسعى لدعوة المسلمين أن يتمسكوا بها. والحق أن يقال: أنه يقصد لإيجاد أجيال لا تعرف ربها وخالقها، فضلاً عن أن تُحبه أو تطلب رضاه أو تقدّسه.

الوجه الثالث: الدعوة للردة.

وقد اتضح ذلك أكثر لما دعا الناس لاقتفاء أثره بقوله: "إذا أنا استطعت أن أنتج هذا فيإمكان أي أحد أن يفعل هذا".

ب): تفنيد المقصد الثاني. أمّا عن تفنيد زعم المطوع من أنه يقصدُ إلى تحسين صورة الإسلام أمام الغرب، والتي ارتبطت بفكرة الإرهاب عندهم. فأقول: هذا أمرٌ انكشف زيفه، وقد بدا الأمر معكوساً تماماً. حيث يساهم عمله هذا في ترسيخ الفكرة المشوهة عن الإسلام، وما البطل الذي أسماه ضار وفرحه وهو يفسر اسمه بأنه مؤذٍ، ومصادقة صديقه على ذلك بقوله: بالتأكيد، وتأديته دور إيداء وإرهاب الآخرين سوى دليلاً قوياً على إيصال رسالة إلى الغرب، مضمونها أن القيم الإسلامية التي يقول أن أبطاله يشرحونها تتعارض مع السلام، وتدعو للعنف والإرهاب.

كما أفهم من تصريح البطلين جبار وضار بأنهما يشعران بالغباء، أنها رسالة يُتهم فيها الدين الإسلامي بأن أتباعه وامتنال قيمه يؤدي للغفلة والغباء، وعدم الوعي بالمصالح. فأين دعوى المطوع

1 الحديث: رواه مالك في موطأه، كتاب الكلام، باب ما جاء في الصدق والكذب، ج02، ص990 (19)؛ والبيهقي في

شُعب الإيمان، حفظ اللسان "عما لا يحتاج إليه، ج06، ص456 (4472).

من تحسين صورة الإسلام؟!.

أضف إلى ذلك، تصوير القيم الإسلامية في شخصيات خارقة خيالية، وما أجدها سوى رسالة يبعث بها الدكتور المطوع للغرب وغيره، يتهم فيها الإسلام بأنه يقوم على عقائد خيالية وهمية.

ج): تنفيذ المقصد الثالث. وعن تنفيذ زعمه من أن قصده من المسلسل إشاعة ثقافة تقبل الغير، مهما كان دينه أو أصله أو جنسه. أقول: ليس معنى أن أقبل الآخر أن أكفر بالثواب والمقدسات التي أو من بها، ويفكر الغير بما عنده لالتقي على الإلحاد المشترك، فهذا ضرباً من الجنون. وقصدك هذا يا نايف لا يقبل على إطلاقه، فمحاورة الآخر وقبوله تكون في مسائل دون أخرى، وما الخوض في ذات الله العلية إلا واحدة من تلك المسائل المنهي عن الخوض فيها. وقد ذكرت في مسلك حفظ الدين بمدافعه الجدل في الله الأدلة على ذلك، والحكمة من النهي عنه، وكيف أن العقل البشري يعجز عن إدراك كنه الذات العلية، وأن هذا الخوض لا ثمرة علمية أو عملية تنتج عنه. فلا يصح محاباة الغير على أساس الإفتراء على الله تعالى ﴿لِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾¹، فإن تعاليت واستكبرت بعد هذا البيان، فلا أستبعد حينها أن يكون مقصودك الحقيقي من هذا الإنتاج هو الحصول على الشهرة، والذي قد يظهر من خلال القرائن الآتية:

01: تصريح المطوع: "أن فكرة المسلسل أمسكت أذهان العالم بطريقة غير مسبوقه." فبدل من الالتفات إلى الضجة التي أثارها المسلسل، وما قد ينتج عنها من آثار سلبية، التفت المطوع إلى الدهشة التي أصابت الناس، ولم يُعرب عن نوع هذه الدهشة إيجابية هي أم سلبية؟. الأمر الذي يؤكد أن قصده الشهرة ليس إلا، وهو ما يفسر تركيزه على لفظ الدهشة وهو يثني على عمله.

02: تعاونه في هذا الإنتاج مع مؤسسة أنديمول البريطانية، وكتاب متخصصون في إنتاج سيناريوهات

1 سورة: يونس، الآية: 69.

ومسلسلات الكرتون الشهيرة. فالمطوع كان يعير الاهتمام للشهرة وما يوصله إليها، وإن كان على حساب المضمون.

03: بعد تكريم الرئيس باراك أوباما له، أعلن أنه متحمس لبث الجزء الثاني لهذا المسلسل.

04: تصريحه أمام بعض الفضائيات بأن عمله هذا نزل ضمن سلسلة جديدة رَوَّج لها أوباما، ومسلسله جزء منها، وأنها موجودة في جميع مكتبات أمريكا.

05: ثناء الدكتور المطوع على عمله وهو يذكره إلى جانب المسلسلات الكرتونية الشهيرة، كمسلسل باتمان، ومسلسل سوبرمان.

المبحث الثاني: الإساءة إلى القرآن الكريم (فيديو حرق القرآن أنموذجاً).

المطلب الأول: إساءات فيديو حرق القرآن (التنجيس، السب، التمزيق، الحرق).

الفرع الأول: وصف فيديو حرق القرآن.

أمام خلفية العَلَم الأمريكي تقدمت امرأة أمريكية تدعى أجدع ست بعمل استفزازي تسيء فيه للقرآن الكريم، أسمته حرق القرآن. حصل هذا على مرأى ومسمع العالم قاطبة، حيث قامت بنشر إساءتها شخصياً عبر موقع التواصل الاجتماعي يوتيوب.

افتتحت المسيئة عملها هذا ببيان أن النسخة التي تستخدمها في الإساءة هي قرآن صحيح، مطبوع باللغتين العربية والإنجليزية، ثم شرعت تهين المقدس الإسلامي (القرآن الكريم) من وجوه عدة، بيّناها كالاتي:

الوجه الأول: إهانة القرآن الكريم بتنجييسه، وذلك بتحديد صفحات القرآن التي تقصد إثارة الشبه حولها بشرائح من لحم الخنزير القدر، وتضيف مؤكدة مقصودها هذا بقولها: "لأنه (لحم الخنزير) الأفضل أو الأنسب في تحديد صفحات القرآن". ناهيك عن حكم لمسها للقرآن الكريم، الذي لا يمسه إلا

المطهرون.

الوجه الثاني: إهانة القرآن الكريم بتمزيقه قولاً وفعلاً، فقد جاء على لسانها قولها: "بعد القراءة سنقوم بتمزيق هذه الصفحات"، وفعلاً قد جسد قولها.

الوجه الثالث: إهانة القرآن الكريم بحرقه، وقولها الصريح وفعلاً يثبت هذا.

الوجه الرابع: إهانة القرآن الكريم بسبه، حيث استعملت في وصفها للقرآن ألفاظ وعبارات تدلُّ دلالة واضحة على سبها للقرآن. من ذلك أنها لم تمل عقب قراءة ترجمة كل آية تقريباً أثارت الشبهة حولها من ترديد قولها: "كلام شيطاني، إلى الزبالة، فلتذهب إلى الجحيم من حيث أتيت".

الوجه الخامس: إهانة القرآن بإثارة الشبهات فيه، وإجمالاً فقد حاولت إثارة شبهات ثلاث تمثلت في الآتي:

01: القرآن يدعو للعنف والإرهاب وعدم الرحمة عن طريق الجهاد.

02: القرآن يدعو للشذوذ الجنسي مع الأطفال.

03: القرآن يدعو لضرب النساء.

ولكل شبهة حشدت المسيئة مجموعة من النصوص القرآنية، وأجهدت نفسها أحياناً لتفسرها تفسيراً يخدم دعواها.

وفي الأخير صرّحت المسيئة بأنها لن تخضع للإسلام، وأنها لا تخشى على نفسها مما قد سيؤول إليه عملها هذا من ردود أفعال المسلمين (قتلها). كما ادّعت أن مقصودها من هذا العمل هو مكافحة الشيطان في العالم، من أجل إخوانها في أمريكا وفي الكنيسة وفي الإنسانية جمعاء. ووصفت عملها بأنه نضال واجب، ودّعت في الوقت نفسه جميع المشاهدين إلى اقتفاء أثرها في الإساءة للقرآن الكريم.

الفرع الثاني: الرد على فيديو حرق القرآن.

حاولت المسيئة الغربية إهانة القرآن الكريم والاستهزاء به، باعتباره يمثل المرجعية الأولى للمسلمين ، والمصدر الأعلى من مصادر التشريع عندهم. وبذا فإن القرآن الكريم يمثل عقبة قوية أمام تيارات الغزو الفكري الغربي، ويشكل خطورة على عقائد الغرب الباطلة. وبيان ذلك: أن القرآن الكريم يشتمل على قيم إنسانية ومبادئ حضارية، متى تحقق فهمها وتطبيقها على أرض الواقع ساد أهله العالم واعتلوا قيادته.

والتاريخ شاهد صدق، فالقرآن الكريم هو من حوّل المسلمين في فجر الإسلام من رعاة للغنم إلى قادة لجميع الأمم، وهو من حفظ كيان الأمة الإسلامية من أن تعبت بها الأهواء، ومكن المسلمين من مصارعة مكائد الحاقدين. حقيقة لا يزال يثبتها التاريخ متى عاد المسلمون إلى رشدهم، وتمسكوا بالقرآن، والتمسوا نهجه، وحكّموه واقعهم.

ولعل المسيئة هذه أدركت حقيقة أنه متى تمسك المسلمون بالقرآن ووعوه وفهموه لن تقوم للغزو الفكري ولا للغزو الاقتصادي ولا للغزو المسلح قائمة. وبذا فإن أطماع قومها ومصالحهم مرهونة بتطبيق مبادئ القرآن وتعاليمه وجوداً وهدماً، فالعملية طردية في ذلك.

ومتى أدركنا هذه الحقائق فلا غرابة بعد ذلك في عمل المسيئة، وما تضمنه من مختلف أشكال الإهانة والاستهزاء بهذا الكتاب الكريم المقدس، من أجل التهوين بمكائنه، وجهودها للقضاء عليه وإبعاده عن دائرة التطبيق.

المطلب الثاني: إساءات فيديو حرق القرآن (إثارة الشبهات في القرآن، والردود عليها).

المقصود بالشبهة هنا: كل ما يشكك في صلاحية الدين الإسلامي، بقصد حجب الناس عنه.

وفي البداية أنه إلى أنني لن أخوض الكلام حول الشبهة الأولى لأني أراي أفضت الكلام في الرد

عليها في الفصل الأول، تحديداً في مطلب مسلك حفظ الدين بالجهاد. وعن الشبهتين الأخريين أفندهما فيما يأتي بإذن الله.

الفرع الأول: شبهة الإسلام يدعو للشذوذ الجنسي مع الغلمان، والرد عليها.

عمدت المسيئة أجدع ست إلى اتهام الإسلام بأنه يدعو للشذوذ الجنسي بين الرجال والغلمان، انطلاقاً من تحريفها لمقاصد بعض النصوص القرآنية، منها قول الحق تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾¹ وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿٦٦﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ﴿٦٧﴾ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾² وقوله أيضاً: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا﴾³ ثم راحت المسيئة تفتري أن هذه الآيات تعلّم المسلمين جاذبية الجنس نحو الغلمان، ما يُعرض أطفال المسلمين لانتهاكات جنسية طيلة حياتهم، حيث معظم الرجال المسلمين لهم ميول جنسية غير سوية، وأن الشذوذ الجنسي هو معيار ثقافي إسلامي على حدّ زعمها.

وللقول الفصل في المسألة أرجع الحديث فيها إلى أولي العلم بها، أهل التخصص من علم التفسير، لأنهم الأعلم بالمراد من هذه الآيات ودلالاتها. وقد وقفتُ على تفسير بعضهم لهذه الآيات، بما يلي:

أولاً: تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ بأن الآية تخبر عن أوصاف خَدَمِ أهل الجنة بأنهم غلمان لا يكبرون، لهم من الحسن والبهاء ما يشبه اللؤلؤ الرطب المكنون المصون.⁴ وظيفتهم الطواف على أهل الجنة بالمأكولات والمشروبات، كما التحف⁵، التي دل عليها قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن دَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ

1 سورة: الطور، الآية: 22.

2 سورة: الواقعة، الآيتان: 19 - 21.

3 سورة: الإنسان، الآية: 19.

4 ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 07، ص 435 (مرجع سابق).

5 ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 17، ص 69 (مرجع سابق).

أَلَا عَيْنٌ¹. إذن: غاية ما دلت عليه الآية هو وصف خدم أهل الجنة، وبيان وظيفتهم، وأن هذا الحال هو في الحياة الآخرة (في الجنة) لا في الدنيا. حيث أتت الآية في معرض سياق بيان حال أهل الجنة، وجزاءهم فيها. فمن أين افترت المسيئة أن الآية تدعو للاعتداء والشذوذ الجنسي في الدنيا، أم من أين فهمت مكافأة الله تعالى عباده الذين آمنوا على عبادتهم له، وطاعتهم إياه، بلذة جنسية يحصلونها مع هؤلاء الغلمان في الجنة؟!.

ثانياً: أما عن آيات سورة الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿٦٠﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ﴿٦١﴾ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾، فقد بين بعض المفسرين بأن الآيات تعرض أوصاف خدم أهل الجنة (الولدان أو الغلمان)، وأن من أوصافهم أنهم لا يتغيرون بشيبٍ أو كِبَرٍ، بل حالهم مخلّدة باقية على صفة الصغر لا تتبدل ولا تتحول. كما تؤكد الآية أن مهمة هؤلاء الغلمان خدمة أهل الجنة بالطواف عليهم بالآنية من أكواب وأباريق وكؤوس²، لا لوظيفة ممارسة الجنس.

ثالثاً: وعن آية سورة الإنسان: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا﴾، فإنها لا تخرج عن وصف حال هؤلاء الولدان، وأن الناظر إليهم يراهم في أحسن الأحوال وأروعها³ في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم... ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن³. فتبين أن الآيات الثلاثة التي انطلقت منها المسيئة تتهم الإسلام بالإباحية إنما تدل على وصف خدم أهل الجنة، وبيان المهمة التي خلّقوا لها. والقول بغير هذا المعنى الظاهر، والعدول عنه إلى أقاويل لا أساس لها ولا أدلة عليها هو بعدد عن الحقيقة وخوض في الباطل.

فكيف وإن وجد في النصوص الشرعية ما يُفند هذا الباطل ويكذبه ويشهد لعكسه (العفاف والطهر)

1 سورة: الزخرف، الآية: 71.

2 ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 07، ص 520 (مرجع سابق).

3 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 8، ص 292 (مرجع سابق).

صراحة، ويحث على ذلك ويرغب فيه، ويُنزل أشد العقاب على من يأتي الفاحشة بما فيها الشذوذ الجنسي ويتوعد عليه. فقد وردت نصوص عدة في هذا الشأن يدرك الناظر فيها لأول وهلة أن الإسلام دين العفة، وأنه يحارب الرذيلة ويتبعها للقضاء عليها واستئصال شرّها، ويسد منافذها. ولا أدلّ على ذلك من وجود نصوص شرعية متضافرة، تدعو للعفة والطهر.

أضف إلى هذا إجماع علماء الإسلام على أن حفظ الأعراض مقصد عام ضروري من مقاصد الشريعة الإسلامية، قد سلك الإسلام لتحقيقه مسالك عدة، منها:

01:الحث على الزواج والترغيب فيه. من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج)).¹ وقوله: ((إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساداً، قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه؟ قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، ثلاث مرات)).²

02:النهي عن التبرج. من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرَجَ الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى﴾³ وقوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾⁴.

03:النهي عن الخضوع بالقول. ومن تلك النصوص الدالة على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾⁵.

04:الأمر بغض البصر. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ

1 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، ج7، ص3 (5066).

2 الحديث: رواه الترمذي في سننه، أبواب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، ج02، ص386 (1085)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

3 سورة: الأحزاب، الآية: 33.

4 سورة: النور، الآية: 31.

5 سورة: الأحزاب، الآية: 32.

وَيَحْفَظُوا بُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَرْجَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣١﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ
مِنْ أَبْصِرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ بُرُوجَهُنَّ¹.

05: النهي عن الخلوة بالأجنبية. من ذلك قوله عليه السلام: ((لا يخلون رجل بامرأة، ولا تُسافرن امرأة إلا ومعها محرم))، فقام رجل فقال: يا رسول الله، اكتُتبت في غزوة كذا وكذا، وخرجت امرأتي حاجة، قال: ((اذهب فحج مع امرأتك)).²

06: النهي عن مصافحة الأجنبية. يستفاد هذا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لأنَّ يُطَعَنَ في رأس أحدكم بمخيطٍ من حديد خير له من أن يمسَّ امرأةً لا تحلُّ له)).³ كما ثبت عن أمنا عائشة رضي الله عنها قولها: ((والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط...)).⁴

07: الأمر بالتفريق في المضاجع عند النوم. لقوله عليه السلام: ((مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع)).⁵

08: الأمر بالاستئذان. وهذا ما دلَّ عليه قول الل تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا

1 سورة: النور، الآيتان: 30، 31.

2 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجَّة، ج4، ص59 (3006).

3 الحديث: رواه الطبراني في معجمه الكبير، باب الميم، أبو العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير، عن معقل بن يسار، ج20، ص211 (486)؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، ج4، ص326 (7718).

4 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي، ج07، ص49 (5288).

5 الحديث: رواه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ج1، ص369 (6756)؛ وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ج01، ص133 (495)؛ والبيهقي في سننه الكبرى، كتاب الصلاة، باب عورة الرجل، ج2، ص323 (3233)؛ وتشهد للحديث رواية ((مروا صبيانكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع)) رواه الدارقطني في سننه، كتاب الصلاة، باب الأمر بتعليم الصلوات، ج01، ص430 (887).

غَيْرَ بَيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا¹ ودل عليه الحديث الشريف: ((إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع)).²

09: النهي عن القذف. يشهد لهذا قول الحق تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْقَاسِفُونَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.³ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ إِنْ كُنَّ مُؤْمِنَاتٍ لَّعَنَّا لَعْنَةً لِّمُؤْمِنَاتٍ لَّعِنَّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.⁴

10: الأمر بإقامة الحد على مرتكب الفاحشة. ثبت بالنص الشرعي أن الزاني المحصن جزاؤه الرجم، ففي الحديث: ((أن رجلاً من أسلم، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه أنه قد زنى، فشهد على نفسه أربع شهادات، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجم، وكان قد أحسن)).⁵ كما ثبت أن غير المحصن جزاؤه الجلد والنفي، قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.⁶ كما روي عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: سمعت ((النبي صلى الله عليه وسلم يأمر فيمن زنى ولم يحصن: جلد مائة وتغريب عام))⁷، هذا

1 سورة: النور، الآية: 27.

2 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، ج8، ص54 (6245).

3 سورة: النور، الآيتان: 04، 05.

4 سورة: النور، الآية: 23.

5 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب رجم المحصن، ج08، ص165 (6814).

6 سورة: النور، الآيتان: 2، 3.

7 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب البكران بجلدان وينفيان، ج08، ص171 (6831).

جميعه عرضته للرد على الشبهة من جهة العموم.

أما من جهة الخصوص، أجد أن الإسلام حرم الشذوذ الجنسي وتوعد فاعله أشد العقاب، من ذلك قول الحق سبحانه: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْبَهِيحَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴿٨١﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٢﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ عَلَىٰ نَاسٍ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٨٣﴾ بِأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا إِمْرَأَتَهُ ۖ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا بَاطِلًا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾¹ فبين سبحانه أن اللوط الذي فعله قوم لوط إسراف وجهل وعدول عن الفطرة، وقد عاقبهم الله تعالى بأن أمطر عليهم أشد العذاب. كما بينت الآية أمر الله الموجه لرسوله عليه السلام بأن ينظر في عاقبة هؤلاء الذين تجرأوا على عصيان الله بهذا الشذوذ البديع.² وبعض هذه المعاني وردت أيضاً في قول الله تعالى على لسان نبيه لوط عليه السلام ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا لَيْسَ لَنَا بِشَيْءٍ يَلُوطٌ لَّتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْفَالِينَ ﴿١٩﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٢١﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿٢٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا بَاسًا مَّطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾﴾³.

ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن أن حكم الشرع فيمن يقترف

1 سورة: الأعراف، الآيات: 79- 83.

2 ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3، ص444 - 446 (مرجع سابق).

3 سورة: الشعراء، الآيات: 165 - 174.

معصية اللواط، هو القتل. ففي الحديث: ((من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به)).¹ وعنه أيضاً: ((لعن الله من عملَ قوم لوط)) قالها ثلاثاً.² وحكى الذهبي إجماع المسلمون على أن اللواط كبيرة من الكبائر التي حرّمها الله عز شأنه.³

وبذا تبين أن الله تعالى نزه دينه عن هذا النقص والفساد، وما دعواهم إلا افتراء. وهذا الافتراء في الحقيقة يصدق على واقع مجتمع هذه المسيئة الغني عن التعريف، حيث تسن في بعض تلك المجتمعات الغربية قوانين تدعو للشذوذ الجنسي، وإن سمّوه بغير اسمه (الزواج المثلي).

والناظر في أوساطهم الاجتماعية يرى في أحيانٍ عدة قيام حفلات كبيرة احتفاءً بهذا الشذوذ، بل ومطالبتهم بنقض القوانين التي تعدّ الشذوذ الجنسي جريمة. وما ذلك بغريب عن دعاة الحرية الجنسية. فكان المآل أن أدى هذا الشذوذ الجنسي عندهم إلى تعقيدات صحية، واجتماعية خطيرة.

الفرع الثاني: شبهة القرآن يدعو لضرب المرأة، والرد عليها.

تعرض المسيئة للقرآن الكريم في هذا النموذج عن قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾.⁴ بزعمها أن هذا الضرب يتعارض مع التقدم والتحضر، وتكريم المرأة.

وأقول: إن الحكم على الأمور انطلاقاً من النظرة السطحية، خطأً وخطراً عظيم. والصواب أن يُنظر

1 الحديث: رواه أبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب فيمن عملَ قوم لوط، ج4، ص158(4462)؛ والترمذي في سننه، أبواب الحدود، باب ما جاء في حد اللوطي، ج3، ص109(1456)؛ وابن ماجه في سننه، كتاب الحدود، باب من عمل عمل قوم لوط، ج2، ص856(2561)؛ وقال الألباني في إرواء الغليل: صحيح. ج8، ص17.

2 الحديث: رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الحدود، ذكر لعن المصطفى صلى الله عليه وسلم بالتكرار على العامل ما عمل قوم لوط، ج10، ص265(4417)؛ وأحمد في مسنده، ومن مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ج5، ص83(2913)، وحسنه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه المسند.

3 ينظر: الكبائر، شمس الدين الذهبي، دار الندوة الجديدة - بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص56.

4 سورة: النساء، الآية: 34.

للمسألة من جميع جوانبها، فأسبابها ووسائلها ومقاصدها ومراميها... جميع ذلك يشترك في تقديم الحكم المناسب. والإعراض عنه جهلٌ بالدين، وافتراءٌ عليه بالتقول فيه بما ليس منه. وبتتبع أطراف مسألتنا هذه نقف على الآتي:

أولاً: سبب مشروعية الضرب. يبين الله تعالى لعباده سبب الحكم في قوله: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُورَهُمْ﴾ فمخافة النشوز، هو السبب في إيجاد الحكم. ونشوز المرأة "مأخوذ من النَّشَز وهو ما ارتفع من الأرض فكأنها ارتفعت عما فرض الله عليها من المعاشرة بالمعروف".¹

ولما كانت مقاصد الإسلام من الزواج لا تتحقق إلا بالمعاشرة بالمعروف بين الزوجين، مرهونة بها، غدا الضرب بالصورة الآتي ذكرها مسوغ قوي للحفاظ على مصلحة المعاشرة الحسنة، ودرء مفسدة النشوز والعصيان. مع العلم أنه لا يصار إلى الضرب إلا بعد الفشل في الوسيلتين، الوارد ذكرهما على الترتيب في نفس الآية (الوعظ، المهجر).

ووعظ الزوجة تذكيرها بما يلزم من طاعة زوجها، وأنها مسؤولة عن ذلك أمام الله تعالى، كل ذلك برفق. فإن لم تمثل لذلك يُصار إلى الوسيلة الموالية، والمتمثلة في المهجر في المضجع. بأن يديرها ظهره في الفراش، لا هجرها مطلقاً حتى في الكلام. فقد ورد النهي عن هذا في الحديث: ((لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان: فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)).² فإن تحقق المقصود من الوسيلة الثانية فيها ونعمت، وإلا فيصار إلى وسيلة الضرب وفق الضوابط التي بينتها الشريعة الإسلامية، ومن بينها:

ثانياً: ضوابط ضرب المرأة الناشز.

01: أن لا يكون الضرب مبرحاً. نبهت النصوص الشرعية إلى صفة ضرب المرأة الناشز، وأكدت أنه

1 كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور البهوتي، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت)، ج5، ص209.

2 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب المهجر، ج08، ص21 (6077).

خفيف جداً، منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: ((ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوانٌ عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مُبرِّحٍ، فإن اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً)).¹ ولقوله أيضاً: ((لا تضرب ظعنيتك ضربك أُمَيْتَكَ)).² والظعينة يراد بها الزوجة.

02: أن تكون الوسيلة المستعملة في الضرب خفيفة يسيرة. وهذا الضابط يضمن أن لا يؤول الضرب إلى قطع عضوٍ أو جرحه أو كسر عظم، أو ما في معنى ذلك.

03: أن لا يكون الضرب على الوجه أو غيره من الأماكن المخوِّفة. قال عليه السلام لما سُئل عن حق المرأة على الزوج، قال: ((أن تُطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، أو اكتسبت، ولا تضرب الوجه، ولا تُقَبِّح، ولا تهجر إلا في البيت)).³ فتبين النهي صراحة عن ضرب الوجه، ويقاس عليه باقي أعضاء الجسم الحساسة، التي قد يؤول الضرب عليها إلى مفاسد أعظم من مفسدة النشوز.

ثالثاً: مقاصد الشارع من ضرب المرأة الناشز.

يقصد الشارع من إباحة ضرب الزوج لزوجته الناشز إلى التأديب والإصلاح، لا الإيذاء، يظهر ذلك من وجوه عدة، منها:

1 الحديث: رواه الترمذي في سننه، أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ج2، ص458 (1163)؛ والنسائي في سننه الكبرى، كتاب عشرة النساء، كيف الضرب، ج08، ص264 (9124)؛ وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب حق المرأة على زوجها، ج01، ص594 (1851)، وقال الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيح.

2 الحديث: رواه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، حديث لقيط بن صبرة، ج29، ص388 (17846)؛ والبيهقي في سننه الكبرى، كتاب القسم والنشوز، باب ما جاء في وعظها، ج7، ص495 (14771)، ويعضد هذا الحديث رواية أخرى في معناه عند الإمام أحمد في مسنده: ((عَلَامٌ يَضْرِبُ أَحَدَكُمْ امْرَأَتَهُ ضَرْبَ الْعَبْدِ، ثُمَّ يَضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ))، مسند المدنيين، حديث عبد الله بن زمعة، ج26، ص162 (16224)، وقال محقق المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

3 الحديث: رواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في حق المرأة على زوجها، ج02، ص244 (2142)؛ والبيهقي في سننه الكبرى، كتاب النفقات، باب وجوب النفقة للزوجة، ج07، ص768 (15693)؛ وقال الحاكم في المستدرک: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ج2، ص204 (2764).

الوجه الأول: سياق الآية نفسها: ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾.¹ فتبين أن الضرب ليس مقصوداً لذاته بل لأجل الطاعة، فمتى انتهت الناشز عن النشوز فلا سبيل للزوج إلى ضربها.

الوجه الثاني: ضبط الشارع الضرب بضوابط تضمن مصلحة الحفاظ على الأسرة، وبقاء الود بين أفرادها.

الوجه الثالث: عدم اللجوء إلى الضرب المبرح إن لم تنجز الناشز بغير المبرح، حيث تبقى حرمة الضرب المبرح قائمة. وبذا صرح علماء الإسلام، قال بعضهم: "فله ضربها ضرباً غير مبرح ولا مدمٍ فإن لم تنجز به حُرِّم المبرح"²، لأن الضرب ما شرع إلا في ضوء الموازنة بين المفاسد عند تزامهما، حيث ضرب الناشز ضرباً غير مبرح أخف مفسدة من مفسدة سوء العشرة وآثارها، التي تهدم الأسرة. ومتى عظمت مفسدة الضرب، فلا.

الوجه الرابع: حث الشارع الزوج على العفو وعدم الضرب، يستفاد هذا المعنى من قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تضربوا إماء الله))، فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ذرّن النساء على أزواجهن، فَرَخَّصَ في ضربهن، فطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءً كثيرٌ يشكون أزواجهن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لقد طاف بآل محمد نساءً كثيرٌ يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم)).³ والشاهد من الحديث قوله: ((ليس أولئك بخياركم)) أي: أن خيرة الرجال لا يضربون أزواجهن.

1 سورة: النساء، الآية: 34.

2 فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد القاهري، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط01: 1356هـ، ج01، ص66.

3 الحديث: رواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في ضرب النساء، ج02، ص245 (2146)؛ والنسائي في سننه الكبرى، كتاب عشرة النساء، ضرب الرجل زوجته، ج08، ص263 (9122)؛ والطبراني في معجمه الكبير، باب الألف، إياس

فظهر مع إباحة الشارع لضرب الزوجة الناشز، الترغيب في العفو والصفح عنها. وبذا فإن الرجل الخيّر هو من يقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرفع يده عن زوجته، التي إن كره منها خُلِقاً رضي منها آخر. فقد ثبت عن أمنا عائشة رضي الله عنها قولها: ((ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عز وجل)).¹

ومن جميع ذلك تبين أن الضرب الذي تحاول المسيئة تشويه الإسلام من خلاله لا يشبه الضرب الذي تعاني منها المرأة في مجتمع المسيئة، ولا يتفق معه في شيء وإن اتحدا في التسمية. حيث يؤكد واقع المرأة الغربية أن الضرب الذي اعتادته، وتعاني منه ليل نهار قد أدى إلى إزهاق نفوس نساء كثير. باعتباره ضرباً يحمل جميع معاني الجفاء، والعنف النفسي، والجسدي، والقسوة الحادة، التي تؤدي إلى سلب المودة والرحمة، وتتعارض مع مصالح الزواج. وما أروع ما نص عليه علماء المقاصد لما قالوا: [العبرة في التصرفات للمقاصد والمعاني لا الألفاظ والمباني].² وأن من يسعى لجعل الضرب الوارد في الآية مثل الضرب المعين في واقع الأوساط الأسرية الغربية على الرغم من اختلاف الأول عن الثاني في المعطيات والملابسات والوسائل والمقاصد، أقول من يسعى لذلك هو في الحقيقة يسعى لإلباس الحق بالباطل: ﴿وَيَا بَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.³ وبذا تبين أن حكم إباحة ضرب الناشز أتى لجلب مصلحة ودرء مفسدة، عِلِم ذلك من علمه، وجَهله من جهله.

بن عبد الله بن أبي ذباب، ج1، ص 270 (785)؛ وقال الحاكم في المستدرک: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ج2، ص 205 (2765).

1 الحديث: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مبادئه صلى الله عليه وسلم للأثم واختياره من المباح، أسهله، ج4، ص 1814 (79).

2 درر الحکام شرح غرر الأحکام، محمد بن فرامرز ملا، دار إحياء الكتب العربية، (د.ط)، (د.ت)، ج02، ص 207.

3 سورة: التوبة، الآية: 32.

المبحث الثالث: شبهاتٍ أُخر في الإساءة للمقدسات الإسلامية، والرد عليها.

المطلب الأول: شبهة الحجاب منافي لمقصد تكريم المرأة، والرد عليها.

يذهب الكثير من دعاة الإباحية إلى التشكيك في دين الإسلام، ومحاولة إبطال نصوصه القطعية. ومن تلك المحاولات ترويجهم لفكرة أن الحجاب الذي جعله الإسلام في أعلى مراتب الأمر من وجوب، أنه يتعارض مع تكريم المرأة. باعتباره يقيد من حريتها في إبداء زينتها ومفاتها، وفي هذا ازدراءً للمرأة وإهانة لها وحثُّ من كرامتها. وأن في نظريتهم "حرية المرأة" و "مساواة المرأة بالرجل" الأمل والفرح في أن تعود للمرأة كرامتها، فما مدى مصداقية هذه الدعوى يا ترى؟.

جاء النداء بتحرير المرأة تحت نظريتي "حرية المرأة" و "مساواة المرأة بالرجل" اللتين وُلدتا على أرض أوروبا النصرانية، تحديداً في فرنسا. حيث نشر رهبان النصارى في أوروبا أن المرأة لا تعدو أن تكون مصدر المعاصي ومكمن الفجور والذنوب، فهي جنسٌ نجسٌ يجب اجتنابه، حتى لو كان أمماً أو اختاً أو بنتاً، باعتباره محبطٌ للأعمال مُنزلاً لدرك الشقاء.

هذا قولهم بأفواههم، أما جوهر حقيقة أولئك الرهبان الذين يدعون هذا البهتان العظيم فقد اعتلوا ذروة هرم القذارة في الجسد والروح، ومجمع الجرائم الأخلاقية في أتم معانيها. إنهم السباقون في اختطاف الأطفال لتربيتهم في الكنائس وإخراجهم رهباناً حاقدين، حتى تكاثر عدد الرهبان، وكوّنوا جمعاً مهولاً أمام الرعايا والحكومات. ومع هذا الواقع المرير للمواقف الكهنوتية المغالية الجافية أصبح الناس في كبتٍ وتوترٍ شديدين، لتتجلى ردة الفعل عندهم في المناداة بنظرية "حرية المرأة".

وبعد أن اشتدت مبالغتهم في المناداة بهذه النظرية، والبعد عمّا يمكن أن يقيد المرأة أو يهدبها من ضابط فطري أو ديني، وصلوا إلى المناداة بنظريتهم الثانية "مساواة المرأة بالرجل"، وذلك بإلغاء الفوارق

بين الجنسين سواء كانت فوارق دينية أم اجتماعية. وبناء عليه فكل فرد ذكراً أو أنثى له أن يفعل ما شاء، وينتهي عما شاء. فلا سلطان لدين، ولا خلق، ولا ضمير. لتصل أوروبا بذلك إلى حضيض التهتك والانحلال، والاباحية والضلال، وغدوا بذلك مصدر الوباء الأخلاقي للعالم.¹

لكن على المرء أن لا يغفل حقيقة مفادها: إذا كانت هذه الثورة مستساغة لأولئك الثائرين على الكنيسة، ولهم أن يأخذوا طريقاً جانباً ومجافياً للدين المسيحي المشوه آنذاك من طرف رجال الكنيسة، فإنه لا مجال أبداً أن يقوم مثل هذا الصراع بين الحرية والدين في رحاب الإسلام. لأنه وبكل بساطة تجد أن الإسلام يدعو للحرية، والعدل. يدعو لحرية المرأة كما حرية الرجل، ويدعو للعدل المقتضي مراعاة التكوين الطبيعي لكلا الجنسين.

وكانت المطالبة بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل بهذا المفهوم الإلحادي هي العدوى الفتاكة، التي نقلها المستغربون إلى العالم الإسلامي. فماذا عن تاريخ هذه البداية المشؤمة، التي وصل عفتها إلى كثير من بقاع العالم الإسلامي؟.

لقد ثبت أن نساء المؤمنين كن محجبات منذ عصر الرسالة، وقد جرى الإجماع العملي بالعمل المستمر المتوارث بين نساء المؤمنين على عدم خُرُوجهن أمام الرجال إلا محجبات. واتفق المسلمون على هذه الفضيلة، التي تتفق مع مقصدهم في بناء صِرْحِ الطهر والعفة والحياء والاحتشام. فهذان إجماعان متوارثان معلومان من صدر الإسلام وعصور الصحابة والتابعين. حكى هذا جمع من الأئمة المعتد بكلامهم، واستمر العمل بهذا إلى منتصف القرن الرابع عشر هجري.²

وقبيل النصف الثاني من القرن الرابع عشر هجري لما توزعت الدولة الإسلامية إلى دول، دخل الإستعمار الكافر بلاد المسلمين، وحاول طمس معالمهم. فأخذ يقذف بالشبه لخلع حُلة الإسلام،

1 ينظر: حراسة الفضيلة، بكر أبو زيد، مكتبة السنة- القاهرة، ط1: 2001م، ص125، 126.

2 ينظر: حراسة الفضيلة، بكر أبو زيد، ص29، 30 (مرجع سابق).

واستبدالها بصبغة الفسق والكفر، ليكون من أوائل التعاليم الإسلامية المستهدفة بالحجاب.¹ فقالوا أن الحجاب ينافي تكريم المرأة، وكان أن وجدت هذه الدعوى صداها عند ذوي العقول الضعيفة، والقلوب المريضة، فروجوا لها أيضاً.

وبعد هذه النظرة التاريخية لنظرتي "حرية المرأة" و"مساواة المرأة بالرجل" وأسباب ظهورهما، لا بأس من كشف اللثام والتحقق من مدى صلاحية ومصداقية دعوى أن الدين الإسلامي لا يقر حرية المرأة، ولا مساواتها بالرجل، حيث فرض عليها الحجاب وفي ذلك حط من كرامتها.

يقف المتتبع المفهومي "الحرية" و"المساواة" ضمن النصوص الشرعية على أنهما مقصدان إسلاميان أصيلان، وأن لم يثبت وجودهما في هذه النصوص لفظاً. فالإسلام عظم أمر الحرية التي ترفع عن الإنسان كل ضغط وإذلال، وتجعله سيداً في هذا الكون كما أراد الله له عبداً له وحده.² وقد مرَّ معنا في مطلب حرية التعبير في الإسلام، ومطالب أخرى ما فيه الكفاية من الأدلة على أن الإسلام كان السباق في تقرير الحرية والدعوة إليها بمختلف أنواعها، ولكلا الجنسين.

كما مرَّ معنا في مطلب مقصد حفظ الكرامة الإنسانية هو المعنى الجامع للضروريات أن مضمون "الحرية" و"المساواة" قد سبق إليه الإسلام قبل أربعة عشر قرناً. فمضمون الحرية و المساواة مبثوثاً في نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة. وبذا تبين أن عدم وجود لفظ أو مصطلح لا يعني بالضرورة عدم وجود مضمون هذا اللفظ ومعناه، فقد يوجد هذا المعنى تحت لفظٍ آخر أو مصطلحاتٍ أُخر.

إن الشريعة الإسلامية الهادفة إلى تحقيق مصالح الناس، بأنواعها المختلفة، وعلى جميع المستويات والأصعدة، شرّعت لبعض القضايا أحكاماً ثابتة لا تتغير ولا تتبدل بتبدل الزمان والمكان والأعراف،

1 ينظر: حراسة الفضيلة، ص126، 127 (مرجع سابق).

2 ينظر: مقاصد الشريعة عند الشيخ القرضاوي، د/جاسر عودة، (د.ر)، (د.ط)، 2007م، ص55.

وذلك إن دلَّ على شيء فإنما يدل على خطورة وأهمية تلك القضايا، وقضية حجاب المرأة واحد منها. حيث فصل الشارع في حكمه بالوجوب، وأصل هذا الوجوب قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ فُلًّا لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ آدَبُيَّ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾¹. وقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّلَبُّعِينَ غَيْرِ أُولَئِكَ لِأَرْبَابِهِنَّ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَالِدِينَ أَوْ الْوَالِدَاتِ أَوْ إِيَّاهُنَّ مِمَّا يَدْعُونَ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ﴾².

ووجه المصلحة الداعية لتشريع الحجاب "فمردها إلى أن الله عز وجل شاء أن يجعل في النفوس دواعي ذلك وأسبابه، وشد ميول كل جنس إلى الآخر. ثم أذكى عاطفة الأبوة والأمومة بين جوانح الجنسين...، شرع الله نظام الزواج ورتب له قيوده وحدوده، كي لا تضع صلوة الأبناء بالأبناء فتهدر المهمة كلها. ثم بنى عليه المسؤوليات المتفرعة عنه. وحرّم كل اتصال جنسي شارد عن حدوده. وهنا تبدو المشكلة التالية: إن دواعي النفوس المطلقة، وميول كل جنس مشدود إلى الآخر... فكان لابد من مؤيدات لتنظيم صلة ما بين الجنسين تعين تلك الدواعي والميول على الانضباط وتروضها على الانسجام مع ما تقتضيه رعاية الأسرة والحفاظ على مسؤولياتها، وسير الرعاية والتربية فيها - فكان ما قد شرعه الله لذلك من تكليف المرأة بالحجاب... - ليكون - واحداً من المؤيدات الكثيرة التي شرعها الله تعالى لإيجاد المناخ الصالح والملائم لتنظيم صلة ما بين الجنسين." ³ فالمرأة وإن كانت تشترك مع الرجل في القدرات الفكرية والاجتماعية...، إلا أنه لا يمكن لعاقل أن ينكر تلك الفروق الموجودة بينهما، سواء الفروق الجسمية أو النفسية...

1 سورة: الأحزاب، الآية: 59.

2 سورة: النور، الآية: 31.

3 على طريق العودة إلى الإسلام، د/محمد سعيد رمضان البوط، ص 167، 168 (مرجع سابق).

خاصية الواقعية، فلو كان الإسلام دين خيالي كما يدعي بعض المسيئين (كالذي مر بنا في فيديو الإله الإسلامي) لما راعى واقع الناس وما يؤول إليه تطبيق أحكامه الشرعية على أرض الواقع.

ومن فهم هذا المعنى، أدرك استحالة وبطلان دعوى الغرب من مساواة المرأة بالرجل في كل الميادين،

كما أدرك استحالة إنكار الفوارق الطبيعية بين الرجل والمرأة. والواقع شاهد صدق، حيث أفرزت وأكدت الإحصائيات في الدول التي سال لعابها وراء دعاوى حرية المرأة ومساواتها بالرجل وسراها الخداع أن هذه الدول وصلت إلى ما يسيء إلى حرية المرأة، دون العكس. ليشهد شاهد من أهلها ويقول: "ما أكبر خطأ العالم في تقدير نظريات النبي فيما يتعلق بالنساء، فقد قيل أنه قرر بأن المرأة لا روح لها! فلماذا هذا التجني على رسول الله؟ أعيروني أسماعكم أحدثكم عن حقيقة تعاليمه في هذا الشأن.

جاء في القرآن: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ انْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْآيَاتِ الْكُرْبَىٰ يَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَفِيرًا﴾¹ - وبعد سرد (اني بيزنت) لكثير من الآيات القرآنية التي تحث على رعاية المرأة وإكرامها - قالت: ولا تقف تعاليم النبي عند حدو العموميات فقد وضع قانوناً لوراثة النساء، وهو قانون أكثر عدلاً وأوسع حرية من ناحية الإستقلال الذي يمنحها إياه من القانون المسيحي الإنجليزي الذي كان معمولاً به إلى ما قبل نحو عشرين سنة فما وضعه الإسلام للمرأة يعتبر قانوناً نموذجياً فقد تكفل بحمايتهن في كل ما يمكنه، وضمن لهن عدم العدوان على أية حصة مما يرثه عن أقاربهن وإخوانهن وأزواجهن².

لقد وصل دين الإسلام الذي راعى الفوارق بين الجنسين بالمرأة أعلى عليين، فمن الشك في إنسانيتها إلى كامل إنسانيتها، ومن فقدان أهليتها إلى كامل أهليتها، بل قل قفز بها إلى الوجود بعد أن كانت

1 سورة: النساء، الآية: 123.

2 نقلاً عن: المرأة بين الفقه والقانون، د/مصطفى السباعي، دار الوراق - بيروت، ط01، (د.ت)، ص170، 171.

في العدم، ورفعها من منتهى المهانة إلى أعلى الكرامة.¹ وحق قول من قال: "أن المرأة والرجل لا يتساويان فطرياً، وطبيعياً، وأي مجتمع على أساس مساواتهما سوف يسبب خراباً ودماراً عظيمين للحضارة الإنسانية".² فإن تغافل الناس وتعاموا عن الحق بعدما أرشدوا إليه فإن ذلك هو الجهل بعينه، والذي مآله الهوان والضلال. إذ العدل يقتضي مراعاة تكوين المرأة وقدراتها، وإلا هُدرت حقوقها. وتبقى إمكانية إحداث التغيير ومساواة الجنس اللطيف بالرجل مجرد أمنيات بشرية، تسعى لانتكاس الطبيعة الفطرية للمرأة.

والآن لقد اتضحت القضية وانكشف الأمر تماماً، إن الحجاب المشروع في حق المرأة لهو مظهر من مظاهر تكريم المرأة في الإسلام، يصونها من أن تصل إليها أيدي العابثين، الماكرين الذي يترصدون لها سوءاً. ومتى نشد البشر إعادة الاعتبار لكرامة المرأة، استوجب الأمر إنقاذها من عادات الجاهلية القاسية، وعلى رأسها السفور.³ ذلك أن المولى تبارك وتعالى خلق في الإنسان شهوات جمّة لغايات ومقاصد، وأكبر هذه الشهوات رغبة الرجل في المرأة، فصار الرجل بطبعه يرغب في المرأة ويميل إليها. والمرأة بلا حجاب هي كالمال السائب الذي لا صاحب له، يشتهي كل عابر سبيل، ويمد يده إليه، أما المرأة المحجبة فهي كالبيستان إلا على أهله، فأئى المرأتين أفضل؟. المرأة المصونة المحترمة ذات الكرامة المحفوظة بالحجاب، أم المرأة العارية عن الحجاب الذي يحميها من أعين الذئاب، فلا سجاج عليها، وهي في متناول كل طامع؟!.

وإذا كان هناك إنسان يطالب بخلع الحجاب عن المرأة فيقال له بعد هذا التوضيح لعلك واحد من اثنين.

1 ينظر: منهج وحيد الدين خان في نقد الإلحاد (رسالة ماجستير)، ياسين حامي، إشراف: محمد أبو الروايح، جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة، سنة: 2003 - 2004م، ص 129.

2 واقعنا ومستقبلنا في ضوء الإسلام، تر: سمير إبراهيم، دار الصحوة - القاهرة، ط 01: 1984م، ص 246.

3 ينظر: في مهب المعركة، مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر - لبنان، دار الفكر - سورية، ط 04: 1423هـ - 2002م، ص 100.

الأول: الذي لم يفهم بعد المقصد الذي من أجله كان التمييز بين الرجل والمرأة، وبذلك إن كان يرى أن الحجاب ينافي تكريم المرأة، فلأنه لا يعرف معنى الكرامة أصلاً.¹

الثاني: الذي يعرف المقصد من سن وتشريع حكم فرضية الحجاب، لكن يتجاهله، لأنه يراه لا يحقق رغباته وميوله الدنيئة.

المطلب الثاني: شبهة التحريم منافي لمقصد التيسير، والرد عليها.

خلق الله سبحانه الإنسان، وكلفه بأداء مهمة الخلافة في الأرض. والخالق جلّ جلاله أعلم بما يصلح لهذه النفس الإنسانية مما يفسدها، لذا وضع لصنعتة القوانين والأحكام، كي تظل صالحة دوماً لأداء مهمتها. وكان من ضمن تلك القوانين والأحكام أن شرع حكم التحريم، الذي جاء ليصون الإنسان ويتعد به عن كثير من المفاسد والشورور.

في حين يرى البعض من الناس أنّ هذا التحريم والمنع يتعارض مع التيسير ورفع الحرج الذي جاء به الإسلام، وجعله مبدأً أصيلاً من مبادئه. فهل حق قولهم يا ترى؟.

إن أحق الشرائع بالبقاء والخلود أكثرها درساً لواقع الإنسان، وتشريعاً لما يحقق مصالحه بجلب الخير له ودفع الضرر عنه. وبدراسة واقع الإنسان تجده ذا علاقة بين اتجاهات ثلاث.

أولاً: ذا علاقة بنفسه.

ثانياً: ذا علاقة بخالقه.

ثالثاً: ذا علاقة بالناس، والمحيط من حوله.

وهذه العلاقات والصلات الثلاث يجب أن تسير في توازن، وأن لا تطغى واحدة منها على الأخرى،

1 ينظر: حرية الإنسان بين الواقع والشريعة، د/صادق مكي، دار الفكر اللبناني - بيروت، ط1: 01: 1992م، ص81-83.

ما يستلزم ضرورة تنظيم حياة الإنسان بتشريع الأحكام التي تضمن تنظيم سير هذه العلاقات.¹ والمتبع لنصوص الشريعة الإسلامية يقف على أن هناك مجموعة من النصوص جاءت لتنظيم علاقة الإنسان بنفسه، ومجموعة جاءت لغرض تنظيم علاقة المرء بخالقه، ومجموعة أخرى جاءت لتنظيم علاقة المرء بالآخرين. كل ذلك في تناسق وتوازن، كي لا يطغى جانب من تلك الجوانب على آخر. وهذا التنظيم هو عين المصلحة، التي جاء الإسلام لتحقيقها.

والمتبع لآيات القرآن الكريم وأحاديث السنة المطهرة ومقاصدهما يقف على أن حكم التحريم واحد من تلك الأحكام، التي جاءت لغرض هذا التنظيم، على الرغم من ندرته إذا ما قورن بحكم الإباحة. فالله سبحانه أحلّ الكثير الكثير يسراً بالناس ورافةً بهم، وما حرّم إلا أقل القليل. وأكبر دليل على هذا، أنه سبحانه لم يحصر النعم التي أحلها لعباده. قال جلّ في علاه منبهاً إلى هذه الحقيقة: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفَطْلُومٌ كَفَّارٌ﴾.² أما ما حرّمه فقد حصره ويّنه، نعمة تفضل الله بها على الإنسان منذ أن خلق آدم وحواء، وقبل مهبطهما الأرض. قال العليّ الكريم: ﴿وَفَلْنَا يَتَّادَمُ اسْكُنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.³ والمعنى في قوله تعالى: ﴿وَفَلْنَا يَتَّادَمُ اسْكُنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ "أي اسكن في جنة الخلد مع زوجك حواء" ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ أي كُلا من ثمار الجنة أكلاً رغداً واسعاً ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي من أيّ مكان في الجنة أردتما الأكل فيه ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أي لا تأكلا من هذه الشجرة".⁴ فالله سبحانه لم يُعدّد ما أحلّه لآدم وحواء في الجنة، إنما

1 ينظر: الحلال والحرام في الإسلام، محمد متولي الشعراوي، أعده وعلق عليه وقدم له: عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي، دار التوفيقية للتراث - القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 161.

2 سورة: إبراهيم، الآية: 36.

3 سورة: البقرة، الآية: 34.

4 صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية - بيروت، (د.ط)، 1428هـ - 2007م، ج 01، ص 42.

عدَّد لهما الحرام فقط، وهو الأكل من الشجرة التي نهاهما عنها.

وبمفهوم المخالفة: يستفاد من قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أن كل شيء في الجنة، دون هذه الشجرة حلال لهما. فتأمل مقدار الفرق العظيم بين ما أحلَّ وما حرَّم، وكل ذلك لطفاً منه وإحساناً، هذا من جهة.

ومن أخرى، لو تتبعنا علة تحريم الأكل من هذه الشجرة لوجدنا أن رب العزة سبحانه بيَّنها بقوله: ﴿بَلَمَّا دَافَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَهِفَا يَخْصِبِينَ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَى الْجَنَّةِ﴾¹ فعدم امتثالهما لما نهاهما الله عنه، كان مؤداه إظهار عوراتهما وانكشافها. وبالتالي: عدم الإمتثال لأوامر ونواهي الرحمان، مؤداه عدم الأمان، وحلول الضرر والفساد.²

وهذا المعنى ملحوظ في كثير من المحرمات، التي لا يزال الطب والتجارب العلمية تثبت يوماً بعد يوم حجم الضرر والفساد، الناتج عن إتيان هذه المحرمات. ولنأخذ على سبيل التمثيل بعضاً من هذه النماذج.

أولاً: تحريم أكل لحم الخنزير. حرم الله تعالى أكل لحم الخنزير، وذلك ظاهرٌ من صيغة التحريم في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾³ وبإرجاع المسألة إلى أهل التخصص من أطباء للكشف عن الأضرار المترتبة عن تناول لحم الخنزير، التي أفادت بها الأبحاث والدراسات الطبية، نقف على أن عضلات لحم الخنزير تحتوي على حويصلات، بها أجنة الديدان الشريطية. فإذا أكل الإنسان لحم الخنزير تمزقت الحويصلات، وخرجت الأجنة وتعلقت بالغشاء المخاطي للأمعاء، وكونت

1 سورة: الأعراف، الآية: 21.

2 ينظر: الحلال والحرام في الإسلام، محمد متولي الشعراوي، ص 163-165 (مرجع سابق).

3 سورة: المائدة، الآية: 04.

كل واحدة من تلك الأجنة دودة طويلة تامة النمو.¹ تسبب أمراضاً عديدة كالآم المعدة، وارتفاع درجة حرارة الجسم، وروماتيزم القلب، وروماتيزم المفاصل، وروماتيزم الكلى، والآم العظام، وأمراضاً جلدية، وغيرها من الأمراض التي صرح بها الدكتور جون لارسون (كبير أطباء المستشفى الرسمي في كوبنهاجن). كما أفاد أيضاً أن جرثومة الدودة الشريطية الخطيرة الموجودة في لحم الخنزير، هي ملازمة له حتى وإن عولج الخنزير بالمضادات الحيوية كالبنسيلين.² أضف إلى ذلك أنه يصعب قتلها، حتى لو تعرض لحم الخنزير لدرجة حرارة عالية أثناء الطبخ.³ وبذا تبين حجم المفاصد والأضرار الناتجة عن أكل لحم الخنزير، ومخالفة الشرع الذي ما جاء إلا لجلب المصالح للناس، ودرء المفاصد عنهم.

ثانياً: **تحريم الخمر**. حرم الله تعالى شرب الخمر، وقد وَرَدَ النص بحكم تحريمه مقروناً بعلّة التحريم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُرَفِّعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ بِهِ لَآ تَهْتَكُوا عَنْ شَرِّهِمْ﴾.⁴ فظهرت المفاصد الناتجة عن شرب الخمر من حصول الشقاق والكراهية بين المؤمنين، والانشغال عن ذكر الله وعبادته. وبتحريم الخمر تدرء هذه المفاصد. وتجلت حقيقة أن حكم التحريم مصلحة للناس، وأنه لا يتعارض مع مبدأ التيسير الذي جاء به الإسلام، بل هو اليسر بعينه.

وكذا الحال بالنسبة لجميع المحرمات، لو تَمَّ النظر فيها لَوُجِدَ أن فيها الضرر الخالص أو الغالب، عَلم ذلك من علمه وجهله من جهله، إذ"التحريم يتبع الخبث والضرر، فما كان خالص الضرر فهو حرام، وما كان خالص النفع فهو حلال، وما كان ضرره أكبر من نفعه فهو حرام، وما كان نفعه أكبر فهو

1 ينظر: تحريم الخنزير ونجاسة الكلب، مجلة المنار، محمد رشيد رضا وآخرون، (د.ع)، (د.س)، مج 06، ص 302.

2 ينظر: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، د/ أحمد مصطفى متولي، دار ابن الجوزي- القاهرة، ط01: 1426هـ-2005م، ص 536-539.

3 ينظر: تحريم الخنزير ونجاسة الكلب، مجلة المنار، مج6، ص302 (مقال سابق).

4 سورة: المائدة، الآية: 93.

حلال"¹.

وهكذا نجد أن بالكف عمّا نهي الله عنه تدرء المفسد والأضرار، ويضمن المرء النجاة بنفسه من المهالك والشور. وهذه الحقيقة ملحوظة ليست على مستوى الأفراد فقط، بل على مستوى الجماعات أيضاً، و"حتى بالنسبة للحضارات التي مرت على الدنيا نجد أن أياً من هذه الحضارات لم تُدْم ولم تستمر مع انهما أخذت حظاً وافراً من التقدم... ووضعت قوانين لنفسها... فإن المفروض أن تصونها وتبقيها بعد أن وصلت إلى مرتبة عالية جداً من التقدم.. لكن رغم هذا كله لم تستطع أن تعطي لنفسها مناعة لتبقى.. لماذا؟ لأن الحرام كان أساسها والبعد عن منهج الله كان طريقها. والفساد والحرام لا يعطيان إلا الانحدار والتدهور.. بدليل أن حضارة أخرى ورثتها"² ولو امتثل الناس لأوامر خالقهم، واجتنبوا نواهيهم وما حرّم عليهم، لأنقذوا أنفسهم مما يعانون من تفاقم الأزمات والمعضلات في جميع المجالات، ونجوا من المهلكات على اختلافها.

ومن هنا فإنه إذا كان التيسير الذي جاء به الإسلام مصلحة، فإن دفع الضرر والفساد عن طريق التحريم هو أيضاً مصلحة، لا تعارض بينه وبين مصلحة التيسير، وإلا كانت هذه الشريعة ثقيلة يشق تحملها على النفوس. الأمر الذي تكذبه استمرارية تطبيق هذه الشريعة منذ مهبطها على قلب حاملها عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا، ولم يصبها الزوال والاضمحلال.³ وثبت بذلك أن تشريع حكم التحريم في الإسلام جاء لدرء المفسد والأضرار، لا لإدخال الشاق والإعنات على الناس. وأن التحريم جاء لتحقيق التيسير، لا العكس.

1 الحلال والحرام في الإسلام، د/يوسف القرضاوي، دار الهدى - الجزائر، (د.ط)، 2012م، ص25.

2 الحلال والحرام في الإسلام، محمد متولي الشعراوي، ص184 (مرجع سابق).

3 ينظر: واقعية التشريع الإسلامي وآثارها، زياد بن صالح لوبانغا (أطروحة دكتوراه)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط01: 1426هـ-2005م، ص07.

المطلب الثالث: شبهة قتل المرتد منافٍ لمقصد إرسال محمد عليه السلام رحمة للعالمين، والرد عليها.

حمل محمد عليه الصلاة والسلام رسالة كلها رحمة من خالق الخلق سبحانه إلى عباده، رسالة من ضمن ما تحمل قواعد سلوكية تحدد طريق معاملة الناس فيما بينهم، القصد منها أن يعم الخير والصلاح حياة العباد، ويسود الأمن والسلام بينهم. ومن هذه القواعد التي حملتها الرسالة المحمدية معاقبة المرتد بإقامة الحد عليه، فهل عقوبة كهذه تعارض وتبطل القصد الأول من إرسال هذا النبي رحمة للعالمين؟.

لقد حرص محمد صلى الله عليه وسلم على توثيق العلاقات الإجتماعية بين الفرد والمحيطين به، بما يحقق للفرد والجماعة الإنسجام والألفة والتكيف والاستقرار من جهة، وبما يحقق تبادل المصالح من جهة أخرى.¹ والمتأمل في تعاليم الرسالة المحمدية يدرك مدى قوة التركيز فيها على بعث وتنمية العادات والأخلاق الحميدة في الأفراد، وحرصها على أن ينغرس في شعور الفرد وفي لا شعوره أنه فرد في مجتمع، وأنه إنسان في عالم الإنسانية الواسع، وإن اختلف مع بعض أفراد الإنسانية في المعتقد أو الدين أو الثقافة أو الشكل أو اللون. وبذا ركزت هذه الرسالة على ضرورة إيجاد الإنسان الصالح للعيش في هذا العالم الفسيح.

وهكذا اهتمت الرسالة المحمدية بالعلاقات الإنسانية وجعلت تنمي في الفرد روح المسؤولية الفردية، والتي هي أساس للمسؤولية الجماعية، حتى لا تضيق المسؤولية بين فرد وآخر، ليسعد الناس ويتعاون أفراد المجتمع الإنساني.² فالرسالة المحمدية أتت إذن لتنمية الأخوة الإنسانية وتحقيق الكرامة الإنسانية، بعيداً عن النزاعات والتناقضات. يؤكد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: ((لا يرحم الله من لا يرحم

1 ينظر: التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، سيعد إسماعيل القاضي، عالم الكتب، ط01: 2004م، ص135.

2 ينظر: المدخل إلى أصول التربية الإسلامية، د/عبد العزيز المعاينة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط01: 2006م، ص123.

الناس)).¹ وقوله: ((لا يرحم الله من عباده إلاّ الرحماء)).²

هذا وأن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ طفولته الباكرة، وعبر مختلف أطوار حياته تنفي الشبهة في الجفاء والقسوة للإنسانية جمعاء. فلقد كانت رحمته عليه السلام بالقرب والبعيد، يعزّ عليه أن يدخل أي أمرٍ فيه مشقة على الناس. أما النظر إلى عقوبة قتل المرتد على أنها قاسية فذاك بعدّ عن الموضوعية وبعدّ عن النظر إلى المسألة من جميع الزوايا، حيث "ان شرع عقوبة ما، من حيث ذاتها، إنما هو فرع عن النظرة المعيّنة إلى الجريمة التي استوجبتة. وما تشد العقوبة أو تلين إلاّ تبعاً لتقويم الجريمة التي اقتضتها والإيمان بمدى خطورتها.

وبناء على هذه الحقيقة الواضحة فإن توجيه النقد إلى العقوبة بحد ذاتها، مفصولة عن النظر إلى الفعل الذي استوجبها، يُعدّ غباءً عجيباً وذهولاً عن أوضح النظم العامة التي يقوم عليها شرع العقوبات"³، حيث أن التهاون في تطبيق عقوبة المرتد يعرض المجتمع برمته للخطر، باعتبار أن المرتد لا يلبث أن يغرر بغيره، وبالأخص ضعاف الإيمان من الناس، فتتكوّن جماعة مناوئة للإسلام وأهله تبيح لنفسها مساعدة أعداء الإسلام وولائهم، ليصيبوا الأمة الإسلامية بتمزق وصراع فكري واجتماعي وسياسي يأكل الأخضر واليابس.⁴

وبالجملّة فإن النواهي والزواجر، والتي من بينها نهي الشارع عن الردة من شأنها إبعاد الإنسان عن الشر، وتقريبه من الخير، وتبقى الغاية والمقصد من جميع ذلك هو سعادة الإنسان. وبذا يمكن اعتبار أمر الشارع بإقامة الحد على المرتد لطفاً إلهياً بالإنسان يوجهه إلى البعد عن الفساد، إذ أن إقامة حدّ

1 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تبارك وتعالى: {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن}، ج9، ص115 (7376).

2 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب عيادة الصبيان، ج7، ص117 (5655).

3 الظلاميون والنورانين محاولة لمعرفة... محمد سعيد رمضان البوطي، ص101 (مرجع سابق).

4 ينظر: حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب بين النظرية والتطبيق دراسة مقارنة، د/أحمد عبده عوض، ألفا للنشر والتوزيع - مصر، ط2: 1433هـ-2012م، ص74.

الردة مرتبط أساساً بعلّة لحوق الضرر المحقق أو المحتمل الوقوع على العقائد والشرائع.¹ فالردة مفسدة، ودين الإسلام الذي بُعث به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين أتى لدفع الضرر والفساد، لطفاً بالناس ورحمة بهم. يظهر ذلك من خلال النظر لمسألتنا هذه من الزوايا الثلاث الآتية:

أولاً: زاوية تزاحم المصالح. يجد الناظر أن الحفاظ على حياة المرتد وإبقائه حياً مصلحة، وأن الحفاظ على الدين وإبقائه في نفوس وعقول المؤمنين لينعكس على سلوكياتهم مصلحة أعظم من الأولى، ولم يكن الجمع بين المصلحتين، حيث بقاء المرتد حياً فيه افتتان للمؤمنين عن دينهم، فوجب مراعاة أكبر المصلحتين وأعلاهما، فيقتل المرتد حفاظاً على الدين الذي هو أعظم. وتحكم القاعدة الفقهية التي تنص على أنه: [إذا دار الأمر بين فعل إحدى المصلحتين وتفويت الأخرى بحيث لا يمكن الجمع بينهما روعي أكبر المصلحتين وأعلاهما ففُعِلت].²

وبذا تفهم العلة في قوله صلى الله عليه وسلم: ((من بدّل دينه فاقتلوه)).³ ومن هنا يفهم أيضاً اتفاق الفقهاء على أن المرتد "إذا ظفر به قبل أن يجارب، فاتفقوا على أنه يقتل الرجل"⁴، باستثناء المرأة عن الأحناف.⁵

ثانياً: زاوية تزاحم المصالح والمفاسد. ومتى نظرنا للمسألة من زاوية اجتماع مفسدة الإساءة للدين

1 ينظر: معالم المنهج الإسلامي، د/ محمد عمارة، ص 237، 238 (مرجع سابق).

2 رسالة في القواعد الفقهية لفهم النصوص الشرعية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار الإمام مالك - الجزائر، ط 01: 1433هـ - 2012م، ص 18.

3 الحديث: رواه البخاري في صحيحه، كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد...، ج 9، ص 15 (6922).

4 بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تنقيح وتصحيح: خالد العطار، دار الفكر - لبنان، (د.ط)، 1428هـ - 2008م، ج 2، ص 376.

5 ينظر: غمز عيون البصائر (شرح كتاب الأشباه والنظائر)، السيد أحمد بن محمد الحنفي الحموي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1: 1405هـ - 1985م، ج 2، ص 193.

مع مصلحة حفظ حياة المرتد، فإني أعمل القاعدة الفقهية: [درء المفسد أولى من جلب المصالح].¹ والتي تعني أنه متى تعارضت مفسدة مع مصلحة أو تراخمت فدفع المفسدة أولى بالتقديم، لأن اهتمام الشرع بالمنهيات أشد من اهتمامه بالمأمورات. هذا في حالة تساوي المصلحة مع المفسدة، أما أن غلب أحدهما قُدِّمَ الغالب طبعاً، وعليه أعيدت صياغة القاعدة مع قيدها بهذا النحو: [درء المفسد مقدّم على جلب المصالح إذا كانت المفسد أعظم من المصالح أو مساوية لها].² وبناءً عليه فإنه متى اجتمعت المصالح والمفاسد - وهو الغالب - كالذي صرّح به العز بن عبد السلام في قوله: "المصالح المحضة قليلة وكذلك المفسد المحضة، والأكثر منها اشتمل على المصالح والمفاسد".³ فمتى أمكن جلب المصالح ودفع ضدها تعيّن ذلك، ومتى تعذر ذلك فالموازنة بينهما مطلوبة ولزم تقديم الغالب منهما.

ثالثاً: زاوية تراحم المفسد. وبالنظر للمسألة من زاوية تراحم مفسدة الإساءة للدين، ومفسدة إزهاق روح المرتد أُحْكِمَ القاعدة الفقهية التي تنص على أنه: [إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمها ضرراً بارتكاب أخفهما].⁴ وأحْكَمَ القاعدة الفقهية التي تنص على أن: [الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف].⁵ حيث ضرر الإساءة للمقدسات الإسلامية أشد من ضرر قتل المرتد، فيراعى ضرر الإساءة للدين. ولأن ضرر قتل المرتد هنا أهون فتُعمل القاعدة الفقهية: [يختار أهون الشرين].⁶ والتي يقصدُ بها أنه في حالة ما إذا دار الأمر بين مفسدتين أو ضررين ولم يمكن دفعهما جميعاً، استوجب الحال تحمل

1 قواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، د/محمد مصطفى الزحيلي، ج2، ص768 (مرجع سابق).

2 فقه الموازنات في باب المصالح والمفاسد (دراسة أصولية فقهية تطبيقية)، د/جبريل البصلي، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع - أبحا، دار هجر للنشر والتوزيع - أبحا، ط1: 1425هـ-2004م، ص146.

3 قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين بن عبد السلام، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، (د.ط)، 1414هـ-1991م، ج1، ص14.

4 الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، ط01: 1411هـ-1990م، ص87.

5 الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، د/محمد صدقي الغزي، مؤسسة الرسالة - لبنان، ط04: 1416هـ-1996م، ص260.

6 قواعد الفقه، محمد عميم الإحسان المحددي، الصدق ببلشيز - كراتشي، ط01: 1407هـ-1986م، ص140.

الشر الأخف والأهون لدفع الشر الأشد منه.

ولأن المرتد قصد إبطال قصد الشارع، بل أعلى مقاصد الشارع (مقصد حفظ الدين)، فيعامل بنقيض مقصوده، ويهدم وجوده لا وجود الدين. لأن حفظ الدين مصلحة¹ تتعلق بإقامتها صيانه ناحية أساسية من نظام المجتمع الإسلامي".¹

وهكذا تجد اتجاه الشريعة الإسلامية في أحكامها ومناهجها تحقق مقصد إرساله عليه السلام رحمة للعالمين، حيث وجهت لجلب الصلاح للإنسان ودرء الفساد عنه. وما دعوتها إلى توثيق عرى التعاون بين أفراد المجتمع الإنساني، ونشر العدالة والحق بينهم سوى دليلاً على قصد الرحمة بالناس، من خلال الأسباب الداعية للإنسان أن يكون مصدر خير لبني جنسه، وأن لا يكون منه الشر ناشئاً أو سبباً. وذلك بتهديب نفسه وتربيتها على الأخلاق الحميدة الفاضلة، والإبتعاد بها عن كل ما من شأنه أن يجعلها مصدر إساءة للغير في اعتقاده أو غير ذلك. ومن هنا يمكن القول: أنه متى امتثل الإنسان للتوجيهات والإرشادات الشرعية كانت له خيرٌ ورحمة ومصلحة.² والرحمة والمصلحة في قضيتنا هذه تجلّت في حماية الجماعة من شر المرتد. حمايتهم في اعتقادهم، وما يتبعه من آثار. فتكفير المرتد وإقامة عقوبة الحد عليه وإن بدت في ظاهرها أنها قاسية، فإن قسوة الاعتداء على الدين، والخط من قداسته أشد وأخطر. وما تجديني أرى إلا أن بعثة محمد عليه السلام قد فجرت ينابيع الرحمة عبر الأحكام والتشريعات التي قامت عليها هذه الرسالة.

ولنا في قصة المرتد كعب بن الأشرف لعبرة، فقد روي في كتب السير أن رسول الله صلى الله عليه

1 المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط09: 1387-1968م، ج 02، ص610.

2 ينظر: أصول الفقه، د/فاضل عبد الرحمان، دار المسيرة- الأردن، ط04: 1425-2004م، ص291.

وسلم أقرّ مقتل كعب بن الأشرف الذي كان يقدر في المسلمين ويعيهم بهجائه ليؤلب عليهم أعدائهم الكافرين ، نافثاً سمومه في كل أمر يمكنه الحط من قدر دين الإسلام وينقض معالمه، بل ويتعاون مع أعداء الإسلام لقتل رسوله الله صلى الله عليه وسلم. فتجده يعاهد قومه بني النضير على نصرة الإسلام وأهله ، ويقف معهم مخالفاً يشد يده على أيديهم للوقوف في وجه الكافرين وأعداء الدين، ثم ينقض عهده مع قومه ويخون ويعين على النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أتباعه. ويرجع إلى المدينة مصرّحاً بالعيب في أعراض نساء المسلمين مفترياً عليهن، مُقدماً على أمر لا يفعله رجل شريف، ولا يرضاه في عرضه عربيّ غيور.

وخرج لقتله رهط انتهوا إلى حصنه، وهتف به أبو نائلة فوثب كعب في لحافه، فأخذت زوجته بناحيتهما وقالت إنك امرؤ محارب، وأن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة. وما قالت زوجها إلا حقاً لما وصفته بمحارب يجب أن يعامل معاملة المحاربين وقد نقضوا العهد وأخلفوا اليمين، فلا حقّ له في الأمان وهو يؤذي غيره من المسلمين، والقتل جزاؤه.

وعاب بعض المؤرخين الغربيين قتله واعتبروا قتله خروجاً عن سنن القتال، وشبهوا قتله بخيانة نابليون الكبير الذي أمر باختطاف الدوق دنجان ومحاكمته دون وجه حق. ويكفي في الرد على هذه الشبهة المشبهة أن يقال هذا تشبيه مع الفارق، فقتل كعب بن الأشرف لا يشبه في شيء فعلة نابليون ، فكعب غدر، وألب ووضع يده في يد العدو بما أوتي من قوة للتكامل والنيل ومحاربة من تعاهد معهم وحالفهم على نصرتهم وولائهم.¹ فمجرد ارتداده فيه ما فيه من فتنة هؤلاء المسلمين، فما باله وهو يحرص أعدائهم عليهم؟.

وهنا ينبغي أن [يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام].² حيث الضرر العام أخطر وأعظم من الضرر

1 ينظر: عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، عباس محمود العقاد، دار النجاح للكتاب - الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص 52،

53.

2 علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، مكتبة الدعوة - شباط الأزهر، ط9، (د.ت)، ص 207.

الخاص، فيدفع به ما دامت مصلحة المجتمع متوقفة هنا على تفويت مصلحة حفظ حياة المرتد. ناهيك عن أن هذه المصلحة الخاصة وإن حفظت ستتأثر بفوات المصلحة العامة، إذ أن عدم حفظ الدين ينتج عنه الفوضى والظلم والعدوان على النفوس كما بينت في مبحث آثار الإخلال بالدين، وحينها تكون نفس هذا المرتد معرضة لخطر الاعتداء عليها بالقتل، ومن هنا فلن يكون في تفويت المصلحة العامة محافظة حقيقة على المصلحة الخاصة. وما أرى إلا أن إقامة الحد على المرتد غاية في الرحمة، يصدق بتطبيقها على أرض الواقع الرحمة التي أرادها الشارع سبحانه بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِقَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.¹ وتجلت أنوار القاعدة المقاصدية: [وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً].²

فهل بعد هذا بقي مجال لأن يقول قائل إن حكم الشرع بقتل المرتد حكماً قاسياً جافياً، يناقض مقصد إرساله عليه السلام رحمة للعالمين؟. ألا ترى أن الحكم هنا من تمام إرساله رحمة للعالمين، لأنه لو لم يقتل هذا المرتد لشاعت الفتنة، وعمت الفوضى، وكان الضرر أعظم وأكبر من ضرر إزهاق روح المرتد، فكان من كمال الرحمة وتماها بالعالمين أن يُقتل المرتد.

إنني على يقين تام أن رسولاً قاد العالم بالرحمة والحب لن يستعمل القوة إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك، فهو رجل سلم بالدرجة الأولى، والقوانين والتشريعات التي حملها للبشرية أثبت العقل والواقع أنها أتت لتحقيق مصالح البشرية ودرء المفسد عنها، فهي رحمة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى. وحق قول القائل: إننا كمسلمين "نملك أعظم ثورة تشريعية في القارات الخمس غير أنها دفينه في صحائف مهجورة... ونستطيع أن نسترشد بها في إقامة صرح قانوني إسلامي شامخ".³ وكلما استهان البشر بتطبيق هذه الأحكام، وهذا النظام الجزائي زادت نسبة الجريمة لزيادة الظلم والعدوان على

1 سورة: يونس، الآية: 57.

2 نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، ص 319 (مرجع سابق).

3 قذائف الحق، محمد الغزالي، ص 188، 189 (مرجع سابق).

الأنفس والأعراض والأموال والعقول والأديان. وبذا نفهم أهمية تطبيق حد الردة، والذي شرع لحفظ الدين، وقد وُجد أن حفظ الدين يتضمن حفظ جميع الضروريات الأخرى كما أوضحت سالفاً، فأين القسوة في حد الردة إذا ما قورن بحجم المصالح الناتجة عن تطبيقه؟!!!.

الخاتمة

الخاتمة: أصل في ختام هذا البحث إلى عرض أهم النتائج المتوصل إليها، مع رسم لبعض التوصيات التي أفادها البحث.

01: إن سرّ ضياع المسلمين طوال قرون متعاقبة وتخلّفهم يكمن في انصرافهم عن حقيقة دينهم، و تجاهلهم لمقوماته الحضارية، وبذا فصلوا أنفسهم عن منبع القوة.

02: إن تجاهل مقاصد الدين الإسلامي في الدعوة إليه ينحرف به عن التأثير الإيجابي في الواقع، لأنها دعوة بلا روح، لا تؤتي أكلها.

03: إقامة الشعائر الإسلامية تنمي الإيمان في القلب، وتجعل الأمة لها هوية.

04: الجهاد في الإسلام هو حرب دفاعية لا استباقية، وهذا لا يتعارض مع كون الإسلام دين السلام

05: يلزم من اختلال مقصد حفظ الدين اختلال باقي الضروريات، ناهيك عن اختلال الحاجيات والتحسينات.

06: إن أولى الأولويات التي ينبغي على البشر صرف الإهتمام إليها هي الدين الإسلامي، وذلك لعظم أهميته، وحسن عاقبته، وشدة خطر الإخلال به.

07: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية تعكس حقيقة أن سنن الله تعالى مطردة في الكون، حيث ضعف المسلمين أنتج الإساءة إليهم وإهانة كرامتهم، فالضعف لا يمكن أن يتنزل عليه نصر الله.

08: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية مخطط غربي منظم يقصد إلى إبقاء العالم الإسلامي تحت الهيمنة الغربية، والقضاء على ما تبقى من مكامن قوته.

09: إنبهار المسلمين بالغرب آل إلى تنكرهم لدورهم الطبيعي في إنقاذ الإنسانية، ما سهّل على الغرب التجراً لفرض ظلماته ومظالمه عن طريق الإساءة للمقدسات الإسلامية، فلا يُحْمَل الإسلام

أخطاء الخارجين عنه.

10: إن التمعن في نصوص الدين الإسلامي ومقاصده يؤكد أن الإسلام هو الأجدر بقيادة حركة التقدم الإنساني الحضاري.

11: بتدبر نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وفهم مقاصدهما الجليلة يستطيع المرء استنباط قواعد ونظريات تهديه الإجابة على الإشكالات التي يطرحها الواقع في ضوء الدين.

12: الغرب من خلال إساءته لمقدسات المسلمين قاصداً إلى إجراء عملية غسيل مخ للعقل المسلم وإفراغه من محتواه الفكري والحضاري، المرتكز أساساً على عقائد الإسلام. ومن ثم الإساءة هي محاولة لاجتثاث الدين، وإقصائه وهدمه.

13: سبق الإسلام التشريعات الوضعية إلى تقرير الحريات والحقوق الإنسانية، وحرص على صيانتها، ووضع الضمانات الكفيلة بحمايتها، وغلظ عقوبة المسيء إليها. الأمر الذي عجزت عنه المعاهدات والمواثيق الدولية والقوانين الوضعية، مما يثبت سمو الدين الإسلامي وصلاحيته لكل زمان ومكان.

14: أثبت تاريخ الإساءة للمقدسات الإسلامية أن حقوق الإنسان في العهود والمواثيق الدولية فاقدة لمبدأي العدل والمساواة.

15: حرية التعبير في الإسلام ذات مصدر رباني، ما أكسبها القدسية والإحترام، وعدم قبول التنازل عنها.

16: حرية التعبير العارية عن الضوابط من أكبر أنواع الظلم، وهي فوضى وعبثٌ بالحق، وليست من الحق في شيء. لذا تجد الدول التي لا تضبط حرية التعبير ضبطاً كافياً تجدها في الواقع دول متخلفة إنسانياً وإن كانت ذا قوة مادية، فهي غير متحضرة.

17: ضوابط حرية التعبير في الإسلام تضمن الأمن والتعايش السلمي، وتعكس واقعية الدين الإسلامي، وأن قيمه إنسانية عادلة.

18: ضوابط حرية التعبير في الإسلام تدعو للنظر المآلي والفهم المقاصدي.

19: ضوابط حرية التعبير في الإسلام تفرض احترام عقيدة الآخر وكرامته، وعدم الإساءة لمقدساته. وبذا تجد الإسلام يقدم الإطار الذي يضمن نجاح الحرية، ويوجهها الوجهة الإنسانية المنشودة.

20: تحقيق الكرامة الإنسانية مقصد عالٍ في الإسلام، جاءت الضروريات لتحقيقه وحفظه كي يتحقق مقصد أعلى منه يتمثل في تحقيق الخلافة في الأرض.

21: تناقض حرية التعبير في الإعلان العالمي بين النظرية والتطبيق يدل على أن حرية التعبير شعارٌ مدسوس في هذا الإعلان، وأنه مطية للتجاوزات، ووسيلة للتنصل من مسؤولية الإعتداء على الآخرين.

22: إن الشعارات التي استهوى المسلمون بريقها واستوردوها من الغرب على أنها حلول جاهزة، قد جاءت في معظم الأحيان لهدم الدين الإسلامي والقضاء عليه.

23: عن طريق العقيدة الصحيحة يدرك الإنسان أصل وجوده ووظيفته ومصيره، وغيرها من التساؤلات التي قد ترد على ذهنه، وبها يكون التحصن من إغراء الشهوات وتضليل الشبهات.

24: عن طريق الموازنة بين العبادات والأخلاق يمكن التضييق على المسيئين للمقدسات الإسلامية.

25: الوحدة الإسلامية مطلبٌ شرعي، وضرورة للنهضة والإشراف على مسيرة الإنسانية.

26: المقاطعة الاقتصادية نوع من أنواع الجهاد، المستمد مشروعيته من نصوص الهدي الديني.

27: مطالبة جماهير الشعوب الإسلامية حكامها سلمياً بالوحدة والعمل مع هيئة الأمم المتحدة، من أجل سنِّ قانون يعاقب المسيء للمقدسات الإسلامية، ويلاحق على إثره قضائياً هو أقوى مسلك يمكن أن تجابه به حملات تشويه الدين والإساءة لمقدساته.

28: كل فرد مسلم مطالبٌ شرعاً بحماية المقدسات الإسلامية والذب عنها، كلٌّ في مكانه وحسب تخصصه، فالدفاع عن المقدسات الإسلامية يتطلب تضافر الجهود.

29: المسيء إلى المقدسات الإسلامية حكم الشرع فيه القتل، مسلماً كان أم كافراً.

30: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية أخطر مؤامرة ضد الإنسانية، وأعظم فساد يمارس على وجه الأرض.

31: قرر الإسلام ما يحفظ مصالح الإنسان عقيدة ومنهجاً، وبما يتناسب مع الفطرة الإنسانية.

32: إستئناف الأمة الإسلامية لدورها القيادي لا ولن يكون إلا بالتمسك بالدين وتحكيمه الواقع، فمنه الإنطلاق وبه الانضباط، وليس بروح غربية خارجة عن الإسلام متصادمة مع عقائده.

التوصيات

التوصيات :

01:أوصي القائمين على المقررات الدراسية في الدول الإسلامية بضرورة تقرير تدريس مادة التربية الإسلامية في جميع مراحل التعليم، فهي المعول عليها في غرس قيمة المقدسات الإسلامية وإعزازها في النفوس.

02:أوصي القائمين على المقررات الدراسية في هذه الدول بتقرير تدريس مقاصد الشريعة الإسلامية، وإبراز كيف أن الدين الإسلامي جاء لجلب المصالح للإنسانية ودفع المفاسد عنها. وذلك ابتداءً من سنة أولى متوسط وانتهاءً بآخر مراحل التعليم الجامعي، مع مراعاة أسلوب الخطاب بما يتناسب مع كل مرحلة عمرية، ومع كل تخصص.

03:أوصي القائمين على المقررات الدراسية بإضافة مادة علمية باسم الغزو الفكري، أو ما شابه ذلك من أسماء، وظيفتها إبراز تاريخ هذا الغزو ومقاصده، ومدى تأثيره. مع الضبط لمصطلح الإرهاب، والتفريق بينه وبين المقاومة المشروعة. ابتداءً مع مطلع التعليم المتوسط وانتهاءً بآخر مراحل التعليم الجامعي، مع مراعاة أسلوب الخطاب أيضاً.

04:أوصي أصحاب الدراسات القانونية والمشرعين القانونيين بالاستفادة من أحكام الشريعة الإسلامية، وأن يستمدوا القوانين التي يشرعونها من نصوص هديها على أوسع نطاق، بما فيها حكم الشرع في المسيء للمقدسات الإسلامية، المتمثل في القتل.

05:أدعو المشرعين القانونيين المسلمين إلى اعتبار الإساءة إلى المقدسات الإسلامية جريمة تمس أمن الدولة، والأمن الدولي عامة عوضاً عن اعتبارها في درجة أقل. ومن ثمَّ النص على قانون يعاقب المسيء للمقدسات الإسلامية عقوبة زاجرة رادعة، ويجعلها عقوبة لا يسقطها التقادم.

06:أدعو المشرعين القانونيين المسلمين إلى العمل بجدية لعقد معاهدة بين الدول الإسلامية مفادها تسليم المسيء للمقدسات الإسلامية إلى القضاء إن وُجد على أراضيها، ولو بمحض الصدفة.

07:أوصي المنظمات الدولية الساعية لحماية حقوق الإنسان بالاستفادة من الشريعة الإسلامية، التي جاءت بضمانات راقية لحقوق الإنسان، لسد الثغرات التي تتخلل العهود والمواثيق الدولية.

08:أوصي بتشكيل مجمع إعلامي إسلامي، من صفاته الإلزام، ووظيفته ممارسة الحسبة الإعلامية على وسائل الإعلام الإسلامية، ومتابعتها وتقويم أعمالها.

09:أوصي بفتح باب الحوار مع المسيء عبر ندوات مفتوحة ومؤتمرات عامة تُنشر عبر وسائل الإعلام، المقصد منها إيصال صورة الإسلام الحقيقية للعالم، وفي الوقت نفسه تبرز مدى زيف الحرية المطلقة وخطورتها.

الفہارہ

- اولاً: فہرہ الآیات القرآنیہ.
- ثانياً: فہرہ الأحادیث النبویہ.
- ثالثاً: فہرہ الآثار.
- رابعاً: فہرہ التراجم والأصولیہ والفہمیہ
والمناصریہ.
- خامساً: فہرہ المناور والتمرارجم.
- سادساً: فہرہ (ال) نوابخ.

سورة الفاتحة:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
03	﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	25

سورة البقرة:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
29	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	161، 29
34	﴿وَفَلَنَّا يَتَسَادَمُ أَن سَمِخْتَ أَنْتَ وَرَوْحَكَ الْجَنَّةِ﴾	264
88، 89	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾	101
113	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾	34
119	﴿وَلَسْ تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾	25، 119، 155
124	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾	29
142	﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰكُمْ اُمَّةً وَّسَطًا﴾	49
157	﴿إِنَّ الْأَصْبَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾	57
158	﴿إِنَّ الْأَيْدِيَّ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾	50
169	﴿وَإِذَا فِئَلٌ لَهُمْ بَاتَّبَعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾	59
176	﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوْا وُجُوْهَكُمْ فِىلَ الْمَشْرِىِ وَالْمَغْرِبِ﴾	32
183	﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾	56

56	﴿بِمَسِّ شَهَدِ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾	184
73	﴿وَفَلْتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُفْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾	189
73	﴿وَفَلْتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾	192
73	﴿بِمَسِّ إِبْتِدَى عَلَيْكُمْ فَاغْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا إِبْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾	193
73	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾	214
74	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ فِتَالٍ بِهِ﴾	215
219	﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	254
165، 75	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾	255
134	﴿إِنَّمَا أَرْسَلْنَا بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾	284
51	﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾	285

سورة آل عمران:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
07	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾	142
19	﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ إِيْسَلْمٌ﴾	24
58	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾	211
82	﴿أَفْبَعِرَ دِينَ اللَّهِ تَبْعُونَ﴾	26
97، 96	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِنَاءَ مُبْرَكَاً وَهُدًىً لِلْعَالَمِينَ﴾	35، 57، 44
103	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾	192
104	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾	126
105	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾	154

71، 49	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	110
100	﴿هَآأْتُمْ ءَآوْلَآءَ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾	119
95	﴿أَوَلَمْآ أَصْلَبْتَكُمْ مَّصِيبَةً قَدْ أَصَابْتُمْ مِثْلَيْهَا فَلْتُمْ وَأَبَى هَذَا﴾	165
33	﴿فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	179

سورة النساء:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
01	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ بِتَّفْوَأِ رَبِّكُمْ﴾	166
20	﴿وَإِن آرَدْتُمْ بِسْتِبْدَالِ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَعَآتَيْتُمْ إِحْبَابَهُمْ فَنظَارًا﴾	130
34	﴿وَالْتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُمْ فِعْظُهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَصَاحِجِ وَاضْرِبُوهُمْ﴾	214، 250، 253
40	﴿لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾	139
49	﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾	146
64	﴿قَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	70
74	﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	73
89	﴿قَلَانِ إِعْتَزَلُوكُمْ قَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ﴾	75
93	﴿فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آلفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾	144
123	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْبَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	260
134	﴿قَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَن تَعْدِلُوا﴾	147
151	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يُبَرِّفُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾	32
162، 163	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾	134
171	﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾	32

سورة المائدة:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
-----------	-----------	--------

163، 207	﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾	03
265، 26	﴿ حَرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ﴾	04
66	﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾	06
145	﴿ إِغْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾	09
33	﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	13
150	﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾	34
68	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾	46
68	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	47
68	﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	49
26	﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرَعًا وَمِنْهَا جَاءَ ﴾	50
69	﴿ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾	51، 52
199	﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾	53
66	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا يَفْعَلْ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾	56
99	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا ﴾	59، 60
200	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ ﴾	66
265	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوفِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾	93

سورة الأنعام:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
06	﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾	136
11	﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأْتُمْ بِرُسُلِ مِّن قَبْلِكَ ﴾	137
39	﴿ مَا بَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾	60

93، 49	﴿بَلَّمَا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ بَتَخْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾	46، 45
134	﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾	109
99	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾	113
144	﴿وَإِن تَطِيعَ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾	117
59	﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾	123
151	﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَهْوًا يُعَيِّرُ عِلْمِ﴾	141
150	﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾	152
153	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾	154
161	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم خَلِيفَةَ فِي الْأَرْضِ﴾	167

سورة الأعراف:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
21	﴿بَلَّمَا دَافَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهَا سَوءُ نُتُهَا﴾	264
29	﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾	167
50	﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا بِالْيَوْمِ نَسِيهِمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾	136
53	﴿إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَرَّكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	222، 225
83-79	﴿وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْبَلْحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِن أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ﴾	249
156	﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	56
158	﴿فَلِ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِلَيَّ رَسُولٌ اللَّهُ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	125، 237
180	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾	236

سورة الأنفال:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
62	﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾	76

سورة التوبة:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
17	﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾	35
18	﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	34، 55، 167
32	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾	119، 203، 255
51	﴿فَلَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾	182
66.65	﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾	136
72	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾	126
112	﴿لَإِنَّ اللَّهَ إِشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾	78

سورة يونس:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
57، 58	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ فَذُجَّاءُ تُكْمُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	89، 273
69	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾	146، 240
101	﴿فَلْيَنْظُرُوا مَاذَا هِيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	89

سورة هود:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
08	﴿وَلَيْسَ آخِرُنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾	136
60	﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾	237

سورة يوسف:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
21	﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾	178
76	﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾	24

سورة إبراهيم:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
36	﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾	263

سورة الحجر:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
09	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾	178
29	﴿بِإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَبَخْتُ بِهِ مِنْ بُحْرِ فَفَعَوْا لَهُ سَلْجِدِينَ﴾	182

سورة النحل:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
09	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾	20
36	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾	183
90	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾	166
97	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ انْتَبَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾	259
106	﴿وَلَيَكُنْ مِّنْ شَرَحٍ بِالْكَفْرِ صَدْرًا بَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾	66
125	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾	72، 43

سورة الإسراء:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
01	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾	161، 36
07	﴿لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ﴾	28
16	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا بِفَسْقُوا بِهَا﴾	198
36	﴿وَلَا تَفْنَىٰ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾	139

134	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾	70
91	﴿وَفَرَعًا إِنَّا بَرَفْنَاهُ لِنُفَرِّقَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾	106

سورة الكهف:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
165	﴿وَقُلِ الْخَوْسُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَسَّ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَسَّ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾	29
139	﴿وَيَقُولُونَ يَتْلُونَنَا مَالٍ هَذَا الْكُتُبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أُخْصِيهَا﴾	48
160	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾	49
132	﴿فَمَسَّ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَسَّ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾	79
137	﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾	101

سورة مريم:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
230	﴿يَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطَّرْنَ مِنْهُ﴾	93-91

سورة طه:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
29	﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾	11
65	﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾	39
82	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾	122

سورة الأنبياء:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
98	﴿بَلْ قَالُوا أَضَعَتْ أَهْلَكُمْ﴾	05
227	﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾	23
31، 168	﴿وَقَالُوا ابْتِخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ﴾	27، 26

200		
33	﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾	41
139	﴿وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	47
227	﴿يَلِنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِِبْرَاهِيمَ﴾	69، 68

سورة الحج:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
94	﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾	11
58	﴿الَّذِينَ إِان مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ﴾	39
84	﴿بَكَأَيْسٍ مِّن فَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾	43

سورة المؤمنون:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
152	﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوَكُم ذِكْرَهُ وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾	111

سورة النور:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
248	﴿الزَّانِيَةَ وَالزَّانِيَ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾	03، 02
248، 151	﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾	05، 04
212، 151	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ لَعَلَّيْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ لَعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾	23
248	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَيَّ أَهْلِهَا﴾	27
258، 246، 221	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِن أُنْبُسِهِمْ﴾	31-30
237	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	35
70	﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾	49-45

69	﴿بَلِّغْهُمْ دِالَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾	61
----	--	----

سورة الفرقان:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
125	﴿تَبَرَّكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	01
162	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾	63

سورة الشعراء:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
249	﴿آتَاوْنَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾	174-165

سورة القصص:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
146	﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوِيَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾	50
93	﴿فَخَرَّحَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾	79
43	﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	87

سورة العنكبوت:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
23	﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾	45
201	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	46

سورة الروم:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
83	﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾	40

سورة لقمان:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
20	﴿وَأَفْصِدْ فِي مَشِيكَ﴾	18
63، 126، 162	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	19

سورة الأحزاب:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
33، 32	﴿قَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾	246
35	﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾	259
59	﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ فُلٌ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ﴾	258

سورة سبأ:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
11-10	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾	81
26	﴿فَلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾	236
28	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآقِبَةً لِلنَّاسِ﴾	125

سورة فاطر:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
45	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾	225

سورة يس:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
39-36	﴿وَعَايَةٌ لَهُمُ الْيَلُّ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾	222

سورة الصافات:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
12	﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾	152
36، 35	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾	98
53	﴿أَمَّا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾	25

سورة ص:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
03	﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾	98

146	﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾	25
38	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾	28
152	﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾	61، 62
160، 33	﴿بِإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَبَّحْتُ بِهِ مِنْ رُوحِي فَفَعَوْا لَهُ سَلْجِدِينَ﴾	71
159	﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾	74

سورة الزمر:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
152	﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَلْحَسِرْتَنِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي حَنْبِ اللَّهِ﴾	53
32	﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾	72

سورة غافر:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
39	﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾	01، 02
139	﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾	16
63	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ عَلَيْهِمْ إِنْ فِي ضُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾	55
63	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْبِيَّ يُصْرَفُونَ﴾	69
64	﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾	70-75

سورة فصلت:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
32	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْلَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾	29، 30
175، 39	﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾	40-41
49	﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾	45

سورة الشورى:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
09	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾	218، 65، 229
14	﴿وَالَّذِينَ يَحَابُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾	62
35	﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾	128

سورة الزخرف:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
36	﴿وَأِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾	119
54	﴿بِاسْتِحْفَافٍ قَوْمَهُ بِأَطَاغُوهُ﴾	181
58	﴿وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾	63
71	﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾	245

سورة الجاثية:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
08	﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُوّاً﴾	137
14	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً قَلِيلًا فَلِنُبَسِّئَهُ﴾	28
17	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾	26
20	﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾	139
34	﴿ذَٰلِكُمْ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوّاً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾	137

سورة محمد:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
25	﴿أَقْبَلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ﴾	72، 87
29-26	﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾	66

سورة الفتح:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
10	﴿يَدُ اللَّهِ بَوَاقِ أَيْدِيهِمْ﴾	65

سورة الحجرات:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
06	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ قَاسٍ مِنْ بَنِي قَبِيلِكُمْ﴾	143
11	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ﴾	151

سورة ق:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
18	﴿مَا يَلْمِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَفِيبٌ عَتِيدٌ﴾	139

سورة الذاريات:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
12	﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾	25
58-56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	133

سورة الطور:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
22	﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾	244

سورة الواقعة:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
21-19	﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾	244
59	﴿هَذَا نَزَلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾	25
83-80	﴿إِنَّهُ لَفُرْعَانٌ كَرِيمٌ﴾	38

سورة الحديد:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
03	﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾	236

161	﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَمِينَ بِهِ﴾	07
124	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾	24
142	﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾	26

سورة المجادلة:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
65	﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾	01

سورة الحشر:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
59	﴿بَاغْتَبِرُوا يَأَيُّهَا الَّذِينَ لَا يُبْصِرُونَ﴾	02
49	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنسَاهُمْ﴾	19
31، 30، 236	﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾	24، 23

سورة الممتحنة:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
118	﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾	02

سورة الصف:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
178	﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	08

سورة الجمعة:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
31	﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	01

سورة الملك:

الصفحة	طرف الآية	رقم الآية
165	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾	16

سورة القلم:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
11، 12	﴿هَمَازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾	151

سورة الحاقة:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
16	﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةً﴾	229
44-47	﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَفَاوِيلِ ﴿١٦﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ لَفَطَعْنَا مِنْهُ الْتَوَاتِينَ ﴿١٨﴾﴾	219

سورة المعارج:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
03، 04	﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾	31

سورة الجن:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
18	﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾	34

سورة الإنسان:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
03	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾	163
19	﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾	244

سورة الغاشية:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
17-21	﴿أَقْبَلًا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِفَتْ﴾	168، 89

سورة البلد:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
10	﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾	163

سورة الشمس:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
10-7	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْتَهَا﴾	188

سورة الليل:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
12	﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾	163

سورة النين:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
04	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَجَّحٌ أَحْسَنَ تَفْوِيمٍ﴾	159

سورة القدر:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
04، 03	﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾	38، 33

سورة الزلزلة:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
09، 08	﴿بِمَنْ يَّعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾	139

سورة الهمزة:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
01	﴿وَيَلِّ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾	151

سورة الإخلاص:

رقم الآية	طرف الآية	الصفحة
4-1	﴿فَلْهُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	231، 65، 236

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
1	أبغض الناس إلى الله ثلاثة	70
2	أتاني ربي في أحسن صورة	216
3	أتدرون ما المفلس؟	152
4	أتدري ما الله؟	224
5	احتج آدم وموسى	218
6	إذا استأذن أحدكم ثلاثاً	248
7	إذا جاءكم من ترضون دينه	246
8	إذا حكم الحاكم فاجتهد	59
9	إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة	37
10	إذا سمعتم صياح الديكة	226
11	إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه	211
12	إذا قاتل أحدكم أخاه	211
13	إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه	211
14	أذن لي أن أحدث عن ملك	226
15	استفت نفسي	188
16	أفضل الجهاد حجٌّ مبرور	57
17	أفلا كنتم أذنتموني به	56
18	ألا واستوصوا بالنساء خيراً	252
19	أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله	142
20	إن الشيطان ذئب الإنسان	194
21	إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله	139

144	إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها	22
28	إن القلوب جُبلت على حبّ من أحسن إليها	23
166	إن الله أعطى كل ذي حقٍ حقه	24
226	إن الله جل ذكره أذن لي أن أحدث عن ديك	25
168	إنَّ الله كرهَ لكم ثلاثاً	26
215	إن الله لا يخفى عليكم،	27
193	إن المؤمن للمؤمن كالبنيان	28
252	أن تُطعمها إذا طعمت	29
186	إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً	30
248	أن رجلاً من أسلم	31
149	إنَّ علي رقبَةٌ مؤمنة	32
217	ان قلوب بني آدم كُلُّها بين إصْبَعَيْنِ من أصابع الرحمن	33
237	إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً	34
35	إن مكة حَرَمَها الله	35
227	إن مما خلق الله تبارك ديكاً	36
137	أنَّ يهودية كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم	37
142	أنا فَرَطُكُمْ على الحوض	38
77	أنا محمد، وأحمد	39
133	إنما الأعمال بالنيات	40
259	إنما النساء شقائق	41
186	إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	42
53	إنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا	43
52	إنه لا يأتي بخير	44
41	إنها مُبارَكَةٌ، إنها طَعَامٌ طُعِمَ	45

39	إني أعلم أنك حَجْرٌ	46
60	إني إنما أقضي بينكم برأبي	47
217	إني رأيت ربي عزَّ وجلَّ في منامي	48
144	إياكم والظن	49
146	آية المنافق ثلاثٌ	50
239	أ يكون المؤمن جباناً	51
75	إيمان بالله ورسوله	52
152	بحسب امرئٍ من الشر	53
44	بغلوا عني	54
168	تزوجوا الودود	55
75	تضمن الله لمن خرج في سبيله	56
64	تفكروا في آلاء الله	57
39	الحَجْرُ الأسود من الجنة	58
148	خالفوا اليهود والنصارى	59
149	خرجت جارية وعليها أوضاح	60
153	خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأً بيده	61
212	خلق الله آدم على صورته	62
26	خمس من الفطرة	63
41	خيرٌ ماءٍ على وجه الأرض	64
51	دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جبل ممدود	65
128	الدين النصيحة	66
52	ذروني ما تركتكم	67
213	رأيت ربي في صورة شابٍ أمرَدَ	68
37	سيِّدُ الأيام	69

38	صيام يوم عرفة	70
230	العزُّ إزاره	71
154	عليكم بالجماعة	72
36	عليكم بالشام	73
53	غارت أمكم	74
152، 35	فإن دمائكم، وأموالكم	75
21	فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد	76
44	فليبلغ الشاهد الغائب	77
227	فينزل تبارك وتعالى، يحمل عرشه يومئذ ثمانية	78
137	قال الله «كذبني ابن آدم	79
186	كان خلقه القرآن	80
228	كان في بني إسرائيل رجلٌ قتل تسعة وتسعين إنساناً	81
20	كانت صلاته قصداً	82
219	كرسيه موضع قدميه	83
144	كفى بالمرء كذباً	84
57	كل عمل ابن آدم له إلا الصوم	85
25	كما تدينُ تدان	86
22	كنت نهيتكم عن زيارة القبور	87
60	كيف تقضي إذا عرَضَ لك قضاء؟	88
219	لا تزال جهنم يلقى فيها	89
138	لا تسبوا أصحابي	90
35	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد	91
52	لا تشددوا على أنفسكم	92
252	لا تضرب ظعنيتك	93

253	لا تضربوا إماء الله	94
162	لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم	95
135	لا تقتلوا الولدان	96
76	لا تقتلوا شيخاً فانياً	97
127، 28	لا تكونوا إمعاً	98
67	لا يحل دم امرئ مسلم	99
251	لا يحل لرجل أن يهجر أخاه	100
249	لا يخلون رجل بامرأة	101
267	لا يرحم الله من عباده إلاّ الرحماء	102
267	لا يرحم الله من لا يرحم	103
210	لا يقولن أحدكم لأحد: قبح الله وجهك	104
166	لأن يأخذ أحدكم حبله	105
247	لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط	106
140	لنؤدّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة	107
34	لنزال الدنيا أهون على الله	108
250	لعن الله من عمل عمّل قوم لوط	109
75	لغدوة في سبيل الله	110
253	لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن	111
135	لم لظمت وجهه	112
47	لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية	113
21	ليس وراء الله مرمى	114
33	ما أطيبك وأطيب ریحك	115
165	ما أكل أحد طعاماً قط	116
36	ما بين بيتي ومنبري	117

186	ما شيءٌ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة	118
254	ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده	119
202	ما من عبد استرعاه الله رعيةً	120
37	ما من يومٍ أكثر من أن يُعْتَقَ اللهُ فيه عبداً من النار	121
94	مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم	122
36	المدينة خيرٌ لهم	123
247	مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين	124
143	من أحدث في أمرنا هذا	125
192	من أراد ببحوحة الجنة	126
67، 26 269، 165	من بدّل دينه	127
55	من بنى مسجداً	128
142	من دعا إلى ضلالة	129
71	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده	130
192	من فارق الجماعة شبراً	131
37	من قام رمضان إيماناً	132
140	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً	133
139	من كانت له مظلمة لأخيه	134
127	من لم يهتم بأمر المسلمين	135
250	من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط	136
207	المؤمن مرآة المؤمن	137
44	نضر الله امرأ سَمِعَ منّا حديثاً	138
160	نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن النهبى	139
219	هل تضارون في رؤية الشمس والقمر	140
214	هل رأيت ربك	141

247	والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم	142
147	وأما المهلكات، فشح مطاع	143
238	وإن الرجل ليكذب	144
140	وهل يكب الناس في النار على وجوههم	145
84	ويبقى شرار الناس	146
148	يا بلال، فم فنادٍ بالصلاة	147
246	يا معشر الشباب، من استطاع الباءة	148
51	يأبها الناس عليكم من الأعمال ما تُطيقون	149
166	يأبها الناس، ألا إن ربكم واحد	150
249	يأمر فيمن زنى ولم يحصن	151
220	يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم	152
87	يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم	153
154	يد الله على الجماعة	154
192	يد الله مع الجماعة	155
143	يرث هذا العلم من كل خلفٍ عدوله	156
221، 38	ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة	157
138	يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر	158

فهرس الأآار

أبو بكر الصديق - رضي الله عنه.

الرقم	الأثر	الصفحة
1	إنَّ أكيس الكيس التقوى، وأحمق الحمقِ الفجور، ألا وإن الصدق عندي الأمانة، والكذب الخيانة، ألا وإن القوي عندي ضعيف حتى آخذ منه الحق، والضعيف عندي قوي حتى آخذ له الحق	128، 183
2	والله لو منعوني عناقاً مما كانوا يُعطون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهُم عليه	67
3	سوف تمرُّون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له	135

عمر بن الخطاب - رضي الله عنه.

الرقم	الأثر	الصفحة
1	الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوِّم عمر إذا اعوج!	129
2	بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبائهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبيهم ، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم...	135
3	إذا جلس الرب على الكرسي، سمع له أطيظ كأطيظ الرجل الجديد	223
4	مُذْكُمْ تعبَّدتم الناس وقد ولدتم أمهاتهم أحراراً؟	130
5	إتقوا الله عباد الله وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولايني الله من أمركم.	129
6	امرأة أصابت، ورجل أخطأ	130

مائة أم المؤمنين - رضي الله عنهن.

الرقم	الأثر	الصفحة
1	من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية	214

محمد اللّٰه بن عباس -رضي اللّٰه عنهما.

الرقم	الأثر	الصفحة
1	فَتَدْرُوا الْحَقَّ فَتَجُورُوا	147

محمد اللّٰه بن عمرو -رضي اللّٰه عنهما.

الرقم	الأثر	الصفحة
1	إن العرش مطوق بحية، وإن الوحي لينزل في السلاسل	225

أبي موسى -رضي اللّٰه عنه.

الرقم	الأثر	الصفحة
1	الكرسي موضع القدمين وله أطيظ كأطيظ الرجل	223

ربيع بن حامر -رضي اللّٰه عنه.

الرقم	الأثر	الصفحة
1	جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة	47

فهرس القواعد الأصولية والفقهية والمقاصدية

الرقم	القاعدة	الصفحة
1	إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمها ضرراً بارتكاب أخفهما.	270، 74
2	إذا دار الأمر بين فعل إحدى المصلحتين وتفويت الأخرى بحيث لا يمكن الجمع بينهما روعي أكبر المصلحتين وأعلاها ففُعِلت.	269
3	الأصل أن الشيء يُعتبر ما لم يُعد على موضوعه بالنقض والإبطال.	155
4	الأصل في العادات الإباحة إلا ما ورد عن الشارع تحريمه.	148
5	الأمر بمقاصدها.	133
6	درء المفسد أولى من جلب المصالح.	269
7	درء المفسد مقدّم على جلب المصالح إذا كانت المفسد أعظم من المصالح أو مساوية لها.	269
8	دفع المفسد مقدم على جلب المصالح.	154
9	الضرر الأشد يُزال بالضرر الأخف.	154
10	الضرورات تبيح المحظورات.	74
11	الضرورة تقدر بقدرها.	76
12	العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.	146
13	العبرة في التصرفات للمقاصد والمعاني لا للألفاظ والمباني.	254
14	ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.	199
15	مدح الفعل دليل على قصد الشارع إلى إيقاعه، وذمه دليل على القصد إلى عدم إيقاعه.	126
16	المشقة تجلب التيسير.	54
17	وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً.	272
18	يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام.	272
29	يختار أهون الشرين.	270

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكرم وتفاسيره وعلومه.

- 01: القرآن الكرم برواية ورش عن نافع، بالرسم العثماني.
- 02: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان، (د.ط)، 1415هـ - 1995م.
- 03: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبوبكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم - المملكة العربية السعودية، ط 05: 1424هـ - 2003م، ج 9
- 04: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد الأندلسي، صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، (د.ط)، 1420هـ، ج.9
- 05: البحر المديد، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2: 1423 هـ - 2002م، ج.01.
- 06: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط01: 1376هـ - 1957م، ج.2.
- 07: (أ): التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية - تونس، (د.ط)، 1984م، ج6، ج8.
- (ب): التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، (د.ط)، 1997م، ج4، ج9.
- 08: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 02: 1420 هـ - 1999م، ج03، ج6،
- 09: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط02: 1418هـ، ج02، ج9، ج17.
- 10: تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تح: مروان محمد الشعار، دار النفائس - بيروت، (د.ط)، 2005م، ج.3.
- 11: التفسير الواضح، محمد الحجازي، دار الجيل الجديد - بيروت، ط10: 1413هـ، ج.03
- 12: تيسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط01: 1420هـ - 2000م.

- 13: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط01:
- 1420هـ-2000م، ج03، ج.23
- 14: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب-
- المملكة العربية السعودية، (د.ط)، 1423هـ-2003م، ج 10، ج.17.
- 15: الدر المنثور، عبد الرحمان بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر- بيروت، (د.ط)، 1993م، ج4.
- 16: (أ): صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية- بيروت، (د.ط)، 1428هـ-2007م، ج 01 .
- (ب): صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط01: 1417 هـ-1997م.
- 17: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، أحمد شاكر، أعده: أنور الباز، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، ط2: 1426هـ - 2005م، ج.01
- 18: فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، (د.ط)، 1412هـ-1992م، ج.13.
- 19: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر- بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج.02، ج.03
- 20: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية - لبنان، ط1: 1419 هـ - 1998م، ج.10
- 21: مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم - لبنان، ط07: 1402هـ-1981م، ج.2
- 22: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، د/أحمد مصطفى متولي، دار ابن الجوزي- القاهرة، ط01: 1426هـ-2005م.

- 23: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، دار الكتب العلمية - لبنان، ط01: 1415هـ - 1994م، ج4.
الحديث النبوي وشروحه وعلومه.
- 24: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، حققه وخرَّج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1: 1408هـ - 1988م، ج5، ج10، ج11، ج14، ج15.
- 25: إرواء الغليل في تخرِج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط02: 1405هـ - 1985م، ج5، ج8.
- 26: الإستذكار، أبو عمر يوسف القرطبي، تح: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط01: 1421هـ - 2000م، ج02.
- 27: الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة، عبد الرحمان المعلمي اليماني، المطبعة السلفية ومكنتها، عالم الكتب - بيروت، (د.ط)، 1406هـ - 1986م.
- 28: تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية - بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج07.
- 29: تخرِج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، لسيد قطب، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط2: 1416هـ - 1995م.
- 30: تخرِج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين الزيلعي، تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة - الرياض، ط01: 1414هـ، ج2.
- 31: الترغيب والترهيب، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تح: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث - القاهرة، ط01: 1414هـ - 1993م، ج01.

- 32: الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، ط1: 1424هـ، مج.02
- 33: تغليق التعليق على صحيح البخاري، أبو الفضل بن حجر العسقلاني، تح: سعيد القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، الأردن، ط1: 1405هـ، ج.3
- 34: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الأزدي، تح: د/زيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة - مصر، ط01: 1415هـ-1995م.
- 35: الجامع الكبير (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى بن سؤرة الترمذي، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، (د.ط.)، 1998م، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5
- 36: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري (صحيح البخاري)، تح: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1: 1422هـ، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5، ج6، ج7، ج8، ج9
- 37: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، محمد بن محمد أبو شُهبة، مكتبة السنة، ط01: 1989م.
- 38: الرد على الجهمية، أبو عبد الله محمد بن إسحاق (ابن مندّه)، تح: علي الفقيهي، المكتبة الأثرية - باكستان، (د.ط.)، (د.ت.)
- 39: الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد الطبراني، تح: محمد شكور محمود، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، ط01: 1405هـ - 1985م، ج.01
- 40: رؤية الله، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، تح: إبراهيم محمد العلي، أحمد فخري الرفاعي، مكتبة المنار - الأردن، (د.ط.)، 1411هـ.
- 41: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، (د.ط.)، 1415هـ - 1995م، ج01، ج2، ج6.

- 42:سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف - المملكة العربية السعودية، ط1: 1412هـ-1992م، ج3، ج.6
- 43:السنة، أبو بكر بن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، ط1: 1400هـ-1980م، ج.01
- 44:سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، ج1، ج.2
- 45:سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية - بيروت، (د.ط)، ج1، ج2، ج3، ج.4
- 46:سنن الدارقطني، أبو الحسن علي الدارقطني، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة - لبنان، ط1: 1424هـ - 2004م، ج.1
- 47:السنن الكبرى، أحمد بن الحسين الخراساني(البيهقي)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - لبنان، ط3: 1424هـ - 2003م، ج2، ج4، ج5، ج6، ج7، ج8، ج9، ج.10
- 48:السنن الكبرى، أحمد بن شعيب الخراساني(النسائي)، تح: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1: 1421هـ-2001م، ج.8 .
- 49:شرح السنة، أبو محمد الحسين البغوي، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط2: 1403هـ-1983م، ج.1
- 50:شرح حديث النزول، تقي الدين ابن تيمية، المكتب الإسلامي - لبنان، ط05: 1397هـ - 1977م.
- 51:شرح صحيح البخاري لابن بطلال، ابن بطلال أبو الحسن علي، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، ط02: 1423هـ-2003م، ج.10
- 52:شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تح: د/عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض، ط1: 1423هـ - 2003م، ج6، ج.11
- 53:صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تح: د/ محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج.4

- 54: صحیح الترغیب والترهیب، محمد ناصر الدین الألبانی، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، ط1: 1421هـ - 2000م، ج.02
- 55: صحیح الجامع الصغیر وزياداته، محمد ناصر الدین الألبانی، المكتبة الإسلامي، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ج.2
- 56: العرش وما رُوي فيه، أبو جعفر محمد بن أبي شيبة، تح: محمد بن خليفة التميمي، مكتبة الرشد - المملكة العربية السعودية، ط01: 1418هـ - 1998م.
- 57: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، جمال الدين أبو الفرج الجوزي، تح: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية - باكستان، ط2: 1401هـ - 1981م، ج.01
- 58: العلو للعلي الغفار في إيضاح صحیح الأخبار وسقيهما، شمس الدين الذهبي، تح: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، ط1: 1416هـ - 1995م.
- 59: فيض التقدير شرح الجامع الصغیر، زين الدين محمد القاهري، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط01: 1356هـ، ج.01
- 60: القضاء والقدر، أحمد أبو بكر البيهقي، تح: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان - السعودية، ط01: 1421هـ - 2000م.
- 61: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط01: 1409هـ، ج.07
- 62: كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي (العجلوني)، تح: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، المكتبة العصرية، ط1: 1420هـ - 2000م، ج.1
- 63: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين، تح: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط5: 1401هـ - 1981م، ج.05
- 64: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، جلال الدين السيوطي، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: 1417هـ - 1996م، ج.1.

- 65: اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الأعارف، محمد بن عمر الأصبهاني، تح: محمد علي سمك، دار الكتب العلمية، ط1: 1420هـ-1999م.
- 66: المجتبى من السنن (السنن الصغرى)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط2: 1406هـ - 1986م، ج6، ج7.
- 67: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي الهيثمي، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي - القاهرة، (د.ط)، 1414هـ- 1994م، ج1، ج4، ج5، ج6، ج8، ج10.
- 68: مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط2: 1412هـ - 1991م.
- 69: المستدرک على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: 1411هـ - 1990م، ج1، ج2.
- 70: مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1: 1421هـ- 2001م، ج1، ج4، ج5، ج7، ج9، ج21، ج26، ج29، ج32، ج33، ج36، ج38، ج42، ج43.
- 71: مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، تح: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط01: 2009م، ج03، ج13، ج15.
- 72: مسند الدارمي (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله الدارمي، تح: حسين سليم أسد الدارمي، دار المغني للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية، ط01: 1412هـ - 2000م، ج3.
- 73: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ج2، ج3، ج4.
- 74: مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله التبريزي، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط03: 1985م، ج01.
- 75: مشكل الحديث وبيانه، محمد بن الحسن الأصبهاني، تح: موسى محمد علي، عالم الكتب - بيروت، ط02: 1985.

- 76:المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني، دار العاصمة، دار الغيث-
السعودية، ط1: 1419هـ، ج.14
- 77:المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد
المحسن بن ابراهيم الحسيني، دار الحرمين- القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ج4، ج5، ج6،
ج.7
- 78:المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن
تيمية- القاهرة، ط2، (د.ت)، ج1، ج9، ج12، ج17، ج20، ج.22
- 79:المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين أبو الخير
السخاوي، تح: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1: 1405هـ -
1985م.
- 80:المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ابن قيم الجوزية، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة
المطبوعات الإسلامية - حلب، ط1: 1390هـ - 1970م.
- 81:المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين النووي، دار إحياء التراث
العربي- بيروت، ط02: 1392، ج.16
- 82:موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبحي، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء
التراث العربي- لبنان، (د.ط)، 1406هـ - 1985م، ج.02
- 83:نيل الأوطار، محمد الشوكاني، تح: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث - مصر، ط1:
1413هـ - 1993م، ج.7.
- معاجم اللغة العربية وعلومها.
- 84:أساس البلاغة، أبو القاسم محمود جار الله، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب
العلمية- لبنان، ط1: 1419هـ-1998م، ج.02
- 85:تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي، دار الهداية، (د.ط)، (د.ت)،
ج9، ج.38.

- 86: تصحيح التصحيح وتحرير التحريف، صلاح الدين خليل الصفدي، تح: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط1: 1407هـ-1987م.
- 87: تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتران دوزي، تر: محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية، ط1: 1979م - 2000م، ج6، ج8.
- 88: تهذيب اللغة، محمد الهروي، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1: 2001م.
- 89: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد الأزدي، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط1: 1978م، ج2.
- 90: الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم الأنباري، تح: د/حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1: 1412هـ-1992م، ج1.
- 91: شرح ديوان ايليا أبو ماضي، تقديم ودراسة: حجر عاصي، دار الفكر العربي - بيروت، ط1: 1999م.
- 92: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، تح: د/ حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر - لبنان، دار الفكر - سورية، ط1: 1420هـ-1999م، ج4.
- 93: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر اسماعيل الفارابي، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4: 1407هـ-1987م، ج3.
- 94: كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية - لبنان، ط1: 1403هـ - 1983م.
- 95: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، د/ سعدي أبو حبيب، دار الفكر - سورية، ط2: 1408هـ-1988م.
- 96: لسان العرب، محمد ابن منظور، دار صادر - بيروت، ط3: 1414هـ، ج01، ج02، ج4.
- 97: مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس الرازي، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2: 1406هـ-1986م، ج1.

- 98:معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط01:
1429هـ- 2008م، ج1، ج.3
- 99:المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون، دار الدعوة، (د.ط) ، (د.ت).
- 100:معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 : 1408هـ - 1988م.
- 101:موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي الفاروقي، تح: د/علي دحروج، تر: د/عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط01: 1996م، ج1، ج.2.
العقيدة.
- 102:إبطال التأويلات لأخبار الصفات، القاضي أبو يعلى ابن الفراء، تح: محمد النجدي، دار إيلاف الدولية - الكويت، (د.ط)، (د.ت)، ج.1
- 103:الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين البيهقي، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي - المملكة العربية السعودية، ط01: 1413هـ-1993م، ج.2
- 104:أ):الإعتصام، أبي إسحاق إبراهيم الشاطبي، تح: محمد رشيد رضا، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، (د.ط)، (د.ت)، ج.01.
- ب):الإعتصام، أبي اسحاق الشاطبي، اعتنى بها: محمود بن الجميل، دار الإمام مالك - الجزائر - ط01: 1431 هـ - 2010م.
- 105:إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، أبو عبد الله محمد الحموي الشافعي، تح: وهبي سليمان، دار السلام للطباعة والنشر - مصر، ط01: 1410هـ-1990م.
- 106:بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط01: 1426هـ، ج.07
- 107:تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب، دار الندوة الجديدة - لبنان، ط05:
1403هـ-1983م.
- 108:التبصير في الدين، أبي المظفر شاهفور الاسفراييني، تح: د/مجيد الخليفة، دار ابن حزم - لبنان، ط01: 1429هـ - 2008م.

- 109: تحريم النظر في كتب الكلام، أبو محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي، تح: عبد الرحمان بن محمد سعيد، عالم الكتب - السعودية، ط1: 1410هـ - 1990م.
- 110: رسالة التوحيد، إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، تر: أبو الحسن علي الندوي، إعنتى بها: سيد عبد الماجد الغوري، دار وحي القلم - دمشق، ط01: 2003م.
- 111: الرسائل الشخصية، محمد بن عبد الوهاب التميمي، تح: صالح بن فوزان الفوزان، محمد العيلقي، جامعة الإمام محمد بن سعود - المملكة العربية السعودية، (د.ط)، (د.ت).
- 112: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد السعدي الأنصاري، تح: عبد الرحمان بن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة - لبنان، ط01: 1417هـ - 1997م، ج.1
- 113: العرش، شمس الدين الذهبي، تح: محمد التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المملكة العربية السعودية، ط2: 1424هـ - 2003م، ج.02
- 114: عقيدة المسلم، محمد الغزالي، دار الهناء - الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
- 115: في العقيدة، د/ عبد الفتاح القأوى، دار أسامة لاطوغلى، (د.ط)، 1405هـ - 1985م.
- 116: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبي بكر محمد بن خزيمه، تح: د/عبد العزيز الشهوان، مكتبة الرشد الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع - الرياض، ط6: 1418هـ - 1997م، ج.1، ج.2
- 117: كتاب التوحيد وقره عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، عبد الرحمان بن حسن التميمي، تح: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد - المملكة العربية السعودية، مكتبة دار البيان - الجمهورية العربية السورية، ط01: 1411هـ - 1990م.
- 118: موسوعة الألباني في العقيدة، محمد ناصر الدين الألباني، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة - اليمن، ط01: 1431هـ - 2010م، ج.07
- 119: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط04: 1420هـ، ج.02
- 120: الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف و الدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط1: 1422هـ.

أصول ومقاصد الشريعة وقواعد الفقه.

121: (أ): الإجتهد المقاصدي، د/نور الدين مختار الخادمي، دار ابن حزم - لبنان، ط01: 1431هـ - 2010م.

(ب): الإجتهد المقاصدي، د/نور الدين مختار الخادمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، ط1: 1419هـ، ج.2

122: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تح: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي - دمشق، ط01: 1419هـ - 1999م، ج.1

123: الأشباه والنظائر، تاج الدين السبكي، دار الكتب العلمية، ط1: 1991م، ج.01

124: الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، ط01: 1990م.

125: أصول الفقه الإسلامي، د/ محمد سراج، دار الجامعة الجديدة للنشر، منشأة المعارف بالاسكندرية، (د.ط)، 1418هـ - 1998م.

126: أصول الفقه، د/فاضل عبد الرحمان، دار المسيرة - الأردن، ط04: 1425هـ - 2004م.

127: أصول النظام الإجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع - تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، ط2، (د.ت).

128: (أ): إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، قرأه وقدم له وخرَّج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية، ط1: 1423هـ، مج02، مج5،

(ب): إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تح: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط01: 1411هـ - 1991م، ج.3

129: (أ): البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، دار الكتبي، ط01: 1414هـ - 1994م، ج.7.

(ب): البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد الزركشي، تح: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية - لبنان، ط1: 1421هـ - 2000م، ج.04

130: البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله الجويني، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية - لبنان، ط01: 1418هـ - 1997م، ج.2.

- 131: الجوانب التربوية في أصول الفقه الإسلامي، د/مصطفى ديب البغا، عالم الكتب الحديث - الأردن، جدارا للكتاب العالمي - الأردن، ط01: 2006م.
- 132: حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، تح: السيد سابق، دار الجيل - لبنان، ط01: 2005م، ج.02
- 133: رسالة في القواعد الفقهية لفهم النصوص الشرعية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار الإمام مالك - الجزائر، ط01: 1433هـ - 2012م.
- 134: رسالة في رعاية المصلحة، الطوفي، تح: د/أحمد عبد الرحيم السايح، الدار المصرية اللبنانية، ط01: 1413 هـ - 1993م.
- 135: رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة، عبد الرحمان بن ناصر آل سعدي، قيدها واعتنى بأصلها: أبو الحارث نادر التعمري، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان، ط1: 1418هـ - 1997م.
- 136: شرح القواعد الفقهية، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم - سوريا، ط02: 1409هـ - 1989م.
- 137: شفاء الغليل في بيان الشبّه والمخيل ومسالك التعليل، أبي حامد الغزالي، تح: د/حمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد - بغداد، ط01: 1390هـ - 1971م.
- 138: علم أصول الفقه، د/عبد الوهاب خلاف، دار الغد الجديد - المنصورة، ط01: 1431هـ - 2010م.
- 139: غمز عيون البصائر (شرح كتاب الأشباه والنظائر)، السيد أحمد بن محمد الحنفي الحموي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: 1405هـ - 1985م، ج.2
- 140: فقه الأولويات، محمد الوكيل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1997م.
- 141: فقه الموازنات في باب المصالح والمفاسد (دراسة أصولية فقهية تطبيقية)، د/جبريل البصلي، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع - أبها، دار هجر للنشر والتوزيع - أبها، ط1: 2004م.
- 142: الفكر المقاصدي قواعده وفوائده، أحمد الريسوني، منشورات جريدة الزمن، (د.ط)، 1999م.
- 143: (أ): قواعد الأحكام في إصلاح الأنام (القواعد الكبرى)، عز الدين بن عبد السلام، تح: د/نزير كمال حماد، د/عثمان جمعة ضميرية، دار القلم - دمشق، (د.ط)، (د.ت)، ج01.

- (ب):قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين بن عبد السلام، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، (د.ط)، 1414هـ-1991م، ج1.
- 144:قواعد الفقه، محمد عميم الإحسان المجددي، الصدف ببلشرز- كراتشي، ط01: 1407هـ-1986م.
- 145:القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، د/ محمد مصطفى الزحيلي، دار الفكر- دمشق، ط01: 1427هـ-2006م، ج01.
- 146:القواعد النورانية الفقهية، تقي الدين بن تيمية، تح:د/أحمد بن محمد الخليل، دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية، ط1: 1422هـ.
- 147:القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المملكة العربية السعودية، ط1: 1423هـ - 2003م، ج01.
- 148:اللمع في أصول الفقه، أبي إسحاق الشيرازي، تح: محيي الدين مستو، يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب- دمشق- بيروت، دار ابن كثير- دمشق- بيروت، ط1: 1416هـ-1995م.
- 149:المحصل، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، تح: د/طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ط03: 1418هـ-1997م، ج04.
- 150:المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي، د/ عمر سليمان الأشقر، دار النفائس - الأردن، ط1: 1425هـ-2005م.
- 151:المدخل إلى علم القواعد الفقهية، د/نور الدين بوحمة، دار الكفاية - الجزائر، (د.ط)، 1435هـ - 2014م.
- 152:المدخل للفقه الإسلامي (تاريخه ومصادره ونظرياته العامة)، محمد سلام مذكور، دار الكتاب الحديث- الكويت، (د.ط)، (د.ت).
- 153:المستصفي، أبو حامد الغزالي، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1: 1413هـ-1993م.
- 154:المصلحة العامة من منظور إسلامي، د/فوزي خليل، المعهد العالمي للفكر الاسلامي - هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، دار ابن حزم- لبنان، ط1: 1427هـ-2006م.

- 155:مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، شمس الدين محمد بن قيمّ الجوزية، تح: محمد أحمد عيسى، دار الغد الجديد - المنصورة، ط1: 01 : 1429 هـ - 2008م، ج.01
- 156:مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، د/محمد سعد اليوبي، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض، ط1، 1998م.
- 157:مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط5: 1993م.
- 158:(أ):مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تح: محمد الطاهر الميساوي، دار لبنان للطباعة والنشر، ط1: 2004م.
- (ب):مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تح: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع- الأردن، ط02: 1421هـ-2001م.
- 159:مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، د/ عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط01: 2006م.
- 160:مقاصد الشريعة عند الشيخ القرضاوي، د/جاسر عودة، (د.ر)، (د.ط)، 2007م.
- 161:مقاصد الشريعة، محمد مهدي شمس الدين وآخرون، دار الفكر المعاصر- لبنان، دار الفكر- سورية، ط01: 1422هـ-2002م.
- 162:الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، تح: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط01: 1417هـ-1997م، ج2، ج3.
- 163:نظرية الضرورة الشرعية مقارنة مع القانون الوضعي، د/ وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر- لبنان، دار الفكر - سورية، ط9: 1431هـ - 2010م.
- 164:نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط02: 1412هـ-1992م.
- 165:نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، إسماعيل الحسني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - هيرندن - فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، ط02: 1426هـ-2005م.
- 166:الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، د/محمد صدقي الغزي، مؤسسة الرسالة- لبنان، ط04: 1416هـ-1996م.

الفقه الإسلامي.

167:أ) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تنقيح وتصحيح: خالد العطار، دار الفكر - لبنان، (د.ط)، 1428هـ-2008م، ج2.

ب) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن رشد القرطبي، دار الحديث - القاهرة، (د.ط)، 1425هـ-2004م، ج3

168:الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه، د/عبد الرحمان بن صالح المحمود، دار طيبة - الرياض، ط01: 1420هـ..

169:درر الحكام شرح غرر الأحكام، محمد بن فرامرز ملا، دار إحياء الكتب العربية، (د.ط)، (د.ت)، ج02

170:الفقه الإسلامي وأدلته، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - سورية، ط04، (د.ت)، ج07

171:الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غانم النفراوي، دار الفكر، (د.ط)، 1415هـ-1995م، ج1

172:كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور البهوتي، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت)، ج5

173:مجموع الفتاوى، تقي الدين بن تيمية، تح: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، (د.ط)، 1416هـ-1995م، ج6، ج19

174:مجموع فتاوى ابن باز، عبد العزيز بن باز، (د.ر)، (د.ط)، (د.ت)، ج4

175:مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، (د.ط)، (د.ت)، ج1

176:المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط09: 1387هـ-1968م.

السيرة النبوية.

177:حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر الحميري، تح: محمد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج - جدة، ط1: 1419هـ.

- 178: خاتم النبیین صلی الله علیه وآله وسلم، محمد أبی زهرة، دار الفكر العربی - القاهرة، (د.ط)، 1425هـ، ج.2
- 179: الرحیق المختوم، صفی الرحمان المبارکفوری، دار ابن حزم - لبنان، ط01: 1423 هـ - 2002م.
- 180: السیرة الجامعة للأحداث التاریخیة ومواقف خاتم النبیین فی التریبة الحسنة، عبد العزیز سید عمر، مطبعة دار هومة، (د.ط)، (د.ت).
- 181: السیرة النبویة منهجیة دراستها واستعراض أحداثها، عبد الرحمان علی الحجی، دار ابن کثیر - دمشق، ط1: 1420هـ.
- 182: السیرة النبویة، أبی الفداء إسماعیل بن کثیر، تح: مصطفی عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزیع - لبنان، (د.ط)، 1396هـ-1971م، ج.8
- 183: عبقریة محمد صلی الله علیه وسلم، عباس محمود العقاد، دار النجاح للکتاب - الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
- 184: الفصول فی السیرة، أبو الفداء إسماعیل بن کثیر، تح: محمد العید الخطراوی، محیی الدین مستو، مؤسسة علوم القرآن، ط03: 1403هـ.
- 185: محمد صلی الله علیه وسلم المثال الأسمى، أحمد ديدات، ترجمة وتعلیق: محمد مختار، دار الهدی - الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
- 186: محمد كأنک تراہ، عائض القرنی، دار ابن حزم - بیروت، (د.ط)، 2010م.
- 187: هذا الحبیب محمد رسول الله صلی الله علیه وسلم یأحب، أبی بکر جابر الجزائری، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزیع - بیروت، ط01: 1995م.
- السیاسة الشرعیة .
- 188: خصائص التشریع الإسلامی فی السیاسة والحکم، د/فتحی الدینی، مؤسسة الرسالة، ط02: 1434هـ-2013م.
- 189: السیاسة الشرعیة فی الشئون الدستوریة والخارجیة والمالیة، عبد الوهاب خلّاف، دار القلم، (د.ط)، 1408هـ-1988م.

القانون.

- 190:الإلتزام الدولي باحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، د/إبراهيم أحمد خليفة، دار الجامعة الجديدة - الأزاريطة، (د.ط)، 2007م.
- الدعوة وأحوال المسلمين.
- 191:أثر العبادات في وحدة المجتمع الإسلامي، د/أحمد محمد برج، دار الجامعة الجديدة - الإسكندرية، (د.ط)، 2004م.
- 192:الأحكام الشرعية للثورات العربية، على بن نايف الشحود، (د.ر)، ط1: 1432هـ- 2011م.
- 193:أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشه، محمد شريف الزبيق، دار الوفاء، ط03: 1399هـ - 1979م.
- 194:أسباب انتشار الإسلام شهادة غربية، د/محمد عمارة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - مصر، ط1: 1433هـ - 2012م.
- 195:أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، سليمان الخطيب، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
- 196:الإسلام المفترى عليه، محمد الغزالي، دار الهنأ للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
- 197:الإسلام والحضارات الأخرى، د/محمد عمارة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - مصر، ط1: 1433هـ - 2012م.
- 198:الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، شحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي، (د.ط)، (د.ت).
- 199:الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم، سعيد عبد العظيم، دار ابن الهيثم - القاهرة، ط01: 2005م.
- 200:أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة - لبنان، ط9: 1421هـ - 2001م.

- 201:أضواء على أوضاعنا السياسية، عبد الرحمان بن عبد الخالق اليوسف، دار القلم - الكويت، ط01: 1398هـ-1978م.
- 202:إلى الإسلام من جديد، علي أبو الحسن الندوي، دار القلم للنشر والتوزيع - دمشق، ط04: 1399هـ-1979م.
- 203:بين الرشاد والتهيه، مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر- لبنان، دار الفكر- سوريا، ط02: 1423هـ-2002م.
- 204:التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، سيعد إسماعيل القاضي، عالم الكتب، ط01: 2004م.
- 205:التربية والعمولة، د/مجدى إبراهيم، عالم الكتب - القاهرة، ط 01: 1429 هـ - 2008م.
- 206:حراسة الفضيلة، بكر أبو زيد، مكتبة السنة- القاهرة، ط01: 2001م.
- 207:حرية الإنسان بين الواقع والشريعة، د/ صادق مكى، دار الفكر اللبناني- بيروت، ط01: 1992م.
- 208:الحق المر، محمد الغزالي، دار الهدى عين ميله - الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
- 209:الحل الإسلامي فريضة وضرورة، د/ يوسف القرضاوي، (د.ر)، (د.ط)، 1394هـ-1974م.
- 210:الحلال والحرام في الإسلام، د/يوسف القرضاوي، دار الهدى- الجزائر، (د.ط)، 2012م.
- 211:الحلال والحرام في الإسلام، محمد متولي الشعراوي، أعده وعلق عليه وقدم له: عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي، دار التوفيقية للتراث- القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
- 212:الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم، يوسف الطويل، صوت القلم العربي - مصر، ط02: 1431هـ - 2010م، ج03.
- 213:الخطاب الأخلاقي في الحضارة الإسلامية بين الماضي والحاضر، د/حامد طاهر، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، ط01: 2006م.

- 214: الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، تر: محمد خليفة التونسي، قدم له: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي - لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- 215: الدعوة إلى الإسلام مضامينها وميادينها، عبد الكريم الخطيب، دار الكتاب العربي - بيروت، ط01: 1402هـ - 1982م.
- 216: سر تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي، دار الهنأ للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر، (د.ط)، 1986م.
- 217: شرح رسالة التعاليم للإمام الشهير حسن البناء، عبد المنعم تعيلب، دار الشهاب - الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
- 218: شرح وتحليل الأصول العشرين للإمام الشهيد حسن البناء، محمد عبد الحكيم خيال، مكتبة رحاب - الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
- 219: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع، والتفرق المذموم، د/يوسف القرضاوي، (د.ط)، 1410هـ - 1989م.
- 220: الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، د/يوسف القرضاوي، (د.ط)، 1408هـ - 1988م.
- 221: الصحوة الإسلامية، عبد الهادي بوطالب، الشركة العالمية للكتاب ش.م.ل، دار الكتاب اللبناني، دار الكتب الإسلامية، ط1: 1406هـ-1986م.
- 222: الظلاميون والنورانيون محاولة لمعرفة من خلال سُلّم العلم فالدين فالأخلاق، د/ محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر - دمشق، ط02: 1432-2011م.
- 223: العالم الإسلامي في مواجهة التحديات الغربية، د/ وهبة الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط01: 1431هـ-2010م.

- 224: على طريق العودة إلى الإسلام، د/محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة رحاب - الجزائر، ط08: 1408هـ - 1987م.
- 225: عوامل الشهود الحضاري، د/ عبد المجيد عمر النجار، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط01: 1999م.
- 226: فقه التحضر الإسلامي، د/ عبد المجيد عمر النجار، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط01: 1999م.
- 227: فكر محمد كرد علي ودعوته الإصلاحية، ونس الحراحشة، دار اليازوري العلمية-الأردن، (د.ط)، 2006م.
- 228: الفكرة الإسلامية، عبد الحميد بن باديس، جمع وتقديم: د/أحمد الرفاعي شرفي، دار الهدى - الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
- 229: في مهب المعركة، مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر - لبنان، دار الفكر - سورية، ط04: 1423هـ-2002م.
- 230: قادة الغرب يقولون <<دمروا الإسلام أبيدوا أهله>>، عبد الودود يوسف الدمشقي، (د.ر)، (د.ط)، 1395هـ - 1974م.
- 231: قذائف الحق، محمد الغزالي، دار الهدى - الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
- 232: قراءة في ركائز المشروع الحضاري الإسلامي، جمعة أمين عبد العزيز، دار الدعوة - الإسكندرية، ط01: 1424هـ-2003م.
- 233: كفاح دين، محمد الغزالي، مكتبة رحاب - الجزائر، ط06: 1408هـ - 1988م.
- 234: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن علي الندوي، دار القلم - دمشق، ط03: 1425هـ-2004م.
- 235: مجموعة رسائل الإمام الغزالي، أبي حامد الغزالي، دار الكتب العلمية - لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ج01.

- 236: المدخل إلى أصول التربية الإسلامية، د/عبد العزيز المعاينة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط01: 2006م.
- 237: المرأة المسلمة، وهي سليمان غاوجي، دار القلم - دمشق، ط8: 1420هـ - 1999م.
- 238: المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية، د/أحمد صبحي العيادي، دار الكتاب الجامعي - العين، ط01: 1421 هـ - 2001 م.
- 239: المستقبل في مدار الإسلام قمة الإلتزام وذروة العصرية على أثير التوحيد وامتداد الحداثة، أبو محمد عبد الرحمان، دار الهدى - الجزائر، (د.ط)، 2010م.
- 240: المسلمون ورسالتهم في الحياة، عبد الكريم الخطيب، دار الكتاب العربي - لبنان، ط01: 1402هـ - 1982م.
- 241: مشكلات في طريق النهوض، محمد سعيد رمضان البوطي، وآخرون، دار الفكر - لبنان، دار الفكر - سورية، ط01: 1423 هـ - 2002م.
- 242: مع الله، محمد الغزالي، دار الهناء للنشر والتوزيع - الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
- 243: معالم المنهج الإسلامي، د/محمد عمارة، دار الشروق - مصر، ط2: 2009م.
- 244: من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، محمد الغزالي، دار الهناء للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)،
- 245: منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، دار البلاغ - الجزائر، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، ط03: 2007م.
- 246: موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، علي بن نايف الشحود، (د.ر)، (د.ط)، (د.ت)، ج.12
- 247: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، علي بن نايف الشحود، (د.ر)، (د.ط)، (د.ت)، ج.08.

248: نصائح للمرأة المسلمة، محمود المصري أبو عمار، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، ط1: 1431هـ - 2010م.

249: هموم داعية، محمد الغزالي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

250: واقعنا ومستقبلنا في ضوء الإسلام، تر: سمير إبراهيم، دار الصحوة - القاهرة، ط01، 1984م.

الدراسات المقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي.

251: الإسلام والغرب، د/محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر - دمشق، ط2: 1429هـ - 2008م.

252: حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب بين النظرية والتطبيق دراسة مقارنة، د/ أحمد عبده عوض، ألفا للنشر والتوزيع - مصر، ط02: 1433هـ - 2012م.

253: حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، محمد الغزالي، دار الهناء - الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

254: حول الفكر الإسلامي والنظام الديمقراطي، د/محمد جمال يحياوي، دار الغرب للنشر والتوزيع - وهران، (د.ط)، (د.ت).

255: القانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان دراسة مقارنة، د/ وهبة الزحيلي، دار الفكر - سورية، دار الفكر المعاصر - لبنان، ط1: 1433هـ - 2012م.

256: الله أم الإنسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان؟، د/ محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر - سورية، دار الفكر المعاصر - لبنان، ط03: 1427هـ - 2006م.

257: المرأة بين الفقه والقانون، د/مصطفى السباعي، دار الوراق - بيروت، ط01، (د.ت). التاريخ.

258: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، (د.ط)، 1424هـ - 2003م، ج19.

- 259: تاريخ أصبهان، أحمد الأصبهاني، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1: 1410هـ - 1990م، ج.2.
- 260: تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، محمد سهيل طقوش، دار النفائس، ط1: 1424هـ - 2003م.
- 261: تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار التراث - بيروت، ط02: 1387هـ، ج2، ج3، ج44.
- 262: تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن (ابن عساكر)، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 1415هـ - 1995م، ج.30.
- 263: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط4: 1417هـ - 1997م، ج.01.
- 264: فتوح مصر والمغرب، عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط)، 1415هـ..
- 265: قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورانت، تقديم: د/محيي الدين صابر، تر: د/زكي نجيب محمود، وآخرون، دار الجيل - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس، (د.ط)، 1408هـ - 1988م، ج.30.
- 266: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين الجوزي، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط01: 1412هـ - 1992م، ج4، التراجم والطبقات.
- 267: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط03: 1405هـ - 1985م، ج.10.
- 268: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تح: د/محمود محمد الطناحي، د/عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط02: 1413هـ، ج.02.

- 269: الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط01: 1410هـ - 1990م، ج3.
- 270: لسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني، تح: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط01: 2002م، ج09.
- الرفائق والأداب والأذكار.
- 271: الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم الجوزية، دار الهدى - عين مليلة - الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
- 272: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- 273: صيد الخاطر، جمال الدين الجوزي، دار القلم - دمشق، ط01: 1425هـ - 2004م.
- 274: القواعد الحسان في أسرار الطاعة والاستعداد لرمضان، المعتر بالله صمدي، تقديم: محمد حسين يعقوب، مكتبة الفهد - السعودية، ط03: 1420هـ.
- 275: (أ): الكبائر، أبي عبد الله الذهبي، تح: صلاح الدين محمد السعيد، دار البشائر - الجزائر، (د.ط)، (د.ت).
- (ب): الكبائر، شمس الدين الذهبي، دار الندوة الجديدة - بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- 276: محبة الرسول، محمد الحسن الشنقيطي، إعتنى به: د/علي بن حمزة العمري، دار ابن حزم - لبنان، ط01: 1429هـ - 2008م.
- 277: المنهيات، محمد بن علي الترمذي، تح: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع - مصر، (د.ط)، 1406هـ - 1986م.
- 278: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، مجموعة من المتخصصين، دار الوسيلة للنشر والتوزيع - جدة، ط04، (د.ت)، ج8.

الرسائل العلمية.

279: الأسماء الحسنى معانيها وآثارها والرد على المبتدعة فيها (أطروحة دكتوراه)، رفيع أوونلا بُصيرى الإجيوى، إشراف: د/صالح بن سعد السحيمى، المملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة، 1413هـ-1992م.

280: أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وآثارها في فهم النص واستنباط الحكم (رسالة ماجستير)، د/سميح عبد الوهاب الجندى، إشراف: حسن محمد الأهدل، دار القمة، دار الإيمان - الإسكندرية، (د.ط)، 2003م.

281: سد ذرائع القدح في التوحيد (دراسة حديثة موضوعية). (أطروحة دكتوراه)، بركة بنت مضيف بن علي الطلحي، إشراف: د/عاصم ابن عبد الله الخليلى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين - قسم السنة وعلومها، 1431هـ - 1432هـ، مج: 01.

282: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية (أطروحة دكتوراه)، محمد سعيد رمضان البوطى، مؤسسة الرسالة، (د.ط)، 1393هـ-1973م.

283: مقاصد الشريعة عند ابن عاشور (رسالة ماجستير)، سوابغة مخلوف، إشراف: إسماعيل يحي رضوان، جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة - قسم الكتاب والسنة، سنة: 1417هـ - 1996م.

284: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية (أطروحة دكتوراه)، د/يوسف حامد العالم، المعهد العالمى للفكر الإسلامى - هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط2: 1415هـ - 1994م.

285: منهج وحيد الدين خان في نقد الإلحاد (رسالة ماجستير)، ياسين حامى، إشراف: محمد أبو الروايح، جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة، سنة 2003، 2004م.

286: منهجية التغيير عند عبد الحميد بن باديس (رسالة ماجستير)، سامية جفال، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، سنة: 1422هـ - 2001م.

287: واقعية التشريع الإسلامى وآثارها، زياد بن صالح لوبانغا (أطروحة دكتوراه)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط01: 1426هـ-2005م العقيدة، 1413هـ-1992م،

المجلات.

288: مجلة الإجتهد، العدد الثامن، السنة الثانية: 1410 هـ. 1990م.

- 289:مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الرابع، (د.س)، 1419هـ - 1998م.
- 290:مجلة الحكمة، العدد الحادي والعشرون، (د.س)، 1421هـ .
- 291:مجلة الرسالة الإسلامية، العدد الرابع، (د.س)، 1394هـ - 1974م. والعدد العشرون، (د.س)، 1395هـ - 1975.
- 292:مجلة العلوم الإسلامية، العدد الثالث، (د.س)، 1412هـ - 1992م.
- 293:مجلة المنار، محمد رشيد رضا وآخرون، (د.ع)، (د.س)، مج 06.
- 294:مجلة القضايا المعاصرة، دار النهار للنشر، ج 01، مج 01: 1969م.
- 295:مجلة حضارة الإسلام، العدد الأول والثاني، السنة الأولى: 1380هـ-1960م. والعدد الثالث، السنة الخامسة: 1384هـ - 1964م. والعدد السابع، السنة الخامسة: 1384هـ - 1965م.
- 296:مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الثالث، (د.س)، 1396هـ-1986م. والعدد السادس، (د.س)، 1398هـ-1989م
- 297:مجلة لواء الإسلام، العدد الثاني، السنة الخامسة: 1370هـ-1951م. والعدد الثالث، السنة الخامسة: 1370هـ-1951م. والعدد العاشر، السنة الخامسة: 1371هـ - 1952م. والعدد الحادي عشر، السنة السابعة: 1373هـ-1954م. والعدد الثاني عشر، السنة السابعة: 1373هـ-1954م.
- 298:مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد الثاني، (د.س)، 1390هـ - 1971م. والعدد السادس، (د.س)، 1975م.
- 299:مجلة المختار الإسلامي، العدد الأول، السنة الأولى: 15 شعبان 1399هـ - يوليو 1979م، ج 1. والعدد الثاني، السنة الأولى: 1399هـ - 1979م، والعدد السادس، السنة الأولى: 1400هـ - 1979م.
- 300:مجلة الأمة، العدد الأول، السنة الأولى: محرم 1401هـ - نوفمبر 1980م، ج 01، ج 02.

الملتقيات والندوات.

301: كتاب محاضرات ومناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، ورجلان: 17-26 صفر 1397هـ / 6-15 فبراير 1977م، منشورات وزارة الشؤون الدينية، دار البحث للطباعة والنشر - الجزائر، مج. 2.

302: ندوة مستقبل الثقافة في العالم العربي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة - الرياض، (د.ط)، 1423هـ - 2002م.

المقالات الإلكترونية.

303: الأسباب الكامنة وراء إهانة المقدسات الإسلامية في شمال أوروبا، يحي أبو زكريا،

ar shafaqna.com، لوحظ بتاريخ: 2013/06/06م، سا. 19:30

304: الإساءة إلى الإسلام متعمدة ذريعتها حرية التعبير، نقابة الصحفيين الكويتية، www.sabr.cc، لوحظ بتاريخ: 2013/06/04، سا: 21:15.

305: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية منهجية الغرب وإستراتيجية المواجهة، عصام زيدان، www.salmajed.com، لوحظ بتاريخ: 2013/04/10م، سا 20:29.

306: الإساءة للرسول في فيلم أمريكي وقح إهانة للإسلام والمسلمين ولكل الأديان، د/أكرم المشهداني، www.albasrah.net، لوحظ بتاريخ: 2013/06/04م، سا. 21:01.

307: الإساءة لمقدسات الإسلام تدبير يهودي خطير، محمد عباس دهيني، dahaini.com، لوحظ بتاريخ: 2013/10/27م، سا 19:04.

308: الأسس الفكرية لمعاداة الغرب للإسلام ورسوله، د/نور الدين عوض الكريم إبراهيم بابكر، www.albashir.sd، لوحظ بتاريخ: 2013/06/03م، سا. 21:21.

309: إنتهاك حرمة المقدسات من منظور القرآن الكريم، مترجم من مقالة الشيخ: عباس اميني، www.rupayah.net، لوحظ بتاريخ: 2013/04/10م، سا 20:56.

310: التحالف الإمبريالي - الإسلاموي... والإساءة للنبي وللإسلام!، Thaqaifa mag.com، لوحظ بتاريخ: 2013/04/18م، سا: 21:45.

- 311:الجدل الغربي حول مفهوم الإسلام. مدونة هشام عوكل، هشام عوكل، hicham
 oukal .maktoobb log.com، لوحظ بتاريخ:2013/04/08م، سا. 21:00
- 312:حرية التعبير عن الرأي الضوابط والأحكام، د/أسعد السحمراني،
 WWW.albaserah.com، لوحظ بتاريخ: 2013/6/24م، سا.10:33
- 313:الدنمارك تجمع بين نقيضي التدين والتطرف اللاديني، د/سعد العتيبي،
 www.saaaid.net، لوحظ بتاريخ: 2013/06/02م، سا 21:10.
- 314:دور العلماء والدعاة في صد ظاهرة الاجترآء على المحرمات والإساءة للمقدسات، خالد
 روشه، www.almoslim.net، لوحظ بتاريخ:2013/04/14م، سا22:00.
- 315:عندما يشكل الإعلام الغربي صوراً نمطية عن الإسلام ونبيه، د/حسن عزوزي، .
 alwaei .com، لوحظ بتاريخ: 2014/11/20م، سا 12:45 .
- 316:الغرب ومهام شبكة العلمانيين المرتدين الجدد، www. almoslim. net، لوحظ
 بتاريخ: 2014/11/20 م، سا.11:59
- 317:القضاء الهولندي يؤيد المسيئين، www.lahona.com، لوحظ بتاريخ:
 2013/6/2م، سا: 20:04.
- 318:المتطرفون يمارسون الرقابة على القصة الصحفية الدينية، جان بول مارثوز،
 www.cpj.org، لوحظ بتاريخ: 2013/10/28 م، سا. 19:28
- 319:مجمع الفقه الإسلامي: حرية التعبير عن الرأي لا تتضمن أي تهجم على الدين أو شعائره أو
 شرائعه أو مقدساته، WWW.islam feph.com، لوحظ بتاريخ: 2013/06/02م،
 سا: 19:00.
- 320:مذيع أمريكي شهير يشبه المسلمين ب"الصراصير"لصيامهم في رمضان، net
 www. alarabiya.، لوحظ بتاريخ:2014/12/13م، سا10:58.
- 321:مسلسل الإساءات...وسنة المواقف، الحبيب علي زين العابدين الجفري،
 marebpress.net، لوحظ بتاريخ: 2013/04/18م، سا 22:05.
- 322:المناهج التربوية والحماية من الإساءة لحرمت الله، خالد روشه،
 www.almoslim.net، لوحظ بتاريخ:2013/06/06م، سا.20:47

- 323:منهجية الغرب وأهدافه، www.alukah.net، لوحظ بتاريخ: 2014/02/04م،
سا. 13:13
- 324:المنهجية الغربية في الإساءة للمقدسات الإسلامية، www.alukah.net، لوحظ
بتاريخ: 2013/10/27م، سا. 18:11
- 325:موجة الردة القادمة..والدعم الأوروبي لها، www.islamweb.net، لوحظ بتاريخ
: 2014/11/20م، سا.12:04
- 326:نصرة الرسول..بين أسباب الإساءة وأدوار النصره، وليد شلبي، www.humyh.com
، لوحظ بتاريخ 2013/06/01 م، سا 19:54.

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
07	المقدمة.
20	مبحث تمهيدي.
20	المطلب الأول: تعريف المقصد لغة واصطلاحاً.
20	الفرع الأول: تعريف المقصد لغة.
21	الفرع الثاني: تعريف المقصد اصطلاحاً.
24	المطلب الثاني: تعريف الدين لغة واصطلاحاً.
24	الفرع الأول: تعريف الدين لغة.
26	الفرع الثاني: تعريف الدين اصطلاحاً.
27	المطلب الثالث: تعريف الإساءة لغة واصطلاحاً.
27	الفرع الأول: تعريف الإساءة لغة.
28	الفرع الثاني: تعريف الإساءة اصطلاحاً.
29	المطلب الرابع: تعريف المقدس لغة واصطلاحاً.
29	الفرع الأول: تعريف المقدس لغة.
30	الفرع الثاني: تعريف المقدس اصطلاحاً.
30	المطلب الخامس: أنواع المقدسات الإسلامية.
30	النوع الأول: الذات الإلهية العلية المقدسة.
31	النوع الثاني: شخصيات مقدسة.
34	النوع الثالث: أماكن مقدسة.
37	النوع الرابع: أزمنة مقدسة.
38	النوع الخامس: أشياء مقدسة.
43	الفصل الأول: مسالك مقصد حفظ الدين، وآثار الإخلال به.

43	المبحث الأول: مسالك مقصد حفظ الدين المؤسسه (من جانب الوجود).
43	المطلب الأول: حفظ الدين بالتبليغ.
50	المطلب الثاني: حفظ الدين بالتيسير.
55	المطلب الثالث: حفظ الدين بإقامة الشعائر.
58	المطلب الرابع: حفظ الدين بالإجتهد.
62	المبحث الثاني: مسالك مقصد حفظ الدين الدافعه (من جانب العدم).
62	المطلب الأول: حفظ الدين بمدافعه الجدال في الله.
66	المطلب الثاني: حفظ الدين بإقامة حد الردة.
68	المطلب الثالث: حفظ الدين بمدافعه الإعراض عن حكم الله تعالى.
71	المطلب الرابع: حفظ الدين بالجهاد.
79	المبحث الثالث: آثار الإخلال بالدين.
79	المطلب الأول: الردة والتخلف.
81	المطلب الثاني: شيوع الفوضى وزعزعة الأمن الوطني.
83	المطلب الثالث: خرق القوانين وفتح باب الصراعات الدولية.
87	الفصل الثاني: أسباب الإساءة إلى المقدسات الإسلامية.
87	المبحث الأول: أسباب الإساءة إلى المقدسات الإسلامية الخاصة بالمسلمين.
87	المطلب الأول: ضعف المسلمين.
92	المطلب الثاني: إنبهار المسلمين بالغرب.
98	المبحث الثاني: أسباب الإساءة إلى المقدسات الإسلامية الخاصة بالغرب.
98	المطلب الأول: الحقد التاريخي (سبب تاريخي).
99	المطلب الثاني: العداة العقدي (سبب فكري).
101	المطلب الثالث: المكابرة والبعي (سبب نفسي).

101	المطلب الرابع: الهيمنة الإقتصادية (سبب اقتصادي).
102	المطلب الخامس: التنافس الحضاري (سبب سياسي).
106	المطلب السادس: اختلاف الثقافة الغربية عن الثقافة الإسلامية (سبب ثقافي).
107	المبحث الثالث: أسباب الإساءة للمقدسات الإسلامية التي اشترك فيها المسلمون والغريون
107	المطلب الأول: خلط المفاهيم والمعايير.
108	المطلب الثاني: الجهل بالإسلام.
111	الفصل الثالث: منهجية المسيء إلى المقدسات الإسلامية، ومقاصده، وعلاقة حرية التعبير بالكرامة الإنسانية من خلال الإساءة للمقدسات الإسلامية.
111	المبحث الأول: منهجية المسيء للمقدسات الإسلامية.
111	المطلب الأول: شمولية الإساءة لجميع المقدسات الإسلامية.
112	المطلب الثاني: الهجوم من قِبَل جميع التيارات والشخصيات.
113	المطلب الثالث: الإستعانة ببعض الأقلام المهاجرة واستغلالها.
115	المطلب الرابع: الإستمرارية في الإساءة.
116	المبحث الثاني: مقاصد المسيء إلى المقدسات الإسلامية.
116	المطلب الأول: جس نبض الشارع.
117	المطلب الثاني: جعل الإساءة إلى المقدسات الإسلامية أمراً طبيعياً.
118	المطلب الثالث: وضع الإسلام في صورة منحطة عن المعتقدات الدينية.
120	المطلب الرابع: تكوين رأي عام غربي مناهض للإسلام.
121	المطلب الخامس: القضاء على مرتكزات النهضة الإسلامية.
122	المطلب السادس: إذابة شخصية الأمة الإسلامية.
124	المبحث الثالث: علاقة حرية التعبير بمقصد حفظ الكرامة الإنسانية من خلال الإساءة للمقدسات الإسلامية.
124	المطلب الأول: حرية التعبير في الإسلام (خصائصها، صورها، أدلتها، حكمها).

132	المطلب الثاني: ضوابط حرية التعبير في الإسلام.
156	المطلب الثالث: تناقض حرية التعبير في الإعلان العالمي بين النظرية والتطبيق.
159	المطلب الرابع: الكرامة الإنسانية في الإسلام.
165	المطلب الخامس: حفظ الكرامة الإنسانية هو المعنى الجامع للضروريات.
171	المطلب السادس: علاقة حرية التعبير بمقصد حفظ الكرامة الإنسانية من خلال الإساءة للمقدسات الإسلامية.
172	المطلب السابع: دور الشعارات في تشويه حقائق الإسلام.
172	الفرع الأول: شعار التقاليد الإسلامية.
175	الفرع الثاني: شعار الوطنية.
176	الفرع الثالث: شعار العلمانية.
177	الفصل الرابع: مسالك حفظ حرمة المقدسات الإسلامية.
177	المبحث الأول: المسالك الوقائية.
177	المطلب الأول: غرس العقيدة الصحيحة.
184	المطلب الثاني: الحث على الأخلاق وإحياء الضمير.
189	المطلب الثالث: إعادة النظر في البرامج التربوية للبلدان الإسلامية.
190	المطلب الرابع: الوحدة الإسلامية.
195	المطلب الخامس: ثورة إقتصادية إسلامية.
197	المبحث الثاني: المسالك العلاجية.
197	المطلب الأول: المقاطعة الإقتصادية.
198	المطلب الثاني: جمع شبهات الغزو الفكري، ودراستها، والردّ عليها.
199	المطلب الثالث: دور هيئة الأمم المتحدة من خلال الموقف المشترك للدول الإسلامية.
208	الفصل الخامس: نماذج تطبيقية من الإساءة للمقدسات الإسلامية.
208	المبحث الأول: الإساءة إلى الذات الإلهية العلية.

208	المطلب الأول: الإساءة إلى ذات الله وصفاته (فيديو الإله الإسلامي كما ورد في الحديث والقرآن. أمودجاً).
208	الفرع الأول: وصف فيديو الإله الإسلامي كما ورد في الحديث والقرآن.
209	الفرع الثاني: الرد على فيديو الإله الإسلامي كما ورد في الحديث والقرآن.
231	المطلب الثاني: الإساءة إلى أسماء الله الحسنى (مسلسل أبطال 99. أمودجاً).
231	الفرع الأول: وصف مسلسل أبطال 99.
233	الفرع الثاني: الرد على مسلسل أبطال 99.
240	المبحث الثاني: الإساءة إلى القرآن الكريم (فيديو حرق القرآن. أمودجاً).
240	المطلب الأول: إساءات فيديو حرق القرآن (التدنيس، السب، التمزيق، الحرق).
240	الفرع الأول: وصف فيديو حرق القرآن.
242	الفرع الثاني: الرد على فيديو حرق القرآن.
243	المطلب الثاني: إساءات فيديو حرق القرآن (إثارة الشبهات في القرآن، والردود عليها).
243	الفرع الأول: شبهة القرآن يدعو للشذوذ الجنسي مع الغلمان، والرد عليها.
249	الفرع الثاني: شبهة القرآن يدعو لضرب المرأة، والرد عليها.
254	المبحث الثالث: شبهاتٍ أُخر في الإساءة للمقدسات الإسلامية، والردود عليها.
254	المطلب الأول: شبهة الحجاب منافٍ لمقصد تكريم المرأة، والرد عليها.
261	المطلب الثاني: شبهة التحريم منافٍ لمقصد التيسير، والرد عليها.
266	المطلب الثالث: شبهة قتل المرتد منافٍ لمقصد إرسال محمد عليه السلام رحمة للعالمين، والرد عليها.
275	الخاتمة.
280	التوصيات.
282	الفهارس.
283	فهرس الآيات القرآنية.

301	فهرس الأحاديث النبوية.
309	فهرس الآثار.
312	فهرس القواعد الأصولية والفقهية والمقاصدية.
314	فهرس المصادر والمراجع.
345	فهرس المحتويات.



Rèsumè de recherche

Le complexe de supèrioritè de l'occident et la rancune vis-à- vis du monde arabe et musulmans, voulant dominer le monde par la force.

L'occident, profitant de cette supràmatie pour mettre les mains sur les richesses souterraines des peuples et assurer cette domination.

C'est par la suite que les arabes ont compris que seule la religion musulmane est leur salut garantissant leurs intèrêts mutuels.

L'occident ayant par seul objectif la domination des peuples arabes et musulmans tente de spolièr la religion islamique sous tous les maux pour tenter d'èloigner les croyants de la rèalitè, la grandeur et les valeurs humaines de l'islam .